خلاصة المتون
فى أبناء ونبلاء اليمن الميمون

للسيد العلامة المؤرخ الشهير

محمد بن محمد بن يحيى زبارة

الجزء الثانى (١)

من ظهور الهادى يحي بن الحسين وينتهى عام ٧٢٣هـ

الطبعة الاولى
١٤١٩هـ/١٩٩٩م





مركز التراث والبحوث اليمني

ص.ب ١٣١ ريتشموند، ساري - بريطانيا
P.O. Box 131 Richmond, Surrey TW9 2LG, Great Britain

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثانى من خلاصة المتون فى أبناء ونبلاء اليمن الميمون من ظهور الهادى يحي بن الحسين سنة ثمـانية ومائتين للهجرة إلى انتـهاء الدولة الرسولية سنة ثمانيـة وخمسين وثمانمائة للسيد العلامة المؤرخ الشهير محمد بن محمد بن يحيى زبارة

وهذا هو الجزء الثـانى (١) وينتهى عند عام ٧٢٣ هـ ويتـبعه الجزء الثـانى (٢) المنتهى عند انتهاء الدولة الرسولية ٨٥٨ هـ.

من مصادره: «أنباء الزمن» للسيد يحيى بن الحسين بن القاسم و «المستطاب» له أيضاً.

و «سيرة الهادى يحـيى ين الحسين» لعلى بن محمد بن عبيـد الله العلوى وسير أئمة آخرين و«قرة العيون» للديبع.

و«شرح الزحيف على البسامة».

و «شرح ابن مظفر الترجمان على البسامة».

و «مطلع البدور» للقاضى أحمد بن صالح أبى الرجال.

و «طبقات الزيدية» لإبراهيم بن القاسم بن المؤيد وغيرها.

و «العسجد المسبوك» للخزرجى.

بقلم ابن المؤلف

أحمد بن محمد بن محمد زبارة.

خطبة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اللهم إنّا نحمدك بالمحامد التى ألهمتها الناطقين من عبادك، ونشكرك شكراً متصلاً بدوامك، ولن نقوم بشىء من حقوق مجدك، ونحن المذنبون، وعندك الرُّكَّع السجود من ملائكتك، لا يرفعون رؤوسهم خضوعاً لعظمتك، فسبحانك لا إله إلا أنت، وإن من شىء إلا يسبح بحمدك، ونشهد أنك أنت الله وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وصحابته الراشدين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فإن العبد الفقير إلى الله -سبحانه- محمد بن محمد زبارة -تجاوز الله عنه وغفر له ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات- قد أجاب رغبة الراغبين فى جمع ما تيسر من كتب التاريخ اليمنى باسم: «خلاصة المتون فى أبناء ونبلاء اليمن الميمون» فى أجزاء كثيرة:

الأول، من ظهور الإسلام إلى قيام الإمام الهادى يحيى بن الحسين.

والثانى: من قيامه إلى انتهاء الدولة الرسولية وابتداء الدولة الطاهرية سنة ثمانية وخمسين وثمانمائة للهجرة -وهو هذا الذى بين يديك-.

والثالث إلى آخر الألف الهجرى.

والرابع إلى سنة ١٠٧٥

والخامس إلى سنة ١١٠٠

والسادس إلى سنة ١١٣٩

والسابع إلى سنة ١١٨٠

والثامن إلى سنة ١٢٠٠

والتاسع إلى سنة ١٢٢٥

والعاشر إلى سنة ١٣٠٠

وأما للقرن الرابع عشر «نزهة النظر» فى أربعة مجلدات ضخمة -تراجم- وفى خلالها الأنباء، وهذا أوان الشروع فى الجزء الثانى.



أَوَّلَ مَنْ جَدَّدَ فى قُطْرِ اليَمَنْ   لِلدِّينِ مِنْ آلِ النَّبِىِّ المُؤْتَمَنْ

هو الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسَن بن الحسَن بن على بن أبى طالب المدنى ثم اليمنى الصَّعْدى، مولده بالمدينة المنورة سنة خمس وأربعين ومائتين للهجرة وأمه فاطمة بنت الحسن بن محمد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب. ولما وُلد وضعه جده القاسم فى حجره وعوَّذه ودعا له وقال لأبيه: ما سميته ؟ قال: يحيى فقال: هو يحيى صاحب اليمن لما يعرفه من الآثار والملاحم وما يرويه أن النبى -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «يخرج فى هذا النهج -وأشار إلى اليمن- رجل من ولدى اسمه يحيى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يُحيى الله به الحق ويُميت به الباطل». وعن على -كرم الله وجهه- أنه ذكر فتنة بين الثمانين ومائتين ثم قال: فيخرج رجل من عترتى اسمه اسم نبى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً يميز بين الحق والباطل... إلى آخر ما فى كتاب «الإفادة بتاريخ الأئمة السادة» و«الحدائق الوردية» وغيرهما والله أعلم. وجده القاسم توفى فى السنة الثانية من ولادته. وكان الهادى أنجل العينين واسع الصدر والمنكبين والساعدين خفيف الساقين والعجز.

روايته . تلاميذه. مؤلفاته . ترجيحاته

روى عن أبيه الحسين الحافظ وعن عميه محمد والحسن. وروى فى كتابه المنتخب عن عبد الرزاق الصنعانى وابن جريج وأبى بكر بن أبى شيبة ومالك بن أنس وغيرهم وعنهُ ولداه محمد المرتضى وأحمد الناصر، ومحمد بن سليمان الكوفى جامع المنتخب، وعلى بن العباس، وأحمد بن محمد بن فيروز الديلمى وغيرهم وخرَّج له المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهارونى وصنوه أبو طالب يحيى بن الحسين، والمرشد بالله يحيى بن الحسين الجرجانى الشجرى، وغيرهم من الأئمة. وكان مشغولاً بالعلم من صغره. ومن أجلّ مصنفاته كتاب «الأحكام» فى مجلدين فى الأحكام الشرعية وفى أوله نبذة فى أصول الدين، وفى آخره نبذة فى الزهد والادب وفيه حديث واسع

مسلسل وكتاب «المنتخب» فى مجلد جمعه تلميذه محمد بن سليمان الكوفى، وكتاب «الفنون» فى الفقه والفرائض. وله تفسيران أحدهما استكمل فيه القرآن، وبدأ بسورة الحمد ثم الناس، والثانى فى مجلد ضخم وله «تفسير الغريب» وله فى علم الأصول «البالغ المدرك» وكتاب «الجملة والديانة» وكتاب «إثبات النبوة» وكتاب «تثبيت الإمامة» وكتاب «المرشد» وهو أكبرها وكتاب «مسائل الرازى» وكتاب «مسائل الطبريين» وغير ذلك، وقد عد مصنفاته الإمام المنصور عبد الله بن حمزة إلى نيف وأربعين مصنفاً، وانتشرت كتبه ومذهبه فى اليمن وبلاد الجيل والديلم. وذكره الإمام الفخر محمد بن عمر الرازى فى تفسيره «مفاتيح الغيب» فقال فى أثناء سورة التوبة: (ياأيها الذين أمنوا إنما المشركون نجس) الآية فقال صاحب الكشّاف عن ابن عباس أن أعيانهم نجسة كالكلاب، وعن الحسن البصرى: من صافح مشركاً توضأ، وهذا هو قول الهادى من أئمة الزيدية... إلى أن قال وأعلم أن ظاهر القرآن يدل على كونهم أنجاساً فلا يرجع عنه إلا بدليل... وأطال الرازى فى ترجيحه. وفى فتح القدير أنه مذهب الظاهرية والزيدية والحسن البصرى وابن عباس روى عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- : «من صافح مشركاً فليتوضأ وليغسل كفيه». (أ.هـ).

وقال أبو بكر بن يعقوب الرازى وردت على الهادى إلى اليمن فاندهشت له فانى كنت لا أعرف أحفظ منى لأصول أصحابنا، وكنت أجاريه فى الفقه، وأحكى قول أصحابنا فيقول: يا أبا بكر ليس هذا قولكم، ويخرج لى المسألة من كتبنا على ما قال وقال أبو الحسين الهمذانى الشافعى: حضر رجل يدعى على رجلٍ عند الهادى فانكر المدعى عليه فأتى المدعى بالبينة ثم حلَّف الهادى الشهود فعجبت من ذلك فسألته فقال: هذا مذهبى وهو قول طاووس، وما تنكر من تحليفهم احتياطاً مع التهمة، وقد قال -تعالى- (فَيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما)

إثبات ابن حجر لإمامته وذريته

قال الحافظ ابن حَجَر فى «فتح البارى» شرح البخارى فى حديث ابن عمر قال قال

رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- : «لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان» إن بالبلاد اليمنية طائفة من ذرية الحسن بن على بن أبى طالب لم تزل مملكة تلك البلاد معهم من أواخر المائة الثالثة، وكبيرهم يقال له الإمام، ولا يتولى الإمامة منهم إلا من يكون متحرياً للعدل. والذى فى صعدة وغيرها من اليمن لا شك فى كونه قرشياً لأنه من ذرية الحسن بن على فبقى الأمر فى قريش بقطر من الأقطار فى الجملة... إلى آخر ما فى فتح البارى.

بعض ترجمته

فى ترجمة فاطمة الزهراء بكتاب «الرياض المستطابة بتراجم من روى فى الصحيحين من الصحابة» للشيخ يحيى بن أبى بكر العامرى الشافعى مانصه: الإمام الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، كان مولده -رضى الله عنه- بالمدينة ومنشؤه بالحجاز وتعلمه به و بالعراق وظهور سلطانه باليمن سنة ثمانية ومائتين للهجرة، وكان مجيئه إلى اليمن وقد عم بها مذهب القرامطة والباطنية فجاهدهم جهاداً شديداً، وجرى له معهم نيف وثمانون وقعةً لم ينهزم فى شىء منها، وكان له علم واسع وشجاعة مفرطة، وأقام على الجهاد ثمانى عشرة سنة ثم توفاه الله لعشر بقين من ذى الحجة سنة ثمانية وتسعين ومائتين للهجرة. وترجمه العامرى أيضاً فى كتابه «غربال الزمان فى وفيات الأعيان» ترجمة جاء فيها قوله: الإمام الفاضل الكامل الصالح المصلح يُعْرَفُ بالهادى إلى الحق، كان خروجه إلى اليمن وظهور شوكته بها بعد أن استدعاه واليها أبو العتاهية وبايعه هو وأهل مملكته. ومن مصنفاته: كتاب «الأحكام» جمع فيه فاوعى، وصنف فى الشرائع والأديان، وعظمت فضائله، ومات بصعدة بعد أن مهد البلاد وقوَّم أودها، ولما نعى إلى الناصر الحسن الأطروس القائم ببلاد الجيل والديلم قال: انهدَّ ركن الإسلام ومن وقت الهادى إلى زماننا هذا سنة إحدى وستين وثمانمائة للهجرة لم تنقطع الإمامة من الشرفاء العلويين بجبال تهامة اليمن وأكثرهم من ذرية

الهادى ولـهم نزلات إلى تهامـة اليمن وفى «تاريخ دول الاسـلام بالجداول المرضـية» للسيـد أحمد زينى دحلان مـفتى الشافعـية بمكة المكرمة إلى أول القرن الرابـع عشر: الإمام الهـادى إلى الحق يحيـى بن الحسين بـويع فى اليمن، وكـان إماماً عـالماً، وله تصانيف فى الـفقه، وخُطِب له بمكة سـبع سنين وتوفى باليمن سنة ثـمانية وتسـعين ومائتين للهجرة، وأكثر أئمة الزيدية الذين جاءوا بعده فملكوا اليمن من ذريته. إلخ.

وفى ترجمته بكتاب «الحـدائق الوردية» للفقيه حميد الشهيـد، وبطبقات السيد إبراهيم بن القاسم بن المؤيد أنه كان مشـتغلاً بالعلم موصوفاً من صبـاه بالقوة والبأس والشدة والشـجاعـة. أما الزهد والورع فـممـا لا يحتـاج إلى وصفـه لظهوره عند المخـالف والمؤالف وأما تقدمه فى العلم فاشتهـاره يُغنى عن تفصيله، ومن أحب تفصيله فلينظر إلى كتبه وأجوبته على المسائل التى وردت إليه من البلدان، وتصانيفه فى فنون العلم. وأول تصـانيفـه وهو بالمدينة فى سـبع عـشرة سنة، وأهل اليـمن وبعض أهل الجـيل والديلم على مذهبه. ومن أشهـر كتبه «الأحكام» ابتدأ تأليفه بالمدينة إلى كـتاب البيوع وخرج إلى اليمن وأملى بقيته على كل كاتب له بالـيمن حال فراغه من الجهاد، وقال أبو الحسن بـن أبى حريصة فى ترجـمة الأحكام: لقـد سألنى غـير واحد مـا باله لم ينظمه نسقا واحـداً أو يتبع كل فن بفنه؟ فأجبته إن عذره وأمـره أشهر من أن يذكر إذ كان جليس فرسـه وضجيع سيفة ليـلاً ونهاراً فى إحياء دين الله والجهـاد وكلما وجد فينةً انتهز الفرصة لإثبات الفصل من كتابه. وعليه وعلى كتابه المنتخب اعتماد الهدوية فى الفقه. وهو واسطة العقد فى بنى الحـسن والمشار إليه فى علمى الفرائض والسنن، وناعش الملة الإسلاميـة بأرض اليمن، وله مع القرامطة نيف وتسعون وقـعةً كانت له اليد فيهـا عليهم. ومنها ليلة تشبه ليلة الهـرير مع جده على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- وفتح صعدة ونجران وخيوان وصنعاء وذمار وجيشان، وبعث عماله إلى عدن، ودوخ ملوك اليمن، وطرد العباسية وأنصارهم من صنعاء ومخاليف اليمن، ونزل إلى تهامـة بعد أن حلف له رؤساؤها على الطـاعة ثم غدروا به وقتـلوا طائفة من جنده، وبقى فى عدد يسير من أصحابه ثم قتل جماعة من أهل تهامة، وإليه وصل ذو الفقار سيف جده على بن أبى طالب، وكان يضرب بـه. وقال فى بعض وقائعه وضرباته به

فى مدينة ريدة البون وقد انهزم عنه أصحابه وثبت فى وجه عدوه حتى رجع إليه أصحابه.

الخَيْلُ تَشْهَدُ لى وكُلُّ مُثقَّفٍ.. . بالصَّبْرِ والإبْلاءِ والإقْدَامِ
حَقّاً ويَشْهَدُ ذُو الفِقَار بأنَّنى.. . أَرْوَيْتُ حَدَّيْهِ نَجيعَ طِغَامِ
عَلاً ونَهْلاً فى المواقِفِ كُلِّها... طَلَباً بِثأرِ الدِّينِ والإسْلامِ
حَتَّى تَذَكَّر ذو الفِقَارِ مَوَاقِفاً.. . مِنْ ذى الأَيَادى السيِّدِ القِمْقَامِ
جَدِّى عَلِىٌّ ذى الفَضَائِل والنُّهى.. . سَيْفُ الإله وكاسِرُ الأَصْنَامِ
صِنْوُ النَّبىِّ وخَيْرُ مَنْ وَطِىء الثَّرى.. . بَعْدَ النَّبِىِّ إمَامُ كُلِّ إمامِ

ذو الفِقَار

ذو الفقار سيف سُليمان بن داوود أهدته له بلقيس مع ستة أسياف يمنية، ثم وصل إلى العاص بن منبه بن الحجاج فقتله على -عليه السلام- يوم بدر كافراً وأخذ ذا الفقار وقيل: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علىّ، ثم كان مع الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على فى محاربته لجيش أبى جعفر المنصور سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة بالمدينة، ثم أخرجه الهادى إلى اليمن وقاتل به كما فى أشعاره، ثم صارإلى الإمام محمد بن المطهر بن يحيى المتوفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة للهجرة وقال فيه:

أنا ابن مُطَهَّرٍ وأبى عَلِىٌّ... وَجَدِّى أَحْمَدٌ مَجْدٌ تَسامَى
وفى يُمنایَ ذو الفَقَرَاتِ عَضْبٌ... حُسَامٌ ثم حَسْبُكَهُ حُساماً

وقال ابنه الإمام الواثق المطهر: إن فى إحدى صفحتى ذى الفقار تسع فقرات وفى الأخرى ثمان وهى حُفر ملوزة لوحطَّ فى إحداها لوزة لكانت ملأتها، وأنها قد طليت هذه الحفر بالذهب، وأنه لا يزيد فى الطول على السيوف المعتادة إلا بنحو أربع أصابع، وليس بالعريض وفى متنه ما يشبه العمود الذى فى الخنجر. وبلغ السلطان المجاهد على بن داوود بن يوسف الرسولى خبره فبقى مغرماً به فاحتال فى طلبه من السيد أحمد بن الإمام محمد بن المطهر لينظره ويرجعه، وبعد وصوله إليه قبضه وأرسل إلى السيد أحمد ألف دينار ثم حلاه وجمّل عليه من الجواهر ما يساوى مائة ألف دينار، وكان لا يفارقه إلى أن حج وكان أسره من عرفات ونهب خزائنه وضبطه إلى مصر سنة إحدى وخمسين وسبعمائة للهجرة فكان ذو الفقار من المنهوبات عليه فى عرفات، ولم يعلم بعد ذلك من أخذه من «تاج العروس» و«ابن خلكان» و«اللآلى المصونة» للشرفى و«ذيل الحدائق الوردية».

مِنْ حِكَمِه ونَصَائِحِه

أصل الخشية لله العلم، وفرع الخشية الورع، وفرع الورع الدين، ونظام الدين محاسبة المرء نفسه، وآفة الورع تجويز المرء لنفسه الصغيرة من فعله، ومن أراد أن لا تفارقه نعم الله فلا يفارق شكر الله، ومن أراد أن ينظر ماله عند الله فلينظر ما لله عنده، ومن كفى الناس مؤنة نفسه كفاه الله مؤنة غيره، ومن نظر إلى نفسه بغير ما هو فيه فقد أمكن الناس من الطعن عليه، ودواء الخوف من عذاب الله العمل بطاعته والترك لمعاصيه، ودواء الجهل التعلم، والعلم مصباح فى صدور العلماء زيته الورع وذبالته الزهد، والورع والمكالبة على الدنيا لا يجتمعان أبداً كما لا يجتمع فى إناء واحد النار والماء، ومن اشتدت رغبته فى الدنيا طلب لنفسه التأويلات الكاذبة، ومن طلب التأويلات تقحَّم فى المهلكات وكان عند الله من أهل الخطيئات، وصاحب الدنيا الراغب فيه كالحسود لا يستريح قلبه من الغَمِّ أبداً، ولا يخلو فكره من الهَمِّ أصلاً، ولو أعطى منها كل العطاء، والحلم مع الصبر ولا حلم لمن لا صبر له، وعروق الحكمة

التى تضرب فى الصدور هى طاعة الله، ولا تثبت الحكمة إلا مع الطاعة، ومن عدم الحكمة عدم النعمة، والحكمة كالشجرة عروقها الطاعة وثمرتها البلاغة، وأصل البراللطف، وفرعه النصفة، وأصل العقوق قلة النصفة، وفرعه الجفاء، وأصل الحمق قلة العقل، وفرعه العجب بالنفس، وقال صارم الدين الوزير فى «البسامة» فى ذكر الهادى:

وفى إمامِ الهُدَى الهَادِى المُتَوَّجِ بالعَلْياءِ أَكْرَمِ داعٍ مِنْ بَنى مُضَرِ

مَنْ خُصَّ بالجَفْرِ مِنْ أَبْنَاءِ فَاطِمَةٍ ... وَذى الفِقَارِ ومَنْ أَرْوَى ظَمَى الفِقَرِ

وَصَاحِبِ المَذْهَبِ المَذْكُورِ فى اليَمَن ... المَشْهُورِ مِنْ غَيْرِ لا إِفْكٍ ولا نُكَرِ

وفى ابنِ فَضْلٍ وَمَنْ لَبَّى لِدَعْوَتِه ... وفى مُسَوَّدَةٍ تَدْعُو إلى سَقَرِ.

قَضَتْ بِتِسْعٍ مَعَ تِسْعِينَ مَعْرَكَةً ... غُرٍ كبدر وأوطاسٍ وكالنهرِ

قضىَ بها نخبة أسد غطارفه ... مضوا وأشياع صدق من بنى الطبرى

سائل شباماً وصنعاءً وصعدة مع ... نجران عنهم وسفح القاع من عصر

تخبرك عن ضربات منه قاطعة ... قدت دروعاً وأودت كل ذى صعر

وسل بنى يعفر عنه وكندتهم. . ... . وغلب همدان والأحلاف من مطر

وفى «شروح الزحيف» وابن مظفر والشرفى على «البسامة» الشروح الكاملة لهذه الأبيات.

للإمام الهادى سيرة خاصة فى مجلد ضخم جمعها من أعيان أصحابه الملازمين له السيد على أبي جعفر بن محمد بن عبيد الله العلوى اليمنى من رواية محمد بن سليمان الكوفى. مما فيها وفى غيرها أنه سار جماعة من أهل اليمن إلى الإمام الهادى إلى الحجاز يطلبون خروجه اليمن، فخرج سنة ثمانين ومائتين للهجرة إلى صعدة ثم إلى بلاد صنعاء، حتى وصل إلى الشرفة بنى حشيش ونَهَم، ولما تحقق من بعضهم عدم التوقف على الشريعة، وأن بعضهم غصب خوخاً على بعض الرعية؛ رجع وقال: لا أكون كالمصباح الذى يضيىء غيره ويحرق نفسه، والله ماهى إلا سيرة محمد أو النار. وبعد أن رجع إلى الحجاز عَظُمَت الشدة والفتنة فى اليمن فعاد أهل اليمن لمراسلته إلى الحجاز حتى أسعفهم بخروجه ثانياً فوصل فى صفر سنة أربع وثمانين ومائتين للهجرة.

مما جاء في كتاب دعوته

أيها الناس اعلموا أنى أدعوكم إلى ما أمرنى الله به، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وإلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فماجاءنا منهما اتبعناه، وما نهانا عنه اجتنبناه وإلى أن نأمر نحن وأنتم بالمعروف ونفعله، وننهى نحن وأنتم عن المنكر جاهدين ونتركه. أيها الناس إنى اشترط لكم على نفسى الحكم بكتاب الله وسنة نبيه والأثرة لكم على نفسى فيما جعله الله بينى وبينكم أؤثركم ولا أتفضل عليكم، وأقدمكم عند العطاء قبلى وأتقدم أمامكم عند لقاء عدونا بنفسى، وأشترط لنفسي عليكم اثنتين: النصيحة لله -سبحانه- ولى فى السر والعلن، والطاعة لأمرى فى كل حالاتكم ما أطعت الله فيكم فإن خالفت طاعة الله -عز وجل- فلا طاعة لى عليكم وإن مِلْتُ عن كتاب الله فلا حجة لى عليكم هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين.

وكان يقول: ليس الإمام من احتجب عن الضعيف فى وقت حاجة مُلحة. وكان يأمر كل واحد من عماله بصرف الربع مما يجمعه فى الفقراء من أهل بلده ويقول: إن وسع الله علينا تركنا لهم النصف، وإن أغنانا الله بما يحتاج إليه المجاهدون تركنا لهم الجميع وعممنا به جميع المستحقين. ويقول: والله ما أكلت مما جبيت من اليمن لقمة وما أنفق إلا من شيء جئت به من الحجاز.

وكان يطوف بنفسه فى الأسواق والشوارع، ويتفقد ما فيها من المنكرات، ويدخل الحبس ويتفقد من فيه بنفسه، ويأمر بِقَمِّه وتنظيفه، وكان يجعل للمحبوسين فيه قيوداً بإقفال، ويأمر بفتحها فى أوقات الصلاة.

وكان جالساً يوماً ينظر فيما يرفع إليه من المظالم وغيرها حتى سئم وغلبه النوم فدخل منزلاً لينام فيه ثم خرج سريعاً فقيل له فى ذلك فقال: خفت أن أنام عنهم ولعل منهم مظلوماً. وكان يقف على أهل كل بضاعة فيأمرهم بأن لا يغشوا بضائعهم، ويأمرهم بتنقيتها من الغش، وتسعير ما يبيعونه. فقيل له: أليس التسعير حراماً؟ فقال: أوليس الظلم والغش حرامين؟ وقال إنما نهى عن التسعير على أهل الوفاء وأهل التقوى، فإذا ظهرت الظلامات فى البيوع وجب على أولياء الله أن ينهوا عن الفساد كله، ويردوا الحق إلى مواضعه ويزيحوا الباطل من مكانه، ويأخذوا على يد الظالم فى ظلمه.

وقال محمد بن سليمان الكوفى: كنت أقبض ليحيى بن الحسين زكاة أموال التجارة فيكون فى البلاد تجار غرباء يتجرون ويقيمون الأشهر فقلت له: جعلت فداك أما نأخذ الزكاة من أموالهم؟ فقال: إن أخذنا منهم زكاة وجب علينا أن نحوطهم حيث كانوا فى بلادنا وغيرها. فلم يأخذ منهم شيئاً.

وقيل له: إن لم تأخذ إلا العشر مما بلغ خمسة أَوْسُق لم يجتمع لك من ذلك إلا القليل فقال: إنه لا يحل لنا أن نأخذ إلا ذلك؟ وإنا لا نأخذ ما لا يجوز لنا أخذه.

وكان إذا طاف بعسكره في نجران وغيرها أخذ عليهم أن لا يدخلوا الزرع، ولا يفسدوا

على الناس ثمارهم، ويشدد عليهم فى ذلك فإذا كان الليل قال لبعض أصحابه: هل رأيت أحداً من العسكر تعرض لشيء من ثمار الناس أو أفسدها؟ فيقول: لا. فيقول: الحمد لله كثيراً.

ولما أتى إلى بطنة حجور تلقاه أهلها بالسمع والطاعة، فنزل بموضع بالقرب من القرية فجاء أهلها وعرضوا عليه العلف للدواب فامتنع، فعاودوه فى ذلك وقالوا: نحن نجعل العسكر فى حل وفى سعة مما يفعلون؛ فأبى ذلك ولم يقبل منهم علفاً ولا غيره.

ولما أهدى إليه الحكمى الذى أراد موالاته هدايا من طعام وغيره مما يحتاج إليه؛ رد تلك الهدايا جميعها ولم يستجز قبولها. وقال: هذا رجل ظالم ولعل هذه الهدايا أخذها من أموال الرعية.

ووَثَبَ رجل من رؤساء قبيلة شاكر على عماله فى «ضاه» وأخذ منهم مفتاح بيت المال وطردهم، فسار إليه الهادى بنفسه إلى «ضاه» فوجده قد هرب، فأمر بهدم داره ووقف بنفسه على طعام الرجل وتمره فلم يؤخذ على صاحبها حبة ولا تمرة.

ولما أوقع بأهل أثافت بعد محاربتهم إياه وهروبهم من ديارهم بلغه أن بعض العسكر أخذوا من ديارهم شيئاً من الأثاث، فغضب لذلك أشد الغضب، واحتجب عن العسكر، وهَمَّ باعتزال الأمر وقال: لا يحلُّ لى أن أقاتل بمثل هؤلاء؛ فتابوا مما فعلوا وردّوا جميع ما كانوا أخذوا.

ولما كان بصنعاء فى حرب بنى يعفر الحواليين وعبيدهم آلِ طريف احتاج إلى نفقة للعسكر المجاهدين، وطلب من تجار صنعاء أن يقرضوه قرضاً فامتنعوا، فارتحل عنهم ولم يُكرههم على القرض مع تسويغ الشريعة إكراههم على ذلك فى مثل تلك الحال للاستعانة بخالص المال عند الضرورة الملجئة إلى ذلك كما هو معروف، ولكن ترك ذلك تورعاً واحتياطاً.

كان يُمرِّضُ أصحابه، ويداوى جـرحاهم بيده، ويعود مريضهم بنفسـه، وأخبار ورعه وتواضعه وعفته وفضائله كثيرة حتى مضى محمودَ الأثر زاكيَ العمل لم يخلِّف ديناراً أو درهماً ولا أثاثاً ولا عقاراً. وكانت وفاته بصعدة فى نهار الأحد عشرين ذى الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين للهجرة عن ثلاث وخـمسبن سنة من مولده و ثمانية عشرة سنةً من خروجه الأول لليـمن، ودُفن جنوبى جامع صعدة. وأولاده مـحمد المرتضى وأحمد الناصر والحسين وفاطمة وزينب.

حوادثه وإصلاحاته

عقب وصوله الثانى إلي صعدة فى صفر سنة أربع وثمانين ومائتين للهجرة حَسَم مادة الفتنة بين قـبائل خولان الشام، وأصلح شأنـهم، وأمر بتفريق ربع الزكـاة فى الفقراء والمساكين والأيتام وبقى أياماً بصعـدة، ثم نهض جنوباً وحرض الناس على الجهاد فى سبـيل الله، وفى جمـادى الآخرة سنة أربع وثمانين ومـائتين للهجـرة سار إلي وادى نجران فى جموع كثيرة من قبائل حولان وغيرهم إلى وادى نجران؛ فاستبشرت به قبائل وادعة ويام وشـاكر والأحلاف، واسـتقبلوه وبايعـوه والباعث لهم على ذلك مـا كان بينهم وبين بنى الحارث أهل نجران من الحروب والأهوال، فـسار بهم إلى نجران فتلقاه بنو الحارث فأصلح بينهم وبين أعدائهم، وأخـذ عليهم المواثيق الأكيدة بالاتفاق وترك الشقاق وبايعه القوم جميعاً، وصلحت الأمور لهم على يديه، ثم نصب عاملاً بنجران السيد الفاضل الكامل أحمد بن محمـد العلوى وسار إلى هجر فأقام بها حتى سكنت الفتنة فـيها، وتقـررت قواعد الصلح، ورجع فى شـوال إلى صعدة، ووضع عـهداً لأهل الذمة من نصارى نجران وغيرهم، وجعل عليـهم فيما شروه من المسلمين التسع ولا شىء عليهـم فيمـا شروه من الجاهلـية، وقررهم على الجـزية فى نجران وصـعدة وسائر ما فتحه من البلاد.

الحرب فى بَرط

فى صفر سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة سار الهادى إلى قبائل برط، وهو جبل كبير سكانه من همدان، وكانوا قد أحدثوا أحداثاً، وظنوا أنه لا يقدر الهادى على جبلهم لصعوبته وتحصنهم به وقلة عدد أصحاب الهادى، ولم يكن معه إلا ثمانين من الفرسان ودون ثلاثين راجلاً. ولما قرب من بلادهم حالوا بينه وبين الماء ومنعوه الطريق فدعاهم ووعظهم؛ وكان لا يحارب قوماً إلا بعد أن يدعوهم إلى الحق ويحذرهم وينذرهم، ومما قاله لهم: يا قومنا بيننا وبينكم كتاب الله أطيعونا ما أطعنا الله، فإن عصيناه فلا طاعة لنا عليكم، فإن لم تطيعونا فخلوا بيننا وبين الماء لنشرب ونطهر؛ وكان قد أضرَّ به وبأصحابه العطشُ؛ فلم يلتفتوا إلى كلامه ورَمَوه بالنبل فأصابه سهم وجرح بعض أصحابه؛ فحمل عليهم حملةً صادقةً، ومنحه الله النصر، فقتل منهم ثلاثة وجرح جماعة وأسر آخرين وانهزم بقيتهم، فتبعهم أصحابه فسلبوهم وهموا بقتلهم فنهاهم عن قتلهم وقال: ليس لهم فئة يرجعون إليها، ولما رأوا ما نزل بهم طلبوا الأمان فأمنهم فبايعوه، وسألوه إطلاق وإرجاع أسراهم وسلبهم فأجابهم إلى ذلك تأليفاً لهم. وأقام ببرط ثلاثة أيام لم يطلب فيها منهم شيئاً حتى تعب أصحابه وأكلت خيلهم الشجر، فرجع إلى صعدة واستناب على قبائل برط عبد العزيز بن مراون النجرانى، فقبض من أعشارهم خمسة آلاف فرق.

الحرب في وشحة وغيرها

فى ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة ورد إليه كتاب من أبى جعفر محمد بن عبيد الله العلوى عامله على وشحة يذكر فيه أن أبادغيش الشهابى قد جمع كثيراً من الرجال، ومنع عن تسليم الواجبات، فبعث الهادى أخاه عبد الله بن الحسين إليهم، فأنذرهم فأبوا فحاربهم، وكانت الدائرة عليهم، ونهب الجند القرية، فنهاهم عبد الله، وأمَّن أهل القرية وقبض صدقاتهم، ثم أعطى الربع منها مساكينهم، ووصل أهل القرية بالسدس من صدقاتهم عوضًا عما فاتهم فى الحرب.

الإيقاع بالشوكانى بنجران

فى جمادى الأولى سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة سار الهادى إلى نجران بعساكر كثيرة فنزل قرية شوكان، وطلب صاحبها خبيش الوادعى الذى قطع هو وعشيرته الطريق، وقتلوا فيها رجلاً وأخذوا عليه نحو ألف دينار، فامتنع عن الوصول، وعن رد المال المنهوب، وعن الإنصاف، فأمر الهادى بقطع نخله وعنبه وهدم منزله ثم مات خبيش بعد ذلك.

حرب أصحاب الدعّام

فى سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة وصلت كتب من الدعام بن إبراهيم إلى الهادى يسأله أن يوليه الجهة التى هو فيها فلم يسعفه بمطلبه؛ بل قال: لا ولاساعة إلا أن يحكم بكتاب الله وسنة رسوله كما أمر الله. وكان الدعام عاملاً لبنى يعفر الحواليين على بلاد الجوف وما إليها، ثم خالفهم وتغلب على البلاد، فسار الهادى إلى مدينة خيوان فتلقته قبائل تلك الجهات ولبث إلى شعبان، وسار إلى الحَضَن من وادعة، ثم سار إلى أثافت ووصل إليه أهل قرية بيت زود شاكين من الدعام وأصحابه، وأنهم يشربون الخمور ويرتكبون الفجور حتى أن بعضهم اغتصب جارية عذراء فافتضها وقتل أباها وأن الدعام لم ينكر ذلك، فأمر الهادى من يقوم بالأمر، ثم رجع إلى خيوان فاستقر فيه حتى بلغه فى رمضان أن الدعام قد خرج فى عسكر عظيم يريد بلاد البون، فظن الهادى أنها مخادعة منه وأنه سيقصد أثافت، فبعث إليه عبد العزيز بن مراون النجرانى وتبعه الهادى إلى أثافت ثم خرج منها إلى سربكيل، وأراد المسير إلى بيت زود فبلغه أن الدعام يريد طلوع الجبل، فثنى عزمه عن بيت زود وقصد رأس الجبل فعاد الدعام إلى قرية حمدة بالبون، وتقدم الهادى إلى بيت زود وأمر بحفظ النقيل، ثم انتقل إلى قرية ضحيان فصرخ صارخ من النقيل أن الدعام قد دخل بيت زود فسار الهادى إليه فلم يجد الدعام، وسار لمحاربته فوافاه فى نجد الضبر، وحين اقترب الجمعان أمر الهادى بالتعبئة وجعل خولان وحمدان فى الميمنة، وأهل بيت زود والبون فى الميسرة، وبنى صريم وبنى ربيعة فى القلب، وقال لرجل

من أصحاب الدعام: امض إليه وقل له يقول لك الهادى علام تُقْتل العرب فيما بينى وبينك ابرز إلى فإن قتلتنى استرحت منى وإن قتلتك استراح الناس منك، فكره ذلك الدعام فأرجع الهادى إليه رسولاً يعظه وينهاه، ومازالت الرسل تختلف بينهما حتى دنت ميمنة الهادى من ميسرة الدعام فتنابزوا بالكلام وافتتح القتال فقتل رجل من أصحاب الهادى وآخر من أصحاب الدعام، وأمر الهادى أصحابه بالكف عن القتال، وتكررت المراسلة بالصلح حتى ثبت وخرج الدعام إلى الإمام وحلف له على الطاعة واختلط الفريقان وعاد الهادى إلى بيت زود والدعام إلى حمدة. ثم سار أرحب بن الدعام إلى أثافت فى جماعة من همدان، فخرج عليهم رجل يسمى أبا عمرو فى طائفة معه يسيرة فقاتلهم وتكاثروا عليه فقتلوه ودخلوا قرية أثافت، ولما بلغ الدعام فعل ابنه وأصحابه استنكره فى ظاهر الأمر، وسار إلى أثافت فأقام بها، وسار الهادى إلى محل شوط وجمع القبائل وشاورهم فى حرب الدعام فأجمع رأيهم عليه، وسار الهادى إلى قريب أثافت وخرج الدعام وأصحابه فوقع القتال وكانت جراحات فى كثير من الطرفين، وكان الدعام قد أخرج أثقاله من أثافت، ثم خرج فى مائتى فارس وألفى راجل، ولم يكن مع الهادى إلا ثلاثون فارساً وسبعمائة راجل، والتحم القتال حتى انتهت المعركة بانهزام أصحاب الدعام وولوا مدبرين، ودخل جماعة من بنى صريم -أصحاب الهادي- أثافت فانتهبوها فأنكر عليهم الهادى أشد الإنكار وهمَّ بالخروج من اليمن فلم يزل بعض الأعيان يترضاه ويعتذر للفاعلين فلم يقبل ذلك الهادى حتى أرجعوا جميع ما أخذوه من أثافت.

اسحاق الدبرى المحدِّث

فى سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة توفى مسند اليمن ومحدِّثه القاضى إسحق بن إبراهيم الدبرى السخانى اليمنى أفاده الحافظ الذهبى فى آخر ترجمة إبراهيم الحربي بالتذكرة، وأفاد فى الميزان أنه عاش إلى سنة اثنين وثمانين ومائتين للهجرة وهو من مشائخ الشافعى وإياه أراد بقوله:

لا بد من صنعا وإن طال السفر	لطيبها والشيخ فى هجرة دبر

الإيقاع بالشوكانى بنجران

فى جمادى الأولى سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة سار الهادى إلى نجران بعساكر كثيرة فنزل قرية شوكان، وطلب صاحبها خبيش الوادعى الذى قطع هو وعشيرته الطريق، وقتلوا فيها رجلاً وأخذوا عليه نحو ألف دينار، فامتنع عن الوصول، وعن رد المال المنهوب، وعن الإنصاف، فأمر الهادى بقطع نخله وعنبه وهدم منزله ثم مات خبيش بعد ذلك.

حرب أصحاب الدعّام

فى سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة وصلت كتب من الدعام بن إبراهيم إلى الهادى يسأله أن يوليه الجهة التى هو فيها فلم يسعفه بمطلبه؛ بل قال: لا ولاساعة إلا أن يحكم بكتاب الله وسنة رسوله كما أمر الله. وكان الدعام عاملاً لبنى يعفر الحواليين على بلاد الجوف وما إليها، ثم خالفهم وتغلب على البلاد، فسار الهادى إلى مدينة خيوان فتلقته قبائل تلك الجهات ولبث إلى شعبان، وسار إلى الحَضَن من وادعة، ثم سار إلى أثافت ووصل إليه أهل قرية بيت زود شاكين من الدعام وأصحابه، وأنهم يشربون الخمور ويرتكبون الفجور حتى أن بعضهم اغتصب جارية عذراء فافتضها وقتل أباها وأن الدعام لم ينكر ذلك، فأمر الهادى من يقوم بالأمر، ثم رجع إلى خيوان فاستقر فيه حتى بلغه فى رمضان أن الدعام قد خرج فى عسكر عظيم يريد بلاد البون، فظن الهادى أنها مخادعة منه وأنه سيقصد أثافت، فبعث إليه عبد العزيز بن مراون النجرانى وتبعه الهادى إلى أثافت ثم خرج منها إلى سربكيل، وأراد المسير إلى بيت زود فبلغه أن الدعام يريد طلوع الجبل، فثنى عزمه عن بيت زود وقصد رأس الجبل فعاد الدعام إلى قرية حمدة بالبون، وتقدم الهادى إلى بيت زود وأمر بحفظ النقيل، ثم انتقل إلى قرية ضحيان فصرخ صارخ من النقيل أن الدعام قد دخل بيت زود فسار الهادى إليه فلم يجد الدعام، وسار لمحاربته فوافاه فى نجد الضبر، وحين اقترب الجمعان أمر الهادى بالتعبئة وجعل خولان وحمدان فى الميمنة، وأهل بيت زود والبون فى الميسرة، وبنى صريم وبنى ربيعة فى القلب، وقال لرجل

الطاعة، وأقام الهادى بخيوان ونواحيها.

مَسير الهادى إلى نجران وإيقاعه بالمفسدين

فى ثالث ذى الحجة سنة ست وثمانين ومائتين للهجرة سار الهادى من صعدة إلى نجران فأوقع بالمفسدين الغادرين بأخيه ومن معه وقعات شديدة، وفرّ قائدهم ابن بسطام إلى قبائل شاكر من همدان، وعاد فى جموع منهم ومن بنى الحارث أهل نجران، وقصدوا الهادى إلى القرية التى هو فيها، فقاتلهم هو وأصحابه فى شوارع القرية وقتل بيده جماعة منهم، وفر بقيتهم إلى جبل الأخدود، وأمرالهادى بالعفو عن الجرحى والمنهزمين، وأقام ثلاثة أيام بالقرية، وأمر بدفن جثث القتلى، وكتب إلى ابنه محمد بخيوان قصيدة منها:

طرقت لعمرك زاهر مولاها   والحرب مسعرة تشب لظاها

هلا سألتى تخبرى إن لم ترى   إذ سار يطلب مهجتى أعداها

لاح الصباح وأبرقوا بكتيبةٍ   شهباً تدفق خيلها وقناها

حمى الوطيس وفى قناتى لهذم   مثل الشرارة زر فى أعلاها

أو ما يسرك ان ترين عداتنا   والسمر تنفث قودها وكلاها

والبيض تفلق هامهم وحماتهم   قتلى سنابك خيلنا تذراها

ما كان إلا نطحة فتراكبت   أولى كتائبهم على أخراها

إنى بمن الله فى نصر له   أرجو جنانا دائماً مأواها

فأجاب ولده محمد المرتضى بقصيدة تزيد على ثلاثين بيتاً منها:

النفس حلف مؤرق أشجاها   عن ذكر كل خريدة وبهاها

إنى وإن جهل النواصب ديننا   واجتز حبل عداوتى أشقاها

متحمل فى الله كل عظيمة　　متزعم بكتيبة ألقاها

أصلى الأ سنة مهجتى وأخوضها　　حتى أمازج بالظبى ظلماها

الطعن أحلى عندنا من سلوة　　فوق النمارق يستلذ وطاها

ولقاى منصلتاً بكل كتيبة　　يغشى العيون دلاصها وقناها

خير من القينات تسمع مترفاً　　قبحت مقالتها ومن يهواها

إنى لأبغض ذكرها لأ كون مع　　جدى وأهوى صَرْمها وقلاها

إنى لأكرم نبعة من هاشم　　لا تستكين الحرب من ناصاها

الوارثون من النبى مقامه　　والباذلون من الهدى أهداها

والموضحون لكل أمة أحمد　　سبل الصلاح برغم من يلحاها

وقال الهادى قصيدة منها:

لا ئمى فى اللقاءِ فى الحرب مهلاً　　لا تلمنى فلست للوم أهلا

إننا معشر الفواطم قوم　　لا نمل اللقا إذا النكس ملا

سلوتى فى الطراد فوق ذرى　　الخيل إذا النكس بالصبوح تسلا

أنا يحيى إذا الوطيس تلظى　　واستعاضت شم المعاطس خلا

يا بنى حارث بن كعبٍ هلمو　　قبل رفض النسا وربٍّ المصلى

وقصيدة منها:

إلا إن فى هذا من القول معتبر　　وفيه وفي تصريفه تُعمْل الفكرْ

نهضت بحق الله أضرب دونه　　بأبيض مطرور الظُبى صارم الذكرْ

غفرت لمن أخطا وبينَّ عذره　　فأفسدهم عفوى فبعداً لمن كفرْ

وما نقموا منى سوى أن دعوتهم إلى كل تنزيل من الحق فى السور
وأوليتهم نصحى فلم يقبلوا له ولم ينظروا فيما به ربهم أمر
فمنهم فريق فى جهنم فَلَقَتُ جماجمهم بالبيض فى فرية الهجر
وآخر منهم هارب بمذلة وخزى وهذا هو الجزاء لمن غدر

وقال عبدالله بن الحسين أخو الهادى فى ذلك قصيدة منها:

طاب نومى وانجلى عنى الأرق وتسلى ما بقلبى من شرق
إذ رأيت الخيل تردى بالقنا شُرَّبا فيها مزاح وتوق
ورجال كلهم ذو نيةٍ ومساعير الوغى خزر الحدق
وإمام العدل فى أولهم يتلالا ذو بهاءٍ وحنق
ثم من بعد شجاه للعدى ضرب أعناق الذى كان مرق

ولماعزم الهادى على الخروج من نجران أمر باجتماع بنى الحارث وذكرهم بالله ووعظهم وخوَّفهم وأعلمهم أنه قد ولَّى عليهم رجلاً بمنزلة نفسه وهو أبو جعفر محمد بن عبيد الله العلوى، وكان قبل ذلك عاملاً له على صعدة. وانتقل الهادى إلى صعدة فى آخر جمادى الأولى سنة سبع وثمانين ومائيتين للهجرة.

سنة سبع وثمانين ومائتين للهجرة حرب الأكيليين بعلاف وغيره

بعد وصول الهادى من نجران إلى صعدة فى جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومائتين للهجرة أعلن الفساد أحمد بن عباد الأكيلى وبنو كليب ومن إليهم وقصدوا الهادى بالحرب ثم انحازوا إلى حصنين لهم يقال لأحدهما «علاف» وللآخر «التور» فأمر الهادى بهدم منازلهم وقطع أعنابهم إلا المستضعفين منهم وقتل ثلاثة من أصحاب الهادى وخمسة من الأكيليين ثم طلبوا منه العفو عنهم وتأمينهم فأمنهم إلا ابن عباد

فسار ذليلاً حقيراً ثم قال الهادى قصيدة منها:

صعب الزمان على فاستصعبت إِذ ... صعب الزمان وليس مثلى يخضع

والله ربى والنبى فوالدى ... والله يحفظنى وعنى يدفع

حسبى الإله ونيتى وبصيرتى ... والرمح فيه شبه نار تلمع

فلعلنى أوطى السنابك عنوة ... مدر العراق ومن بها يترفع

وقصيدة منها:

نام خدن الحرب من بعد الأرق ... واستلذ العيشُ من بعد شرق

وغشينا عسكر الفسق فلم ... نبق منهم من جديد وخلق

أحكموا درب علاَّف وحموا ... فاستبحنا الدرب واندق الفلق

ذاك بالرحمن نلناه ومن ... وفق الله له العز اتفق

قد غشيناهم فولوا هربا ... وطحناهم فما فيهم رمق

جهلوا ربى فظنوا أنه ... أكلهم خبز النصارى بالمرق

نحن جند الله فى الأرض وقد ... رعد العز علينا وبرق

سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة

تسليم أبى العتاهية إلى الهادى صنعاء وما إليها

تقدم فى سنة ست وثمانين ومائتين للهجرة ذكر إرسال أبى العتاهية لأخيه جراح بن بشر فى خمسين فارساً إلى الهادى لإعانته. وفى محرم سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة طلب الهادى من عامله على نجران محمد بن عبيد الله العلوى أن يرسل إليه عصابة من الفرسان وجموعاً من العسكر، فأرسلهم مع ابنه على بن محمد ثم جمع

الهادى عصابة وافرة من خولان الشام، وأقام فى صعدة أحمد بن محمد العلوى العباسى، وسار الهادى فتلقاه بالعمشية الدعام بن إبراهيم، ثم سار الهادى فى الجموع إلى أثافت ثم إلى قرية الحايره من همدان، وكان بعض السفهاء فى الحايرة قد تعرض للحجاج فى طريقهم، فأمر الهادى بإيصالهم إلى حضرته وأوثقهم وسار بهم إلى خيوان، وفى تاسع محرم سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة سار من خيوان إلى ريدة فاستبشروا بقدومه لما بلغهم من عدله مع ما قد لحقهم من المغارم والشدة من ولاة الجور فأسقط عنهم كل ما كان يؤخد منهم بغير حق، ثم أمر الناس بالمسير معه وأظهر لهم أن أبا العتاهية قد سلم إليه البلاد التى كانت فى يد الدعام وهى بلاد البون والمشرق.

فظائع آل طُريف والجفانم

كان أبو العتاهية قد جزم بتسليم الأمر وكل البلاد إلى الهادى وكان الكلام بينهما بصورة لم يعلم بها غيرهما لما يخشاه أبو العتاهية من بنى عمه آل طريف ومن على بن حسين جفتم وأصحابه من العجم الذين بصنعاء، وكان كل واحد من أمراء آل طريف والجفاتم قد استولى على بلد فى اليمن يضع على أهله ما شاء ويتحكم فيهم كيف شاء، وكان إبراهيم بن خلف بعد أن استولى على بعض القرى فى جيشان قد نهبها وأباحها لمن كان معه من العسكر فسبوا من نسائها وباعوا بعضهن وأباح الفجور لأصحابه وكذلك آل طريف، وأما الجفاتم الأعاجم فكان الرجل منهم يحمل الغلام من السوق للفسق وكذلك المرأة يحملها من الطريق وكان لهم الطنابير والغلمان ويأخذون أموال الناس عنوة ولا يقدر أحد على إنكار هذه المنكرات، فنظر أبو العتاهية أنه لا يخلِّصه من موبقات تلك المنكرات غير تسليمه البلاد للهادى. ثم سار الهادى من ريدة حتى وصل إلى قرية حدقان بالقرب من صنعاء وحينما علم أبو العتاهية بوصوله إلى حدقان أمر أصحاب جفتم بالخروج إلى وادى السر وضم إليهم عبدالله بن الجراح فى نفر من آل طريف وأظهر لهم أنه يريد المسير إلى الهادى وأن يكونوا له

كميناً فى السر حتى يأتيهم أمره ففعلوا وكان الهادى قد عبأ أصحابه وهم سبعمائة مقاتل وخمسون فارساً، وسار إليه أبو العتاهية فى نفر من أصحابه؛ فلما تراءى الجمعان أرسل أبو العتاهية إلى الهادى أن يلقاه فى نفر فالتقاه بنحو ثلاثين فارساً ولما قرب منه رمى أبو العتاهية رمحه وكشف رأسه ونزل عن فرسه فترجل له الهادى ثم قبل أبو العتاهية يد الهادى وجثا بين يديه و بايعه وحلف له على السمع والطاعة وكان أبو العتاهية فى أربعمائة فارس وعشرة آلاف راجل ثم دعا وزيره محمد بن عباد وغيره فبايعوا الهادى وكان يستحلفهم على السمع والطاعة، وتقارب العسكران واختلطا وسلم بعضهم على بعض ونزل الهادى فتوضأ فى غيل حدقان وصلى هو وابنه محمد المرتضى وأبو العتاهية صلاة العصر ثم قال أبو العتاهية للهادى وقد قرب وقت المغرب: امض على بركة الله تعالى إلى صنعاء، فقال الهادى: أونبيت ههنا فقال: لا إنى لا أحب المبيت ههنا لما أحاذره من بنى عمى على صنعاء.

دخول الهادى صنعاء

ثم سار الهادى من حينه إلى صنعاء فدخلها ليلة الجمعة الثالث والعشرين من محرم سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة وأبو العتاهية بين يديه حتى أدخله الدار التى يسكنها. ولما بلغ الجفاتم وعبدالله بن الجراح وآل طريف الذين بالسر دخول الهادى صنعاء أقبلوا بإسراع وأظهروا الكراهة لما فعله أبو العتاهية، ولما قربوا من صنعاء قال لهم إبراهيم بن خلف وجماعة ممن كان مع أبى العتاهية فى ظاهر الأمر: متى اشتغل الناس بصلاة الجمعة أثرتم الفتنة بصنعاء. ولما كان الهادى على منبر جامع صنعاء يخطب أقبل الجفاتم وآل طريف وقد انضم إليهم العسكر الكثير ينهبون ويسلبون، وبعد أن أتم الهادى الخطبة والصلاة خرج إلى المخالفين فأوقع بهم وقتل ثلاثة منهم وأخرجهم من صنعاء.

وفى اليوم الثانى أمر الهادى بالعطاء للجند وسلم إليه أبو العتاهية جميع ما كان بيده من الأموال والإبل والبقر والخيل والسلاح والأثاث وكل ما قد جمعه من أموال

المسلمين فقبضها الهادى وأمر أبا العتاهية بالبقاء فى بعض أمره فقال: لا أريد ذلك وإنما أكون خادماً لك وبين يديك. ثم اعتزل أبو العتاهية فى منزل له كان قد عمره فوق صنيعة له ولبس الصوف وتزهّد وقال: والله لو خرجت من هذا الأمر الذى كنت فيه بمسح ألبسه لرأيت أنه أصلح لى. ثم طلب الهادى أعيان أهل الفساد من العسكر وأخذ سلاحهم وسجنهم.

بعث الهادي عُمّاله
إلى مخاليف صنعاء وعدن

ثم بعث الهادى عماله إلى مخاليف وسار فى صفر ومعه أبو العتاهية إلى شبام كوكبان، وقد أوصى العمال بتقوى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ورفع عن الناس جميع المظالم، وأمر أن لا يؤخذ من الناس إلا ما أوجبه الله عليهم، ولا يتعدى حكم الله فيهم، ورجع إلى صنعاء وأبقى بشبام ولده محمد المرتضى فى جماعة من العسكر ثم سار الهادى فى بقية من صفر عن صنعاء إلى بئر الخولانى ثم إلى يكلى من بلاد الحدافعين فيها عاملاً من الطبريين وسار إلى قرية سمح ببلاد آنس فبقى بها ثلاثة أيام واستهل ربيع الأول وسار إلى ذمار ومعه أبو العتاهية وخلف بصنعاء أخاه عبدالله بن الحسين. ومن ذمار أرسل عماله إلى مخاليفها ودار فى بلاد عنس وما إليها ووعظ الناس وأعلمهم بما يجب عليهم، وسار الى الأحظوظ ثم منكث الخطيين، وهم بقية ملوك آل الصوار فى بلاد يريم وكانت الأحظوظ مناخ جماعة من الفساق والبغايا، وأقيمت الشهادة عند الهادى على رجل من أهلها كان يؤتى كالمرأة ويجمع بين الرجال والنساء للفسق فأمر الهادى بضرب عنقه، وسار إلى جيشان فولى عليها أبا عبدالله الرازى. وأرسل على بن ذركان الطبرى عاملاً على بندر عدن، ثم سار إلى إثاث ببلاد رداع وولى عليها محمد بن أبى الزبير اليرسمى وقرر أمور تلك البلاد ثم رجع إلى صنعاء فى آخر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة وطلب وصول أهله من الحجاز إلى اليمن.

ومرة ثانية خرج إلى شبام وخلف على صنعاء ابن عمه على بن سليمان بن القاسم وبقى بشبام إلى جمادى الآخرة، وأرسل من شبام ولده محمداً إلى بلاد همدان ولما عرف آل طريف قلة عسكر الهادى بشبام طمعوا فى رجوع الأمر إليهم فخرجوا إلى جبل ذخار (كوكبان) وحينما بلغ الهادى ذلك استخّلف جماعة على شبام وخرج إليهم فخلفوه على شبام فدخلوها وقصدوا السجن فأخرجوا من فيه من أصحاب جفتم واستشهد فى شبام محمد بن عباد وزير أبى العتاهية فأمر الهادى طائفة من جنده بالمسير إلى القوم مع أبى العتاهية ومحمد بن الدَّعَّام فنزلوا إلى شبام وطردوهم عنها وقتلوا جماعة منهم.

ثورة أهل صنعاء وشبام على الهادى

ثم ثار بصنعاء ابن محفوظ وهاجم السجن بها وأخرج بعض من فيه وطرد عامل الهادى على بن سليمان عن صنعاء فثار عقيب ذلك أهل مخاليف صنعاء وأعادوا الخطبة للمعتضد العباسى؛ فلما علم الهادى بذلك عزم على المسير بأهله من شبام إلى بلاد الظاهر وطلب من فى السجن من آل يعفر وآل طريف منهم أسعد بن أبى يعفر وإبراهيم بن خلف وذكر لهم ما كان من استدعائهم له وحضهم على تقوى الله وأطلقهم. ولما أراد الخروج من شبام هم بأهلها فعطف عليهم ومعه أبو العتاهية وبات فى ريدة ثم سار إلى بيت زود وأرسل أهله إلى درب بنى صريم.

معارك في ريدة البون

رجع الهادى من بيت زود إلى ريدة فقصده قائدان من آل طريف وهما أبو زياد وصعصعة بن جعفر فى عسكر عظيم ولم يشعر بهم أحد من أصحاب الهادى حتى هجموا ودخلوا ريدة فانهزم بعض أصحاب الهادى وثبت هو فى بقية من أصحابه وجالد القوم وحمل على أبى زياد وعسكره فهزمهم وأخرجهم عن ريدة ،وحمل بقية

أصحابه على صعصعة وأصحابه فأخرجوهم وأيدهم الله بالنصر حتى هزموا جميع الأعداء وشتتوا شملهم وطاردوهم إلى قرية الفيل وتبعهم الهادى وقتل جماعة منهم، وكان معه فى ذلك اليوم ذو الفقار فطاردهم به، وقال الأبيات السابقة التى منها:

حقاً ويشهد ذو الفقار بأننى　　　أرويت حديه نجيع طعام

وكان صعصعة بن جعفر الريدى يأكل أموال أهل البون ظلماً ويشرب الخمر فلما ولى الهادى على البون محمد بن عيسى التميمي غضب صعصعة وجمع خاصته وأعلن الفساد

معارك في شمال صنعاء
ورجوع الهادى إليها

فى خلال ما كان الهادى بريدة وصل إليه أبو العتاهية فى عسكر من همدان فسار عن ريدة إلى قرية مدر وأقام بها أياماً ووصل إليه من الحجاز صنوه عبدالله بن الحسين فى ثمانين رجلاً من مضر ثم سار الهادى نحو صنعاء ولما قرب منها خرج آل يعفر وآل طريف من صنعاء وشبام ووادى ضهر فى خمسمائة فارس وألفى راجل واجتمع مع الهادى إلى مائة فارس وستمائة راجل فلما التقوا عبّأ الهادى أصحابه والتحم القتال، وحملت خيل القوم على أبى العتاهية ومن معه فعضدهم الهادى ومن معه فأصدقوا فى القوم الحملات وحكموا فيهم السيف وقتلوا رجالاً من أعيانهم حتى هزموهم وولوا الأدبار هاربين، وتبعهم الهادى وأبو العتاهية وقتلوا رافع علمهم وجماعة، وطاردوا بعضهم إلى العرة، وفرّقوهم فى الشِّعاب وأخذوا من أسلحتهم وأسروا بعضهم، ورجع الهادى إلى بقية عسكره وسار بهم إلى صنعاء فدخلها يوم الجمعة وهو يقول: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾. وكان أهل صنعاء فى تخوف من الهادى بسبب إخراجهم عامله على بن سليمان فلم يكشف لهم الهادى عن شىء من ذلك؛ بل أمنهم وأمر بكتابة كتاب بتأمينهم وقراءته فى سوق صنعاء.

ثم حضروا فى الجمعة الثانية لاستماع خطبته فقال فى آخرها يخاطب أهل صنعاء:

أيها الناس ما نقمتم على إلا مثلما حكى الله تعالى فى كتابه عن قوم لوط من قولهم: ﴿أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ ولكنى أقول لكم كما قال يوسف لإخوته ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ وسر الناس بعفوه عنهم.

معارك جنوب صنعاء

ثم جهز الهادى من صنعاء أبا العتاهية فى خيل ورجل إلى قرية غيمان وفيها جيش آل يعفر وآل طريف فلما قرب منهم خرجوا إليه واستعانوا بإبراهيم بن خلف وكان فى قرية بيت بوس؛ فلما التقى الجمعان فى موضع وراقتين اقتتلوا قتالاً شديداً ولما تكاثر القوم على أبى العتاهية وأصحابه التجأوا إلى جبل نقم وأرسلوا إلى الهادى فخرج بنفسه من صنعاء فى سادس شعبان إلى عَلِبَ وباشر القتال وهزم القوم وقتل جماعة من أعيانهم، ولم يزل يتبعهم إلى تحت بيت بوس واشتد هنالك القتال، ثم رجع الهادى فى أصحابه نحو صنعاء فلما توسط القاع تبعه القوم بأجمعهم فعطف عليهم وقتل من فرسانهم ورجالهم فانصرفوا وسار إلى صنعاء واجتمع القوم بعد ذلك إلى سفح جبل نقم ووصل إليهم من هو على رأيهم حتى بلغوا فى الرابع عشر من شعبان إلى إثنى عشر ألفاً ما بين فارس وراجل فخرج إليهم الهادى في خمسمائة مقاتل وتدانوا للقتال فحمل عليهم الهادى حملة صادقةً فانهزموا مدبرين بعضهم إلى بيت بوس وبعضهم إلى نقم ووقع السيف فيهم فقتل منهم خلقٌ كثيرٌ ومن أصحاب الهادى خمسة ورجع إلى صنعاء.

معارك في نقم والجبَّانة والقطيع

أقام القوم بقية شعبان فى نقم فكان أصحاب الهادى يغزونهم من صنعاء ليلاً ونهاراً

وفى رمضان أقبل القوم من كل ناحية ودخلوا إلى درب الجبانة ودرب القطيع بصنعاء فوجه الهادى ابنه محمداً فى قطعة من عسكره إلى من فى درب بالقطيع وقطعة إلى من فى درب الجبانة وخرج الهادى فوجد ابنه مُلاحماً للقوم فحمل عليهم وأخرجهم من الدربين وهزمهم إلى جبل نقم وقتل منهم ودام القتال إلى بعض الليل وعاد كل فريق إلى معسكره.

خلاف أهل نجران

فى رمضان سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة

لما كان الهادى فى اشتغال بقتال آل يعفر وآل طريف بصنعاء وجهاتها ثار ابن بسطام وابن حميد فى بنى الحارث بنجران، وهبطوا عند حصول ثمرة النخيل والخريف بنجران للعصيان ونهب الضعفاء؛ فلما رأى ذلك عامل نجران أبو جعفر محمد بن عبيدالله العلوى أرسل إلى قرية الحضن ابنيه على بن محمد والقاسم بن محمد وأمرهما أن يصرخا فى قبائل شاكر وثقيف ويكونا مقابلين لمحل ميناس فقامت شاكر وثقيف ووادعة معهما ودخلوا قرية الهَجَر وفيها محمد بن عبيد الله العامل، وسارت القبائل من بنى الحارث وكانوا زهاء ألف وخمسمائة راجل وزهاء مائة وثلاثين فارساً فعسكرت على باب قرية الهجر فخرج إليهم العامل فى خمسة عشر فارساً وخمسين راجلاً وقامت معه شرذمة من بنى عبد المدان تجامله وتدافع عشائرها عن محاربته، ثم طمعت فيما طمع فيه عشائرها وطلبوا خروجه من قريتهم الهجر فخرج وأرسل عائلته إلى ربيع بن أبى الركود وخرج ليلاً من الهجر إلى الحضن ووصلت إليه عائلته ودخل ابن بسطام ومن معه إلى الهجر فنهبوا أموال الضعفاء وجباية البلد من التمر والبر والذرة وأعطوها من معهم من الأعراب، وكتب العامل محمد بن عبيدالله إلى الهادى بما كان فأجاب عليه بالوقوف فى موضعه إلى وصوله إليه، ثم خاف ابن بسطام وعلم أن الهادى لا يتركه، وأن مقام العامل فى الحضن يضر به وبعشيرته، فأغرى قبائل شاكر بقتل العامل على مال جعله لهم، فأغاروا عليه فى ثمانمائة مقاتل وأرادوا

إخراجه من الحَضَنَ فقاتلهم وقام معـه فى دفعهم أهل الحضن من شاكر وبعض ثقيف وأقنعوهم بأنه لا سبيل إلـى إخراجه من الحضن فرجع قبائل شـاكر عن قصدهم، ثم وصلوا إلى العامل وأخبروه بما بذل لهم ابن بسطام واعتـذروا له فقبل عذرهم، وأقام فى الحضن عشرة أشـهر وفى خلالها كانت الفتنة ما بين بنى الحـارث خاصة وما بين قبـائل يام وشاكر عـامة، وقتل بـعضهم بعـضاً وبلغ القتلى إلـى مائة وست أنفس، وشملهم البلاء وأحاطت بهم الأعداء.

معارك حدين وعلب

فى يوم عيد الفطر سنة ثمان وثمانين ومائـتين للهجرة خرج الهادى إلى المصلى لصلاة العيد فبينما هو فى الخطبة أغـار أصحاب آل يعفر وآل طريف بخيلهم إلى باب صنعاء فخرج أبو العـتاهية فى الخيل فطردهم ،وفى اليوم الثانى سـار الهادى فى عسكره من صنعاء إلى علب وأرسل بـعض جنده إلى من بحبل نقم فكانت ملاحم انـتصر فيـها الهادى وأصحابه ثم تعقبها وقعات فى حدين وعلب استشهد فيها على بن سليمان بن القاسم وأبوالعتاهية عبدالله بن بشـر بن طريف أمير صنعاء السابق فى شوال، ورجل من ولد الحـسين بن على بن أبى طـالب، ووصل إلى الهـادى من مـذحج الربيع بن الروية بمادة من جعفر بن إبراهيم الجعفرى.

معارك بميدان صنعاء

فى نصف شوال سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة نزل القوم إلى ميدان صنعاء فخرج إليهم الهادى وكانت معـركة انهزم فيها أعداؤه ورجعوا إلـى معسكرهم فى عضدان. وفى ذى القعدة هجموا على درب القطيع ودرب الجـبانة فطاردهم الهادى ودام القتال إلى بعض الليل ورجعوا إلى معسكرهم، ثم كاتب آل يعفر وآل طريف أهل المخاليف التى بنظرهم أنه قد كـان الصلح بينهم وبين الهادى على أن يترك لهم صنعـاء وينتقل

إلى همدان، وبأن يكون حضور أهل المخاليف لصلاة عيد الأضحى معهم فى صنعاء فاجتمع لهم بتلك المكيدة نحو عشرين ألفاً فساروا بهم ليلتهم حتى أصبحوا فى ميدان صنعاء، ودخل بعضهم إلى السرار ودرب القطيع فخرج الهادى وجنوده لقتالهم، وكان عسكر الهادى فوق الألف واشتد القتال فطردوا القوم وهزموهم إلى الضبر جنوبى صنعاء، ووضعوا السيف فيهم فصاح بعض القوم يطلب الأمان، فأوقف الهادى أصحابه ووصل إليه جماعة من قواد القوم يطلبون الرجوع عنهم تلك الليلة على أن يكون وصول جميعهم فى اليوم الثاني إليه فتركهم وسار إلى صنعاء، ولم يتم وصولهم ونقضوا العهد وعادوا إلى الحرب، وتعقب ذلك معارك فى بيت بوس وحدة.

معارك ظبوة
وسقوط الهادى عن فرسه

فى صفر سنة تسع وثمانية ومائتين للهجرة وصلت إلى الهادى زيادة من أنصاره الطبريين، فأمر أخاه عبدالله والشيخ الربيع بن الروية بالمسير من صنعاء إلى قرية حقل المقابلة لقرية غيمان التى بها أجناد آل يعفر وآل طريف ثم خرج الهادى إلى قرية ظبوة سنحان وفيها عسكر للقوم فكانت معركة فى ظبوة، وأوقع القوم بعض أصحاب الهادى من الطبريين فى موضع مضيق وعر ورموهم بالنبل والحجارة من كل ناحية، فوقف الهادى للذب عنهم حتى أخرجهم وحملت على الهادى خيل القوم فعطف عليهم وطعن رجلاً وطردهم، ورام المرور في الطريق فمنعوه فطعن رجلاً آخر فأفرجوا له عن الطريق ورموه وفرسه بالحجارة من قريب وأصيبت أذن فرسه بحجر فسقط الفرس ثم رجم الهادى رجل آخر فى رأسه فسقط مغشياً عليه، وبادره القوم بالضرب فأصابوه بجراحات وعطف ابنه محمد على رجل فارس يريد طعن الهادى فطعنه محمد ثم طعن رجلاً آخر كان يضرب الهادى فقتله، ووقف رجال من الطبريين يقاتلون دون الهادى حتى استشهدوا جميعهم وصاح الصائح فى العسكر قتل الهادى فعطف بعض أصحابه وردوا إليه فرسه فركب وسار ومحمد ابنه بين يديه والفرسان

عن يمينه ويساره تُقاتل دونه ثم صاح برجال من أصحابه يعرفهم فوقفوا معه، وعطف على القوم فطردهم وأمر بنفوذ الرجال من عسكره، ثم كثر على وجهه وعينيه الدم من جراحة رأسه فأمر بوقوف الخيل حتى يغسل وجهه فغسله وسار ومن معه إلى صنعاء ثم مرض بصنعاء مرضاً شديداً. وكانت معارك بين أجناده ومخاليفهم فى وادى ضلاع ووادى ضهر، وأوصل أصحابه رؤوس بعض القتلى من مخالفيهم إلى صنعاء، وتعقبها معارك بين الفريقين حول قرية ظبوة وغيمان وبيت بوس وحدة وسناع إلى جمادى الآخرة سنة تسع وثمانية ومائتين للهجرة.

خروج الهادي من صنعاء إلى صعدة

في جمادى الآخرة مرض الهادى بصنعاء وقلت معه النفقة لجنوده فطلب من أعيان صنعاء الإعانة أو القرض له فلم يعطوه فعزم على الخروج من صنعاء وكان لشدة مرضه لا يقدر أن يثبت على فرسه فأمر بعائلته وحشمه فأخرجوا ووقف على باب الدرب حتى نفذ عسكره وأثقاله وقال لأهل صنعاء: والله لتَتَمنّوني وليضرِبنّكم الله بلباس من الجوع والخوف ولتُباعنّ نساؤكم بالدينار والدينارين والثلاثة جزاءً من الله على فعلكم وصنعكم ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾.

وسار حتى وصل صعدة فى بقية من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين للهجرة. وسيأتى قريباً ما فعله على بن الفضل وأصحابه بأهل صنعاء.

مسير الهادى إلى نجران

فى رجب سنة تسع وثمانين ومائتين للهجرة سار الهادى من صعدة إلى نجران فتلقاه عاملها محمد بن عبيدالله العلوى وولده على وجماعة من قبائل همدان بالقرب من قرية الحضن، ولما علمت بنو الحارث بقدومه أرسلوا إليه يطلبون قبول توبتهم فأجابهم إلى ذلك ووهب لهم ما كانوا أخذوه من الجباية على أن يدفعوا للناس حقوقهم وسار

إلى قرية الهجَر ثم رجع إلى صعدة بعد أن أخذ العهود على النجرانيين، وبعد أن أقام أياماً بصعدة حصلت فتنة بين قبائل يام وبنى الحارث، وقطعت قبائل يام الطريق فسار الهادى إلى نجران فى عساكر كثيرة وأخذ من اليامين نحو أربعين رجلاً وسار بجميعهم إلى صعدة فحبسهم مدة شهر ثم وصل إليه ابن بسطام وغيره من يام وراجعوه فى المحبوسين فأطلقهم وكساهم وأحسن إليهم وأرجعهم إلى بلادهم. وفى رمضان قدم أحمد بن عباد الأكيلي بمادة من آل طريف، وكان يرسل خيله تسرق فى علاف ونواحيها وتقتل مدةً.

ضرب الأكيليّين ووائلة

فى محرم سنة تسعين ومائتين للهجرة عزم الهادى على حرب ابن عباد الأكيلي ومن تابعه من المفسدين، فسار إليهم فى جنده وحملوا على القوم فطاردوهم فى الجبال، وتبعهم بالخيل ودخلوا إلى حصن علاف فهدموه، ثم طلب القوم الأمان فأمنهم. وكانت قبائل وائلة قد أحدثت فى طريق نجران أحداثاً والهادى بصنعاء فسار إلى أكتاف بلد المحدثين ثم سار إلى محل آخر فأقبلت إليه قبائل وائلة تطلب العفو والأمان فأمنهم وعفا عنهم.

طلب آل يعفر رجوع الهادي إلى صنعاء

لما حصل الاختلاف بين آل يعفر وعبيدهم كتَبوا إلى الدعام أن يكتب للهادى يستنهضه إلى جهات صنعاء على تسليم البلاد له ومحاربتهم للعبيد معه، فسار الدعام إلى الهادى وأكثر عليه فى ذلك حتى أسعده، وسار فى جمادى الأولى من صعدة إلى خيوان وبيت زود ثم ريدة وغيرها، ثم مضى إلى شرق خولان، والتقاه بعض الخولانيين وبلغه أن ابن خلف نزل فى قرية بيت عقب من بنى بهلول فخشى الهادى على عسكره، وسار إلى قرية بيت حاضر وأقام بها مدة ينتظر المادة من الجعفرى وابن

الروية، ووصل عسكر ابن خلف إلى قـرب عسكر الهادى فقـام فى وجوههم من مع الهادى من العسكر الخولانيين فاقتتلوا فـانهزم عسكر ابن خلف إلى قلعتهم ثم رجعوا إلى موضع الجند الخولانى فكانت بين العسكرين معركة انجلت عن قتلى من الطرفين، وسار الهادى إلى مطرة ومدر. ولمابلغ آل طريف قلة عسكر الهادى قصدوه فى عساكر كثيرة، ووقف آل يعفر بمواضعهم وتثاقلت قبائل همدان عن نصرة الهادى.

أسر المرتضى بن الهادي

فى أول رجب سنة تسـعين ومائتين للهـجرة نهض آل طـريف عبـيد آل يعـفر لقـتال الهادى، وقد كان انتقل من مدر إلى إتوة ومعه ابنه محمد المرتضى وصنوه عبدالله بن الحسين وغيرهما فحملت القوم على أصـحاب الهادى فطردوهم وكان محمد بن نهار الخولانى من أصحاب الهـادى أشار إلى القوم بالتقدم ثم انهزم من غير قـتال، فتقدم القوم حتى كانوا من وراء الهادى وأصحابه وحالوا بينهم وبين الطريق ثم مضى الهادى وأصحـابه فى القتال لمن أمـامهم وخلفـهم، وقتل جمـاعة وطعن الهادى فى وجـهه وأصابته جراحات، وافترق المرتضى عن الخيل وتحته مهر ضعيف فلحقته خيل القوم، وكان فيمن لحقه ابن الضحاك الخيوانى فـحال فيما بين القوم وقَتْلِهِ وأخذوه ورجعوا به إلى ابن خلف ومضـوا به وبأصحـابه إلى مدر، وكان على بغلـه، ثم ساروا بهم إلى صنعاء وطافوا بهم فى أسواقها وانصرف الهادى إلى ورور واستنهض همدان فتثاقلوا، ثم بلغه وصول جفتم عاملاً على اليمن من العراق فسار إلى صعدة ثم نجران.

سجن المرتضى بصنعاء
وبيت بوس ثم خروجه

بعد وصول المرتضى أسيراً إلى صنعاء قيـده ابن خلف فى سجنه بقية رجب ثم شعبان ورمضان إلى عـاشر شوال، ثم نقلوه ورفيـقه الفقيه مـحمد بن سعيـد إلى قلعة بيت

بوس وكان محبوساً بها عيسى بن معان اليافعى فهرب اليافعي منها إلى حراز فخاف آل طريف منه على بيت بوس. وفي يوم الأحد الخامس والعشرين من صفر سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة تقدم اليافعى وآل يعفر فى عساكرهم على بيت بوس حتى دنوا من القلعة ووقع القتال والرمى بالأحجار و النبال، وفتحوا القلعة وسار المرتضى ورفيقه مع أسعد بن أبى يعفر الحوالي بعد فك قيودهم إلى صنعاء ثم شبام ثم سار المرتضى عن إذنهم إلى والده بصعدة، وكانت مدة حبسه نحو ثمانية أشهر.

من شعر المرتضى فى أشهر حبسه:

لا تكثروا إن قلبى ليس يفزعه ... ثقل الحديد وحق الغُر أجدادى

ما زرتكم بقنا الخطيِّ مِنْ عنت ... في يوم إتوة لو اوفوا بميعادى

لكن همدان خانونا وما حفظوا ... لنا ذمام رسول الله فى النادى

ولو تناصفت الأبطال فى جدد ... ما كان عمرك رهط العبد أندادى

وقوله:

أتعلم يا ركيك بنى طريف ... بأنى ما رحلت عن الحجاز

وفى أملي البقاء لمُلك دنيا ... تدوم وما أمنت من المرازي

ولكنى نهضت بثأر ربى ... أذل الظالمين لدى البراز

بطعن في الخواصر والتراقي ... وفي الأوساط ينفذ كالجراز

أو الأخرى وتلك أجلُّ قدراً ... وأعظم للثواب لدى المجازى

وهمك أنت قينات وخمر ... وفسق لا تفيق من المخازى

فميز بين فعلكم وفعلى ... وبين غويٍّ كفرك واحترازى

تجدنى إن صدقت أحق منكم ... وأولى بالمقام وبالحياز

وإن أبى الإمام وإن رغمتم | له الرحمن بالإحسان جازى

وقصيدة منها:

وأبيك يا ابن العبد إن قيودكم | لأقل في عينى من البوغاء
أعليَّ تجلب بالقيود وإنما | حب الحياة مخالف آبائى

وقصيدة منها:

أَتَسْمُو للفخار وأنت عبدٌ | لئيم كل همتك الأثامُ
نسيتم مِنَّةَ الهادي عليكم | وقد ضاقت بأنفسكم شبامُ

وقصيدة منها:

قالت -وقد هالها حبسى وأجزعها-: | تجاهل القوم فيكم بعد ما علموا
فقلت إن هوانا دينٌ خالِقنا | والقوم قد عدلوا عنا وقد ظلموا
قالت أصابك فيهم قول ذى أدبٍ | حبست فاحتبست من حبك الدِّيمُ
إن العبيد -أضلَّ الله سعيهم- | يا ابن النبوة ما حازوا وما كرموا

وقصيدة منها:

يا بيت بوس حللنا في حواك على | خذلان أمتنا من بعد ميثاقِ
ماذا اعتذارهم عند النَّبِيِّ غداً | إذ لا يقومون فى نصرى وإطلاقى
حبسى عليكم هوان واذكروا خبرى | إن الفضيحة لا تشرى بأوراقِ

وقصيدة منها:

ألا ليس مثلى أيها العبد يجزع | فما شئتم بالجهل والكفر فاصنعوا
أتحسب أن الحبس والقيد هالني | وأنى مهين كالذى يتضرعُ

ولولا اعتذار المهر تحتى وضعفه … لظل لرمحى فى جموعك مشرعُ
ترانى لحاك الله أنكر فضل ما … حبيت به إنى إذاً منك أوضعُ
جهلت الذى قمنا به فحسبتنى … ألْيَنُ على البأساءِ كمن يتضعضعُ

وقصيدة منها:

هل ورا القتل لكم من غاية. . . … يابنى العبد اللئيم المرتكض؟
فاقتلوا إن شئتم أو فأسروا. . … . فلنا فى جنة الخلد عوض
فالذى صبرنى فى حبسكم … طاعة الله التي فينا افترض
إننى ما قمت إلا موقناً … بركوب الحتف من بعد المضض
ليس همى همة الوغد الذى … أينما أخضر له العيش ربض
لا يغرنك إن أبصرتنى … خلف حبس فى حديد مقتبضْ.

وقصيدة منها:

ألم تر أننى في الحبس ثاوٍ … كبيل فى الحديد قرير عين
لمعرفتى بفرض الله ربى … ومخرجنا لإحدى الحسنيين
فانك ما منحت به قبيحاً … فعيبوا مثل ذاك على الحسين

وقصيدة منها:

ظن اللئام بنو طريف إننى … كَمُرَوَّعٍ بين الوثاق خفاف
إن هولوا بحبوسهم وقيودهم … نحوى وذاك فعال كل ضعاف
فرأوا خلائق للنبى أصونها … ولهاشم والشيخ عبد مناف
حسب الغوى بأننى نازعته … عن دار مملكة وعيش صاف

وحياة دنياه التي هي همه | وجباية تجبى من المخلاف
جّهل الركيك حقوق آل محمد | والأمر بالمعروف والإنصافِ

وقصيدة إلى والده منها:

أمير المؤمنين تعزّ عنى | ولا تحفل ببعدى واغترابي
وهبنى كنت فى القتلى صريعاً | بأطراف الأسنة والحراب
وقم لله مُجْتَهِداً مُجِداً | فمثلك لا يُعَلَّمُ بالصواب
وكيف وأنت أعلم من عليها | وأبصر بالعلوم وبالكتاب
قليل فى المهيمن أخذ مثلى | وقل لأمره ضرب الرقاب
رضيت بمحنتي فى الله ربى | لكى أنجو بذاك من العقاب
وتجمعنا المواقف عند جدى | رسول الله فى يوم الحساب
فلا تخضع لأهل الكفر وانصب | رماح الخط واجعلها جوابى

وفى شوال سنة تسعين ومائتين للهجرة وصل الأمير جفتم العجمى من العراق عاملاً على اليمن ثانيةً فوصل إلى إرتل جنوبى صنعاء، وبقى ستة أيام يترقب الدخول إلى صنعاء فلم يؤذن له بذلك؛ بل خرج من فيها من آل يعفر وأتباعهم فأسروا جفتم وولده وابن أخيه وسجنوهم فى بيت بوس، ثم دخلوا به إلى صنعاء. وأراد أصحابه من الجفاتم وغيرهم القيام معه فناجزهم أسعد بن أبى يعفر وابن عمه عثمان وأصحابهما وقتلوا جفتم ومال الناس إلى آل يعفر.

وفاة ابن زياد أمير
زبيد والقحط باليمن

فى سنة تسعين ومائتين للهجرة توفى أمير زبيد إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد عن خمس وأربعين سنة من ولايته بعد أبيه وقام بعده ابنه زياد بن إبراهيم، ولم تطل مدة إمارته، بل مات سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة، فقام بعده أخوه أبو الجيش إسحق بن إبراهيم وطالت مدة ولايته، وسيأتى فى آخر هذا الجزء الاستيفاء لتاريخ زبيد.

وفى سنة تسعين ومائتين للهجرة اشتد القحط باليمن حتى أكل الناس بعضهم بعضاً، ومات الكثير جوعاً، وخربت بعض القرى.

ظهور على بن الفضل ومنصور حسن
سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة

كان على بن الفضل القرمطى الحميرى الخنفرى اليمنى على مذهب الإثنى عشرية، فحج إلى مكة وسار لزيارة الحسين بكربلاء، وكان يولول ويقول: ليت من كان معك يا ابن رسول الله حين جاءك جيش الفجرة، فسمعه ميمون القداح، وكان منجماً فلكياً يلازم ضريح الحسين ومعه ولده عبيد الله بن ميمون فطمعا فى اصطياد ابن الفضل وقال له ميمون: لابد لولدي عبيد الله من دولة يتوارثها أولاده ولا يكون بدايتها إلا من اليمن، فقال ابن الفضل: يمكن فى اليمن. ثم قال ميمون لمنصور بن حسن مثل ذلك، وبأن يكون خروجه مع ابن الفضل إلى اليمن.

وكان منصور قد عرف من ميمون إصابات فى علم الفلك فأجابه إلى ذلك ،ثم جمع ميمون بينهما وعاهد بينهما وأوصى كلاً منهما بالآخر وقال لمنصور: متى دخلت اليمن ستترك أمرك حتى تبلغ غرضك . . الله الله احفظ ابن الفضل وأحسن إليه

ومُره بِحُسن السيرة فإنه شاب وأوصى ابن الفضل فى منصور، ثم سارا من لديه إلى مكة، وخرجا مع حجاج اليمن حتى وصلا إلى غلافقة بتهامة.

أول عمل ابن الفضل في اليمن

قال الجندى والخزرجى وصاحب «أنباء الزمن» رجع ابن الفضل إلى الجَنَدِ ثم إلى أبين وهى بيد محمد بن العلى الأصابحى، ثم إلى بلاد يافع فوجد عامةً رعاعاً فعكف يتعبد فى بطون الأودية فيأتون بالطعام فلا يأكل منه إلا اليسير فأعجبوا به وسألوه أن يسكن معهم في رؤوس الجبال فلم يجبهم إلا بعد أن ألحّوا عليه، وأفصح لهم أنه يمنعه من السكون معهم عدم امتثالهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وشرب الخمور والتظاهر بالفجور؛ فحلفوا له على طاعته وترك مخالفته فوعدهم خيراً، وكانوا يجمعون إليه زكواتهم وافتتنوا به، ثم أمرهم بعمارة حصون بلادهم ففعلوا، ثم ألزمهم الغارة على أطراف البلاد جهاداً فى سبيل الله ويغنمون الأموال، وكان أمير أبين ولحج ابن العُلَى من صالحى الأصابح فقصده ابن الفضل بمن معه من يافع فهزمهم ابن العلى وأصحابه، وقتلوا من يافع كثيراً، فرجع ابن الفضل واجتمع إليه المنهزمون وكان ذا رأى فقال لهم: الرأى أن نرجع للهجوم عليهم الآن فإنهم قد أمنوا وتفرقوا، فساعده أتباعه فلم يشعر ابن العلى وهو بمدينة خنفر على غير أهبة وقد تفَرَّق عنه أصحابه إلا وقد خالطته عساكرابن الفضل فقتلوه، وقتلوا طائفة من أصحابه، واستولوا على خزائنه وفيها من النقود جملة كثيرة، واستباح ابن الفضل أهل خنفر ثم رجع إلى يافع فعظم شأنه وشاع وذاع. ثم كتب ابن الفضل إلى جعفر بن إبراهيم بن أبى جعفر محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبدالكريم المناخى الحميرى أمير مخلاف جعفركتابا يقول فيه: «إنما قيامى لإقامة الحق وإماتة الباطل، وقد بلغنى ما أنت فيه من ظلم المسلمين فادفع إلى أهل عُزلة دلال دية ماقطّعت من أيديهم». وقد كان جعفر قطع منهم على حجرة بمدينة المذيخرة ثلاثمائة يد ولم يزل أثر الدم على تلك الحجر مدة طويلة. ثم جمع ابن الفضل جموعه وسار نحو جعفر المناخى

فتلقاه فى جموعه إلى نقيل البردان، وكانت بينهم معركة فى ثامن رمضان سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة انهزم فيها ابن الفضل وأصحابه.

أول فعل منصور حسن باليمن

كان ميمون القداح قد أوصى منصور بن حسن الكوفى أن لا يبتدى أمره إلا فى بلد عدن لاعة ببلاد حجة، فسار إليه، ولزم مسجده، وأقبل على العبادة حتى مال إليه جماعة من الناس فلما علم أنها قد استكملت محبته فى قلوبهم؛ أخبرهم بأنه إنما قَدِمَ عليهم داعياً للمهدى الذى بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحالف جمعاً من الناس على القيام معه وأتوه بصدقاتهم فقال لهم: ينبغى أن يكون فى معقل يحفظ فيه هذه الزكوات لتكون بين مال للمسلمين فعمر (عين محَرم) هنالك ونقل إليه ما كان قد جمعه، وأظهر الدعوة إلى عبيد الله بن ميمون القداح ثم استولى على بلاد سور لاعة وحصنه واستعمل الطبول والرايات بحيث بلغت إلى ثلاثين طبلاً تسمع إلى مسافة بعيدة. ثم جمع جموعه وأغار بهم على أهل تلك الناحية حتى أبادهم وأخذ أموالهم ثم سار إلى بنى شاور فاستولى عليهم، ثم سار إلى شبام كوكبان، فقاتله أصحاب آل يعفر الحواليين، وخرجت عليه الأجناد من صنعاء فانهزم من شبام إلى جبل مسور.

خلاف أهل نجران ومسير الهادي إليهم

فى جمادى الأولى سنة اثنين وتسعين ومائتين للهجرة؛ تداعت بنو الحارث بنجران وتحالفت عند حصول الثمرة على العامل محمد بن عبدالله العلوى واجتمعوا إلى ابن حميد وآذنوا العامل بالحرب فكتب إلى الهادى بذلك، فكتب الهادى إلى ابن حميد وبنى الحارث بنجران كتاباً يقول فيه:

كتاب الهادى إلى بنى الحارث

﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيـروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا راد له ومالهم من دونه من وال ﴾. وأنتم قوم مخدوعون ملعوب بكم مفتونون مغروررون لا تتعظون بغيركم ولا تعتبرون بسواكم، ولا أشكر أن مع ذلك كثيراً من الخذلان لما أنتم فيه من كـراهية الحق والإيمان، ومتابعـة الشيطان ومخالفة الرحـمن. . . وهو مكتوب طويل كتب فى أسفله:

خذوا حذركم منى فإنى مُسيِّر	إليكم جنود الله والله غالب
تسير إلى الباغين حرب محمد	عساكر تملأ الأرض منها المقانب
على شزب تعدو بكل سميدع	بأيديهم البيض الرقاق القواضب
فتلقوننى مستبصراً فى جهادكم	وعندكم منى -لعمرى- التجارب
فويل لمن أضحى يهم بحربنا	وويل لمن لم يدر من ذا يحارب

وقصيدة منها:

لا زاجر لذوى الضلالة والردى	إلا السيوف غمادها فى الهام
قرب الوعيد وحان سفك دمائهم	لخلاف متبع القران إمام
مازال يصفح ثم يعفو	آخذاً بالفضل ذا حدب على الإسلام
حتى إذا طال النكوث وأسرفوا	فى البغى إن البغى فعل لئام
آذنتهم بالحرب إنى واثق	بالنصر من ذى العز والإكرام
وبذى الفقار آصول فى لجج الوغى	حتى أكشف حالك الإظلام

إلخ. . .

ثم سارت بنو الحارث ومنهم ابن حـميد وابن بسطام إلى عامل الهادى، فـخرج إليهم

ومن معه من المداينين فاقتتلوا ساعة، فحمل عليهم العامل وطردهم إلى ناحية الجب
فساروا بالليل إلى جهة أخرى فخرج عليهم العامل فاقتتلوا، وحمل عليهم فى خم
أفراس فطردهم وكانوا نحو أربعين فارساً ثم طلب ابن بسطام خروج العامل معه
قرية ميناس فخرج، ونقل أهله ثم سار الياميون إلى ميناس فكان الحرب بينهم
جهة وبين العامل وابن بسطام من جهة أخرى، ثم سار العامل إلى قبائل وادعة فَسُر
بقدومه، وكتب إلى الهادى، فأجاب عليه: لا تغتمَّ بما كان. وأرسل إليه قص
ليرسلها إلى بنى الحارث منها:

أبلغ بنى حارث عنى مغلغلة ... يجلو بها هم ذى غم وإبلا

أحييتكم بعد أن كانت منيتكم ... والموت يعلككم منه بأضراس

فكان شكركم لى شكر مثلكم ... لا شكر ناس ولكن شكر نسنا

فدونكم فاصطلوا حربى فقد هطلت ... بوابل همر بالموت رَجّا

إلخ...

وقصيدة منها:

رميتم يا بنى حار بن كعب ... بغرم ليس بالخطل الشؤ

دعاكم للهدى فكرهتموه ... ولم يك بالفسوق ولا الغشو

وأنتم فى الضلالة كل يوم ... كما قد قال ذو الأدب القد

وما ينفك من حارٍإلينا ... قطوع الوصل فارية الأد

فنغفرها كأن لم تفعلوها ... وبعض العفو ذَرْبٌ لِلَّئ

إلخ...

فلما وصل إليهم كتاب الهادى اغتموا له غماً شديداً، واضطربت عليهم الأمور،
سار الهادى من صعدة فى رابع رجب إلى نجران وأوقع بالمفسدين حتى طلبوا الع

والأمان فأمنهم واطمأنوا وعادوا إلى محلاتهم، ورجع الهادى إلى صعدة فى سابع ذى القعدة سنة اثنين وتسعين ومائتين للهجرة.

طلب أهل تهامة للهادى

بعد رجوعه إلى صعدة وصلته كتب إبراهيم بن على والغطريف الحكميين من تهامة يطلبان منه الوصول إلى بلادهما على تسليمهما ما فى أيديهما وأعطياه على ذلك العهود الغليظة، وتكررت كتبهم بمثل ذلك ،فاستدعى الهادى قبائل خولان وسار بهم نحو تهامة حتى انتهى إلى محل يعرف بالعنبرة فنزل فيه وأقام أياماً فقدم إليه كتاب الحكمى يستدعيه إلى محل طرطرة فسار إليه وتلقاه رسول الحكمى بالضيافة وعلف الدواب، وكان الحكمى قد أخذ ذلك من أهل البلد؛ فلما بلغ الهادى ذلك ارجع لأهل البلد ما أخذ منهم وقال: لا يحلُّ لنا أخذه ولا نفعله ولا نستجيزه. ورجع إلى الحكمى رسولُه فأخبره بما كان من فعل الهادى، فعجب لذلك، ورَغِبَ أهلُ البلاد فى الهادى وأحبوه وأقبلوا إليه، فندم الحكمى على ما كان من استدعائه للهادى، وثنى عزمه عن موالاته بعد العهود الأكيدة. ثم جمع الحكمى عسكراً كثيراً وسار لمحاربة الهادى فى ثلاثة آلاف راجل وزيادة على مائتى فارس، وكان الهادى فى ثمانمائة راجل ومائة فارس، ثم قرب الحكمى وعساكره من الهادى والتحم القتال وكانت قتلى من الفريقين ثم انهزم الحكمى وأصحابه، وطاردهم الهادى وأصحابه إلى قريب قرية الحكمى.

قتل إبراهيم بن خلف

فى محرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين للهجرة خرج إبراهيم بن خلف من مدينة الكدرا بتهامة يريد جبل ذخار؛ فلما وصل إلى طرف الجبل تلقاه أحد عبيد الأمير عدنان صاحب الجبل فقتله وهزم أصحابه وبعث برأسه إلى مولاه.

استيلاء ابن الفضل على مذيخرة
وقتله جعفر المناخى

فى صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين للهجرة قصد على بن الفضل مدينة مذيخرة مرة ثانية فى جموع كثيرة فدخلها وانهزم عنها جعفر بن إبراهيم المناخى، وسار إلى تهامة مستنجداً بصاحب زبيد، فأمده بجيش كثير فرجع يريد المذيخرة، فالتقاه ابن الفضل فى جموعه، وكانت بينهم معركة عظيمة فى وادى نخلة قُتل فيها جعفر المناخى وابن عمه أبو الفتوح حول أكمة حوالة يوم الجمعة آخر رجب سنة اثنتين وتسعين ومائتين للهجرة، وهو المنسوب إليه مخلاف جعفر باليمن الأسفل فعظم شأن ابن الفضل بعد ذلك، واستولى على جميع بلاد المناخى ومخلاف جعفر وجعل مذيخرة مستقر ملكه وأظهر بها مذهبه. قال البهاء الجندى الشافعى فى تاريخه، وغيره: وادّعى على بن الفضل النبوة وأحلّ لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات والأخوات ودخل مدينة الجند فى أول خميس من رجب فصعد المنبر وقال الأبيات المشهورة:

خذى الدُّف يا هذه والعبى — وغنى هزارك ثم اطربي

تولىَّ نَبيٌّ بنى هاشم — وهذا نَبيٌّ بنى يَعْرُبِ

لكل بنى مضى شرعة — وهذى شريعة هذا النبى

فقد حط عنا فروض الصلاة — وحط الصيام ولم يتعب

إذا الناس صلوا فلا تنهضى — وإن صوموا فكلى واشربى

ولا تطلبى السعى عند الصفا — ولا زورة القبر في يثرب

ولا تمنعى نفسك المعزبين — من الأقربين مع الأجنبى

بماذا حللت لهذا الغريب — وصرت محرمة للأب؟

أليس الفراش لمن ربه — وسقاه فى الزمن المجدب

وما الخمر إلا كماء السما يُحل فقدس من مذهب

أحل البنات مع الأمهات ومن فضله زاد حِل الصبى

وقد نقلناها كما حكوها والله أعلم وللناظر نظره.

نهوض ابن الفضل إلى صنعاء

قال صاحب «أنباء الزمن» وغيره: فى محرم سنة ثلاث وتسعين ومائتين للهجرة نهض ابن الفضل من الجند في جموع كثيرة إلى اليمن الأعلى، وسار فوجد جيشا عظيماً بحصن هران من أصحاب الحوالى، فكتب ابن الفضل إلى والى هران يستميله فأجابه، ودخل فى طاعته. وكان اليافعى فى مدينة ذمار فوجه عساكره لمحاربة ابن الفضل، وابن الفضل فى جيوش لا تطاق يقال إنها بلغت إلى أربعين ألف، فسار بجيوشه ونزل فى قرية ظبوة جنوبي صنعاء، وخرج من صنعاء أسعد بن أبى يعفر الحوالى فقاتلهم قتالاً شديداً، وقتل منهم نحو أربعمائة ورجع آخر يومه إلى صنعاء، وسار أصحاب ابن الفضل فى ليلتهم حتى نزلوا بجبل نقم فأقاموا به ثلاثة أيام لا ينزلون، ثم انتشروا في اليوم الرابع فقصدهم ابن يعفر ورجع إلى صنعاء.

وفى ليلة السبت عاشر محرم سار ابن الفضل فى خمسة آلاف مقاتل فدخلوا صنعاء ليلاً من سكة الشهابيين، أدخلهم منها مهلب الشهابى، فقصدوا غمدان ومسجد الجامع فحاربهم أسعد بن أبى يعفر إلى عصر ذلك اليوم، ثم خرج عن صنعاء، وكان يوماً عصيباً حصل فيه ما حصل على أهل صنعاء من الخوف والوجل والرعب والفشل، وخرج منهم من خرج بأهله وأولاده وتركوا أموالهم ومنازلهم فاستباح القرامطة صنعاء ونهبوها، واستولوا عليها قتلاً وأسراً ونهباً، واستباحوا المحارم وفعلوا العظائم، وأقاموا على ذلك خمسة عشر يوماً، وبعد وصول أسعد إلى شبام قصده القرمطى الذى فى جبل ذخار وحاربه حتى فر من شبام بأهله وثقاله إلى بلاد الدَّعام. وأظهر ابن الفضل مذهبه ودينه المشؤوم بصنعاء وارتكب المحظورات ورقى على منبر

جامع صنعاء وخطب خطبة منكرة صرح فيها بعقيدته الكفرية وحمل عليها من تابعه. وقد ذكر خطبته كثير من المؤرخين وتركناها تنزها عنها وهى شاهدة عليه بالكفر الصريح، على أن فى أعماله ما يغنى عن التصريح فقد بالغ فى دحض الشريعة وأباح المحرمات وأسقط حج بيت الله الحرام وأتى بدين خالف جميع الشرائع والمذاهب واتخذ جامع صنعاء اصطبلا للخيل وكان مؤذنه يقول فى أذانه: أشهد أن علياً بن الفضل رسول الله. انتهى.

وقال الجندى إنه حصل بعد وصول ابن الفضل إلى صنعاء المطر فأمر بسد المياذيب عن سطوح الجامع ثم أطلق النساء اللاتى سبين من صنعاء وغيرها وصعد إلى المنارة وأمر بإلقاء النساء إلى الماء عريانات فمن أعجبته منهن اجتذبها إلى المنارة وافتضها، وأثر حبس الماء فى سطح الجامع على سقفه... وساق الجندى مبالغات إلى أن قال: ثم استناب على صنعاء أسعد بن أبى يعفر الحوالى، ولم يجتمع به خوفاً منه، قال ابن جرير: وكان عنوان كتب ابن الفضل إلى أسعد: من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها على بن الفضل إلى عبده أسعد. انتهى والله أعلم.

وفى «أنباء الزمن» أن منصور بن حسن لم يوافق ابن الفضل على ما فعله بل لامه، ولما بلغه أنه قد استولى على صنعاء سرَّه ذلك وسارإليه فالتقيا، وكان منصور يهاب ابن الفضل وهو يجل منصور، ويقول هو سيف من سيوفه.

نزول ابن الفضل إلى تهامة
وفضائعه الأولى بزبيد

لما عزم ابن الفضل على نزول تهامه قال له منصور: الصواب أن تقف بصنعاء وأنا بشبام سنة حتى تصلح ما استفتحناه جميعاً؛ فلم يقبل قوله بل جمع نحوثلاثين ألف مقاتل وكانت طريقه نحو بلاد المغارب، ولما وصل إلى اللجب من الشرق ثارت عليه القبائل، وثبتوا له فى الأماكن الضيقة حتى لم يقدر على التخلص، فلما علم منصور

جمع أتباعه وسار لاستنقاذه فرجع إلى صنعاء، ثم سار منها فى ثالث ربيع عن طريق نقيل السود إلى سهام وسار إلى بلاد حراز و ملحان ونزل إلى مدينة المهجم ومدينة الكدراء بتهامة وقتل فيها، وسار إلى مدينة زبيد فهرب عنها صاحبها اسحق بن إبراهيم بن محمد بن زياد فهجم ابن الفضل على من فى زبيد واستباحهم وسبى من زبيد أربعة آلاف عذراء ثم خرج بهم ولما وصل إلى مكان شرقى زبيد يسمى المداحيض قال لأصحابه: إن نساء أهل الحصيب فتنة، وإن هؤلاء النساء يشغلنكم عن الجهاد فاذبحوهن وتجردوا للجهاد؛ فذبحوهن جميعاً فسمى ذلك الموضع المشاحيط، وبقى أثر الدم سنين، ثم سار إلى المذيخرة وأمر أصحابه بالحج إلى قرية الحرف.

قال ابن جرير الطبرى فى تاريخه: وفى جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائتين للهجرة قدم من مكة إلى بغداد نحو العشرة، فسألوا من السلطان توجيه جيش إلى بلادهم لأنهم على خوف من الخارج باليمن أن يطأ بلادهم، إذ كانت حروبه بتهامة وكان قد قرب منهم، ثم فى يوم الجمعة الثانى عشر من رجب قرىء على المنبر فى بغداد كتاب ورد على السلطان أن أهل صنعاء وغيرهم من اليمن اجتمعوا على الخارجى الذى تغلب عليها فحاربوه وهزموه وفلوا جموعه فانحاز إلى موضع من اليمن. قلت: كان الحسن بن كبالة قد تخلف فى هذه السنة عن إجابة ابن الفضل وقتل هو وأصحابه جماعة من أصحاب ابن الفضل بصنعاء.

استدعاء أهل صنعاء للهادي

فى سنة أربع وتسعين ومائتين للهجرة استدعى أهل صنعاء الهادى من صعدة فوصل إلى صنعاء وأرسل منها ولده المرتضى إلى ذمار ومخاليفها فاستعمل العمال عليها فقصدته القرامطة إلى ذمار بما لا قبل له به فسار عن ذمار إلى أبيه بصنعاء، ثم خرج على الهادى موالى آل يعفرالحواليين الحسن بن كبالة وابن جراح فحاربوه ونافسوه على صنعاء، فسار عنها إلى صعدة، ودخل صنعاء أسعد بن أبى يعفر الحوالى فملكها. ثم إن ذا الطوق اليافعى أحد قواد ابن الفضل قصد ابن الروية المذحجي إلى ذمار فهرب

منه إلى بلاد رداع وجمع عشيرته فتبعه ذو الطوق إلى رداع فقتله، ثم سار إلى صنعاء فملكها بعد أن قتل زيادة على ثلاثمائة إنسان من أصحاب أسعد بن أبى يعفر حول صنعاء. ثم استدعى أهل صنعاء الهادى ثانية من صعدة فأرسل بعض جيشه مع على بن أبى يعفر ومحمد بن عبدالله العلوى والدعَّام بن إبراهيم وأردفهم بجيش آخر بقيادة ولده المرتضى فخرجت القرامطة من صنعاء ودخلها المرتضى وأقام بها مدة.

استباحة ابن الفضل لصنعاء مرة ثالثة

فى جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين ومائتين للهجرة طلع ابن الفضل من مذيخرة نحو صنعاء فوصل إلى قرية حِزْيَز فخرج إليه أسعد بن أبى يعفر فى أصحابه فقتل من أصحابه ستين رجلا، وتكاثرت عساكر ابن الفضل وعرف من بصنعاء عجزهم عن المقاومة فخرج بعضهم عن صنعاء والتجأ بعضهم إلى دور العلويين بها ثم دخل ابن فضل فى جموعه إلى صنعاء فى غرة رجب فاستباحها أصحابه وقتلوا من وجدوا منها، وعمدوا إلى دورالعلويين فأخرجوا من فيها من المتخوفين وقابلوهم بالعذاب المهين. ولبث القرامطة فى صنعاء وبلادها ثلاث سنين يفسدون حتى رماهم الله بالآلام وعاجلهم بالانتقام فهلك منهم أمة لا يحصرها العدد، وانتقل ابن الفضل من صنعاء إلى مذيخرة وكان الهادى قد خرج من صعدة إلى بلدة ورور لتلقى القرامطة فبلغه انتشارهم فى البلاد فرجع إلى صعدة.

ظهور القرامطة بنجران
وإيقاع الهادي بهم

فى سنة أربع وتسعين ومائتين للهجرة ظهرت القرامطة بنجران وأعلنت بنو الحارث الخلاف، ومنهم ابن حميد الخيثمى ومرزوق بن محمد المرى وعلي بن الربيع المدانى وتربة بن الأسود الكعبى ومنصور بن هشام الذهبى وأعانهم قبائل يام، والذى حمل

ياماً على الدخول مع بنى الحارث فى الفساد ما كان من تقدم قتلهم لرجل مصرى وفد على الهادى وهموا جميعاً بقتل عامل الهادى، فكتب إلى الهادى يحثه على وصوله إلى نجران ونظم ولده على بن محمد قصيدة منها:

دارُ لمية ما بها آثار فالربع منها موحش مقفار

قد غيرتها بعد ساكنها الصبا وتقادم الأزمان والأمطارُ

يا خير من صلى وصام لربه من نسل آدم باحت الأسرارُ

ظهرالفساد بأرضنا وبلادنا قامت بذاك قرامط أشرار

قالوا إمامهم إله قادر كذبوا عليهم لعنة وصغار

فانهض -نصرت عليهم- فأبدأهم إن القرامط عاضدتها حار

...إلخ.

وفى بقية من رجب سار الهادى إلى نجران ومعه عبدالله بن قحطان الحكمى التهامى، وكان قد وصل إلى الهادى هارباً فى خيل ورجال من ابن عمه الغطريف بن محمد، فتلقى الهادى بنجران عبدالله بن بسام في بنى ربيعة مطيعاً وأمرالهادى بإخراب قرية الذين قتلوا سليمان المصرى حتى انقادوا ورجعوا والتزموا بتسليم دية المصرى، وأصلح فيما بين اليامين والوادعيين، وأنفذ الحدود الشرعية وضبط بعض الأشرار إلى السجن وقرر أمور عامل نجران، وسارعنها فى رمضان إلى صعدة، وقال على بن عامل نجران قصيدة منها:

ظهرت -لعمرك- ملة الإسلام بالفاطمى إمام كل إمامِ

وتتبع عامل نجران القرامطة فطاردهم وشردهم، ووصل محمد بن عبدالملك الوادعى إلى الهادى مراجعاً فى إطلاق من فى السجن من اليامين فأطلقهم الهادى وأمد الحكمى صاحب تهامة بخيل ورجال. وفى ذى القعدة كتب على بن محمد بن عبدالله العباسى بن العامل إلى الهادى قصيدة منها:

لاح المشيب بمفرقى وبراسى. . . وبعارضى فعاد كالقِرطاسِ

يا ابن الحسين تحالفت حار على. . . أن يقتلونا يا بنى العباس

من آل خيثمة ومذجح كلها والحى من يام وحى حماس.

وبنى ربيعة من يحل بصاعر. . . والقاطنين بحافتى ميناس

زعموا بأنك قد خذلت بصعدة. . . وشغلت بالعبد الذليل الخاسى

يا ابن الحسين تقاسموا أسلابنا. . . وخيولنا فاخرج بصولة قاسى

وانهض نصرت على العدى لتبيدها. . . وتحلها جدثا بسيف الباس

مَسير أحمد بن الهادى ثم والده إلى نجران

وفى سنة خمس وتسعين ومائتين للهجرة أعاد بنو الحارث بنجران الخلاف وتحصين حصونهم، فارسل العامل ابنه علياً إلى الهادى فى ذلك فارسل ابنه أحمد بن الهادى إلى نجران فى السابع من شوال فى ثلاثمائة راجل وعشرين فارساً، فاقبلت قبائل يام فأمنها وأصلح أمور همدان ثم سار الهادى فى عساكر إلى نجران ونزل قرية الهجر فى ثانى ذى القعدة وكانت بنو الحارث قد تحصنت فى موضع اللواء فسار عبدالله بن الحسين فى عصابة كانت بينهم وبين الأعداء ملاحم واستولت جنوده على حصن ثلا وغيره، وأتى عبيدالله بن بسطام يطلب الأمان من الهادى لبنى الحارث فأمنهم على أن يسلموا ما أوجبه الله عليهم وأمر بقتل ابن الربيع المدانى وكان قد قتل رجلاً من الأخلاف. وعظم عند يام والأخلاف رفع منزلة ابن بسطام فاجمع رأيهم على قتله فقتلوه، وكان قد قتل رجلاً من يام والأخلاف وقالت يام والأخلاف للهادى: وجدنا عدونا ابن بسطام فقتلناه، وأقام الهادى بنجران يقرر أمورها إلى خامس ذى الحجة، وسار عنها إلى صعدة بعد أن ترك مع عامله بنجران زيادة على عشرين فارسا وخمسين راجلاً وعقيب عيد الأضحى قام ابن حميد بن الغوث الحماسى باستفزاز

بنى الحارث واستمالتهم إلى الفساد، ومحاولة قتلهم عامل نجران، وساروا فى عشرين فارسا وخمسين راجلا إلى سوحان نجران فكتب العامل إلى الهادى ثم أرسل ابن حميد جماعة قتلوا تسعة من عسكر الهادى وسلبوهم وغيرهم وساروا إلى ميناس .

قتل أهل نجران العامل وأصحابه

فى سنة ست وتسعين ومائتين اجتمعت بنو الحارث على قتلهم للعامل أبى جعفر فدخلوا القرية، فدعا العامل بنى عبدالمدان فلم يجيبوه، وانقلبوا مع القوم عليه فقال :

غدرتم يا بنى عبد المدان ... وكان الغدر من شيم الجبان.

حلفتم لى بأيمان غلاظ ... تخر لها الصخور مع القنان.

بانكم على نصرى حراص.. ... غداة الروع فى وهج الطعان

فلم توفوا بعهدكم وكنتم.. ... شراراً يا بنى عبدالمدان.

ثم التفت إلى أصحابه وقال لهم: لاتحزنوا لقلتكم وكثرتهم، وموتوا كراما على دينكم. فقالوا: والله إنا لنعلم أنهم على الباطل ونحن على الحق، وما يغمنا إلا أن يتمكنوا منك، ولوددنا ان الله سلمك بذهابنا جميعاً فقال: لهم أوفى الله أمانتكم فبينما هم على ذلك فى باب الدار واذ أقبلت بنو الحارث نحو الدار وابن حميد فأحاطوا بالقرية فأخذ العامل سيفه ودرقته وشد عليه جوشنه وقال لأصحابه: الجلاد دون نفوسكم، ثم أغلقوا باب الدار وفيهم عبدالجعد بن إبراهيم ففتح لبنى الحارث باب الدار وتحصن العامل فى أعلاها، وصعدت بنو الحارث الدرجة فتلقاهم محمد بن الحسين العباسى فمازال يقاتل حتى قتل وأتت بنو الحارث بالسلالم فطلعوا من الخارج إلى سطح الدار وهدموا جوانب منها حتى صار العامل فى رواق قدام البيت الذى فيه الحرم فكان بنو الحارث يرمونهم بالنبل والحجارة وكان القتال الشديد حتى كثرت فيه

الجراحات ولم يسترهم عن الرمى جدار، وغشيتهم بنو الحارث فدخلوا البيت الذى فيه النساء والأطفال، فقال العامل لبقية أصحابه: موتوا قبل أن يصل العدو إلى واحدة من نسائكم ليتم لكم فخر الدنيا وثواب الأخرة. فقاتل دونهن محمد العامرى وجعفر بن احمد العبدانى وعباس بن عبدالله العبدانى حتى قتلوا، وجرح يوسف بن يعقوب الهمدانى؛ قاتل دونهن مقبلا ومدبراً حتى ضرب فخرجت أحشاؤه فرجع إلى أصحابه وقال: قاتلوا عن الأخيار حرم رسول الله الأطهار. ثم التفت الى بنى الحارث وقال لهم: إن الرجال تقتل الرجال ولكن اخلفونا فى حرم رسول الله ويبرز لكل رجل منا رجلان منكم وشد على بطنه بعمامته وخرج على القوم فلم يزل يضرب مقبلا ومدبرا حتى قتل ثم خرج غيره فقاتلوا حتى قتلوا، وأحرقت بنو الحارث الدار من أسفلها وهدموا السقف من أعلاها وأحرقوا بعضه وتابعوا رميهم بالنبل والنار ووضع الصخور. وخرج لمقاتلتهم أحمد بن عبيدالله وإبراهيم بن سليمان خال العامل وأحمد بن زكريا اليناعى الهمدانى وميمون بن محمد المدانى وإسحق بن إبراهيم الحمزى ، ومازال كل واحد منهم يقاتل حتى يقتل بعد الذى قبله وتلاهم ابراهيم بن محمد الخولانى وأحمد بن عبدالله الخولانى وغيرهما، حتى استشهدوا كذلك ، ولما اشتد الحال بالعامل وبقية أصحابه قالوا له قد أدينا مايجب الله ولك علينا. قال: نعم جزاكم الله خيراً. فقالوا: نحن نقيكم بأنفسنا ونستودعكم الله وهو خليفتنا عليك. وخرجوا خرجة رجل واحد فلم يزالوا يقاتلون حتى قتلوا جميعاً. ثم خرج العامل إلى القوم فحمل عليه أحمد البشرى فضربه العامل ضربة قطعت ابهام يده، فحملت بنو الحارث على العامل حملة رجل واحد فأصابوه بنبل كثيرة فى وجهه، ومازال يضربهم بسيفه حتى ابعدهم واستمر يجالد شجعانهم حتى ضربه الحارث بن الحارث بسيف من خلفه فأسقطه إلى الأرض، ثم وضعوا فيه سيوفهم وقطعوه وسلبوه ثيابه وغيرها وأخذ منصور بن هاشم الذهبى خاتمه وكان نقشه «شرى نفسه لله محمد بن عبيدالله» ثم وضعوا سيوفهم فى النساء والأطفال، وقتلوا الحسن بن العامل، وكان فى ست سنين وغيره ممن عمره دونه، وقطعوا رأس العامل وطافوا به فى نجران. ثم كان دفن جثته فى موضع البلاط بالقرب من قرية الهّجر بنجران . . .

انتهى ملخص من سيرة الهادى لعلى بن محمد بن عبيدالله العباسى العلوى.

وفى ترجمة العامل محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبيد الله بن الحسن بن عبيدالله بن العباس بن على بن أبى طالب وولده علي بمطلع البدور للقاضى أحمد بن صالح أبى الرجال؛ أن محمد بن عبيدالله كان عاملاً كبيراً فاضلاً شهيراً فارس بنى هاشم المفضال خرج مع الإمام الهادى من الحجاز وولى له نجران وبنى الحارث فكان له يوم كيوم الطق مع الحسين بن على وقبره بمدينة الأخدود بنجران، وهو أحد ثقات الإمام الهادى وثار به الهادى وأوقع ببنى الحارث ومن ظاهرهم. وحفيده هوالسيد العلوى قمر آل الرسول على بن موسى بن ابى جعفر محمد بن عبيدالله العلوى توفى سنة تسعة وتسعين وثلاثمائة للهجرة وقبره بصرح جامع صنعاء غربى الصومعة الشرقية.

ورثى العامل ولده على بقصيدة طويلة منها:

منع الحزن مقلتى أن تناما ... وذرى الدمع من جفونى سجاما

يوم ناديت حى الأخلافِ للنصر ... على مذحج وناديت ياما

ودعونا لنصرنا الوادعيين فلم ... ينصروا الإمام الهماما

لا يجيبون صارخا قام يدعو ... بالهمدان انصروا الاسلاما

ودعونا ثقيف كى ينصرونا ... فأجابوا ولم يكونوا لئاما

فخرجنا بهم إلى حار كعب ... بخيول إلى العدو ترامى

فأتانا الخبير يخبر أن قد ... قتل الهاشمى وذاق الحماما

فقلت حارث بن كعب شريفاً ... خير من وحد الاله وصاما

قتلوه فافحشوا القتل فيه ... حين اصخى لديهم مستظاما

كان حرزاً للمسلمين وكهفا ... ورجاءً ومعقلا ونظاما

قتل الله مذحجاً شر قتل بابى جعفر وأُصلوا غراما

وجزى الله والدى غرف الخلد وأعطاه جنة وسلاما

فلقد كان وافى العهد لله وبالحق والهدى قواما

عبد الله واستقام على الحق وأوفى بالبيعتين الإماما

فظائع ابن فضل بزبيد ثانية

فى صفر سنة سبعة وتسعين ومائتين للهجرة خرج على بن الفضل من مذيخرة قاصداً زبيد مرة ثانية فانهزم صاحبها ابن خارج إلى المهجم، فاستباحها ابن فضل، وقتل كثيراً من أهلها، وسبى من نسائها، وأقام بها سبعة أيام، ثم نصب عاملاً عليها، وعاد مذيخرة، فرجع إلى زبيد صاحبها ابن خارج وطرد عامل ابن الفضل.

ليلة الإفاضة

قال البهاء الجندى الشافعى فى تاريخه: انهمك ابن الفضل فى تحليل محرمات الشريعة وإباحة محظوراتها، وعمر دارا واسعة يجمع فيها غالب من تابعه نساءً ورجالاً متزينين متطيبين ويوقد الشمع ساعة ثم يطفئه ويضع كل واحد من الرجال يده على امرأة ويقع عليها ولو كانت من محارمه . . . إلخ.

ومثله حكاه صاحب سيرة الهادى. وأنه لما بلغ الهادى ذلك بعث على بن محمد بن عبيدالله العباسى فى جمامعة من أصحابه نحو صنعاء، وكتب إلى الدعَّام أن يسير معهم، ففعل، وساروا فدخلوا صنعاء فى التاسع عشر من رجب سنة سبعة وتسعين ومائتين للهجرة، واخرجوا عامل القرامطة منها. ثم أرسل الهادى ابنه المرتضى فى جماعة من خولان وهمدان فدخل صنعاء فى العاشر من شعبان وبعث عُمّاله إلى مخالف مقراء وإلهان وحراز وغيرها فدخلت فى الطاعة وقتلت من دعاة القرامطة

جماعة وأمنت العشائر، وبلغ ابن كبالة ذلك وهو بتهامة مع مظفر بن خارج، فقدم إلى الهان فمال إليه الكثير من الناس رغبة فى الفساد، ثم أرسل إلى حراز من أخرج عنها أصحاب الهادى، فكتب الهادى إلى ابنه بالانصراف وعدم الحرب لابن كبالة لئلا يجتمع عليه حرب القرامطة وابن كبالة؛ فعاد المرتضى إلى صعدة من صنعاء. ثم وصل القرامطة من شبام إلى صنعاء فلبثوا بها أربعة عشر يوماً لم يجدوا فيها أحداً، ثم قدم جراح بن بشر من تهامة. وفى ذى الحجة نهض من قرية قدم أسعد بن أبى يعفر فدخل صنعاء ليلة النحر للقضاء والخطبة فيها عبد الأعلى بن محمد بن الحسن بن عبدالأعلى بن إبراهيم بن عبدالله الأبناوى وأقام أسعد بصنعاء وابن كبالة بذمار .

سنة ثمان وتسعين ومائتين للهجرة

فى ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومائتين للهجرة خرج أسعد بن أبى يعفر من صنعاء إلى شبام لحرب القرامطة بها فكانت الحرب ودخل أسعد شبام وطرد القرامطة، ثم عطفوا عليه من حصن ذخار كوكبان فأخرجوه عن شبام، وقتلوا عبدالقاهر بن أحمد بن أبى يعفر، ثم وصلت لأسعد مادة من ابن كبالة من ذمار فعاد إلى حرب القرامطة وأخرجهم من شبام وصعد الجبل فطردهم عنه فى ذى الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين للهجرة ثم بلغه نهوض ابن الفضل من مذيخرة نحو صنعاء فرجع أسعد عن شبام إلى صنعاء.

آخر حروب الهادى

قال مؤلف سيرته: روى أصحابنا أن آخر حروبه بوادى نجران، وقد كان عليلاً من مرضه الذى مات منه، وأن العدو قصده إلى قرية الحضَن بنجران فخرجت خيوله وكان مريضاً لم يخرج معها، فلما تراءى الجمعان كانت حملة العدو على أصحاب الهادى فولوا مدبرين وقُتل يوسف بن أبى حرب العنسى من أصحابه، فلما رآه

الهادى خرج مريضاً، ورأى أصحابه قد انهزموا فوبخهم وقال: حين تخلفت عنكم ساعة وجد العدو فيكم مدخلاً ولم تعطفوا على أخيكم وتنقذوه من يد العدو، ولقد فسدت قلوبكم ولن تروا من بعدى إماما تقاتلون معه. وأكثر توبيخهم حتى صححوا التوبة وجددوا البيعة وكانت وفاة الهادى لعشرين ذى الحجة سنة ثمان تسعين ومائتين للهجرة.

نصيحته لبنى عمه بالحجاز وغيره منها:

نفى النوم عن عينى هم مضاجع	وخطب جليل فهو للنوم مانع
أفكر فى الدنيا وتافه شأنها	كما طال فكرى والعيون هواجع
سبتهم بحسن الذوق من شهواتها	فكل لها إلف محب مطاوع
يوفر ما قد نال من فضلانها	ويذخر للورّاث ما هو جامع
ويبخل عن تقديم خير لنفسه	ويجزع عن إخراجه يبمانع
ويمنعه التسويف عن باب رشده	ويعجل فيما ضره ويسارع
ويذخره حتى يكون كأنه	إلى ماله بعد المنية راجع
أليس عظيماً أن يسالم مبطل	ظلوم لأهل الحق فالحق خاضع
قتيل قليل أهله ومضيع	فساحته فقر قواء بلاقع
وعطّله أنصاره وحماته	فقد درست أعلامه والشرائع
وآل رسول الله قد شغلتهم	عيون وأموال لهم وزرائع
وحقد وإحياء الضغائن بينهم	ولم يجمعوا فيه وقل المطاوع
أرى الطالبيين الأسود تخاذلوا	فمنهم مدانٍ للعدى ومصانع
ولم يطلبوا إرث النبوة بالقنا	ولم يمنعوه والرماح شوارع

أرى حقهم مستودعا عند غيرهم ولابد يوما أن ترد الودائع

هلموا إلى ما يورث الفخر والسنا فما عز قوم أمرهم متنازع

فلو عضدتنى عصبة طالبية لهاشيم محمودة ودسايع

وصبرعلى البلوى إذا نزلت بها جحاجح فى اسيافها السم ناقع

إذاً ملكوا الدنيا وذل عدوهم ولم ير فى روضاتهم وهو راتع

ولكنهم أضحوا وأمسوا كآيسٍ مدار فيعطى تافهاً وهو قانع

فذرية المختار فى عقواتها وفى الأرض قد ضاقت عليها المواضع

شديد عظيم أن تسيروا أذلة وأنتم ليوث حين تخشى الزعازع

فشدوا وصونوا دينكم وتحاشدوا وقوموا فانتم مرهفات قواطع

كذلك أنتم آل أحمد فانهضوا بجيش كسيل حدرته الجراشع

فما العز إلا الصبر فى حومة الوغى إذا برقت فيه السيوف اللوامع

هل الملك إلا العز والمجد والهدى وأفضلكم من هذبته الطبائع

يقلب بطن الامر فيه لظهره ويمضى إذا ما أمكنته المقاطع

يموت الفتى منا بكل مهند وأسمر مسنون الشبا وهو دارع

فتلك من منايانا وإنالمعشر من الناس فى الدنيا النجوم الطوالع

أبونا امير المؤمنين وجدنا رسول الذى منه أتتنا الشرائع

نهضت ولم أعجل وقلت مواعظا ذخائر علم ان وعاهن سامع

وكم قائل فى نفسه وضميره أيا واعظاً فى ذا كلامك ضائع

فكيف غناء الكف عند اجتهادها اذا لم تعنها بالفعال الأصابع

بنيت لكم بيتاً من المجد سمكه دوين الثريا فخرُه متتابع

فاضحى لكم عزبه ومفاخر وذكر وفضل شامخ المجد يافع

نعشت كتاب الله بعد خموده فليس بغيرالحق يزمع زامع

وحرمت ما قد حرمته نواطع من آى كتاب الله غر جوامع

ولا أمت أحكام الكتاب بأسرها كما لا أم الذود الشتيت المشائع

فطال بفضلى كل آل محمد وكل عزيز منهم متواضع

وشيعتهم عالون فى كل حجة وأمرهم فى آل أحمد جامع

وجوههم تزهو بنور فعالهم إذا فخروا طالوا على من ينازع

لأنهم أحيوا كتابا وسنة بها شهدت عند الفخار الصوامع

نقمتم علينا فى العطية فاسمعوا فما القول إلا ما وعته المسامع

ألم تعلموا أنى أجود بمهجتى ومالى جميعاً دونكم وأدافع

ولست وبيت الله اذخر عن اخ إذا نلت ما فيه الغنى والمنافع

ألم تفهمونى فى بدى أموركم وفى صغر منى وإذ أنا يافع

وإنى لأحمى ان أبيت بغبطة بطيناً وجارى مقتر وهو جائع

ولست إذا أعطيت أبقى بقية ولست إلى ما لا يحل أطالع

فما احد يسعى لينعش عزكم سواى وهذا عند ذى اللب واقع

فلا راتق ما قد فتقت على العدى ولا واضع فى الحق ما أنا رافع

تظنون أن المال عندى مراكم وإنى به عنكم ضنين ممانع

ولست -بنى عمى- أخاتلك فاعلموا وليس عن الأموال مثلى يدافع

أبى الله لى هذى الفعال وهمنى وان آمرؤلا تعترينى المطامع

وإنى قصدت الله فى الأمر كله وإنى له عبد مطيع مبايع

ومن بايع الرحمن لم يبغ غيره وذو البخل بالاموال -والله- جائع

أبعد مشيب الرأس والعقل والنهى صبوت إلى الاموال إنى لطامع؟!

فلو إن أرض الله طراً بأسرها وأمثالها أضحت حوتها الاشاجع

لجدت بها -والله قولة صادق- لكلكم صدرى بذلك واسع

بنى العمم إنى فى بلاد دنية قليل وداها شرها متتابع

وليس بها مال يقوم لبعضها وساكنها عربان غرثان جائع

سلوا الناس عنها تعرفوا ما جهلتم من أخبارها خير الرجال المطالع

نسيتم محاماتى عليكم ودونكم وذلك مفهوم لدى الخلق شائع

فان لم تكافونى بفعلى فتحسنوا فلا تأتنى منكم -هديتم- قطائع

بنى عمنا الدنيا تدور بأهلها وايامها عوج -هديتم- رواجع

فلا تيأسوا منا لعل أمورنا سيسعفها دهر موات مشايع

فللدهر حالات تقلب اهله فيخفض مرفوع ويرفع تابع

وليس أخو الأيام إلا مناظرا عواقبها لا أعوج الرأى جازع

عليكم سلام الله ما ذر شارق وما سجعت فوق الغصون السواجع

توعده لولاة الجور بالعراق وغيره

ألا أبلغ ولاة الجور عنى مقالة صادق فيما يقول

بأنى إن سلمت لكم قليلا | وتنسينى منيتى العجول
ترونى فى كتائب مرغمات | أنوفكم إذا حضر الصقيل
من اليمن الذى فيه مقال | من الرحمن جاء به الرسول
على حصن مسومة كرام | خلال القسطلين بهم تجول
بايديهم بواتر قاطعات | بها من ضرب هامكم فلول
اذا استعر الصدام بصحن قاع | وخلى عن خليلته الخليل
وثار النقع واختلطوا جميعاً | وكلت من مطاردة خيول
ولم يعرف أخ فيها أخاه | سوى أن الشعار لهم دليل
فحينئذ ترونى غير فاءٍ | ولكنى خلالكم مثيل
أضرب فى جماجمكم بماض | له فيها اذا استولى صليل
أكرعلى عتاتكم كميتا | شديد الأسر همته الصهيل
تحف به قبائل أهل بأس | يمانيون عزهم أصيل
وحولى المؤمنون أولوا المعالى | وحولكم الاراذل والجهول
فينصر ديننا ذو العرش ربى | فتلقوا فى الإسار لكم عويل
أعدّل فيكم عوجاً وميلا | وعاد الحق دهراً ما يحول
وأحكم بالكتاب كتاب ربى | فقد حارت عن الرأى العقول
واقفو سنة المختار جدى | وما قد قاله البر الوصول
فيلفى الجور قد هتكت عراه | ويعقب عزه ذل طويل
ويضحى الحق أبلج مستبينا | وبعد السخط قد رضى الجليل

وعاد الناس فى عدل جميعاً — وأشبعت الأرامل والكهول
ومسكين وأيتام ضعاف — ويكسى فيه عريان ذليل
ويقضى عنهم غرم ودين — ويأمن فيهم لهم السبيل
ويقسم فيئهم فيهم جميعاً — كثير المال منه والقليل
ويصبح راغماً إبليس حقاً — ويرضى الله ليس له عديل

وهذه خلاصة سيرة الهادى من تحفة المسترشدين

أول من جدد فى قطر اليمن — للدين من آل النبى المؤتمن
وقام بالإمامة الشرعية — ووطد الخلافة المرعية
يحيى أميرالمؤمنين الهادى — وناعش الدين بهذا النادى
ابن الحسين الحافظ ابن القاسم — سليل إبراهيم ذى المكارم
سليل اسمعيل ديباج الصفا — سليل إبراهيم شبه ا لمصطفى
ابن المثنى الحسن بن الحسن — ابن على سيف رب المنن
اقضى الورى زوج البتول الزهرا — بنت ختام المرسلين طرا
مولده فى (همر) بيثرب — جوار طه جده خير نبى
وقد روت جدوده فيه الخبر — عن جدهم بانه متى ظهر
يأمر بالمعرف فى قطر اليمن — ويبدل المنكر فيه بالحسن

ثم روى العلوم عن أبيه ... حفاظة الآل وعن عميه

عنهم سماع ثم بالرواية ... عن علماء قادة أئمة

كما لك وعابد الرزاق ... وابن جريج مفخر الآفاق

وابن ابى شيبة مولى المسند ... ونحوهم من حافظ ومسند

فملأت علومه الأقطار ... وجاوزت عن قطره البحارا

واغترفت من بحره الوراد ... واعترفت بعلمه النقاد

وسل مفاتيح الإمام الرازى ... فى سورة التوبة عن إيجاز

وانظر إلى الأحكام والفنون ... فى الفقه والزهد بلا ظنون

وسفره التفسير للقرآن ... جميعه وللغريب الثانى

والبالغ المدرك والمنتخب ... ومرشد المسترشدين النجب

والخشية التوحيد والديانة ... والجملة التثبيت للإمامة

وعدد المنصور أربعينا ... تاليف يحيى الناعش اليقينا

ونظمه المشهور ما بين الورى ... فى المدن الكبرى وفى جل القرى

ونثره من أجود الكلام ... ومنه ما معناه فى نظامى

العلم مصباح صدور العلما ... والورع الزيت له عند الظما

والورع الصحيح والمكالبة ... على الدنى بينهما مجانبة

كالماء والنار على طول المدى ... ضدان لا يجتمعان أبدا

وكل من رغبته شديدة ... فى جمعها كطالب المكيدة

لنفسه بكاذب التأويل مقتحماً فى المهلك الوبيل
وكالحسود لايريح قلبه ولا يزيح غمه وكربه
ويجعل العظيمة الكبيرة من فعله كأنها صغيرة
ونحوها فى الحكم المفيدة من درر منثورة فريدة

وصوله اليمن سنة ثمانين ومائتين للهجرة وعوده الحجاز

عن طلب الأعلام والأعيان بحُل أنحا الأفق اليمانى
أتى إلى صعدة من شام اليمن هادى الورع يحيى الإمام المؤتمن
وسار حتى أم وادى الشرفة شمال صنعاء فى صحاب مسرفة
اغتصبت خوخاً على الرعية فصاح فيهم أعدل البرية
يا قوم والله المعيد المبدى ما هى إلا سيرة كجدى
حقاً أو النار فما المخازى هاتى وفوراً عاد للحجاز
فحدثت من بعده باليمن حوادث من فتن ومحن
فراجعوه وهو بالرس وفى طيبة طه بالمقام الأشرف

وصوله الثانى سنة أربع وثمانين ومائتين للهجوة ومبايعته

ثم أتى يحيى فبايعوه بصعدة الفيحا وتابعوه
فى أربع بعد الثمانين مضت ومائتين قبلها قد انقضت
وأقسموا ببارىء الوجود على الوفا للحق بالعهود

فقال شرطى لذوى الإيمان ... حكمى بما فى محكم القرآن

وسنة المختار جدى أحمد ... بلا محاباة ولا تردد

وثانياً تقديمكم عند العطا قبلى وتقديمى إلى الأعدا الخطى

والشرط لى على ذوى الايمان

النصح فى سرٍ ... وفى إعلان

وطاعة الأمر بكل حال ... مهما أطعت الله ذا الجلال

والله إنى ما أكلت لقمة ... مما جبيت من جميع الأمة

وإنما انفق من شىء معى ... من الحجاز فاسمع القول وعِ

وفرق الربع من الزكاة ... فى الفقرا بتلكم الجهات

وحسم الأحداث فى خولان ... وغيرها بالصلح والأمان

وقابلته يام كالأحلاف ... وشاكر بالبر والإنصاف

وقطع الخصام بين يام ... وبين نجران على التمام

ونصب العامل فى نجران ... سليل عباس رفيع الشان

ووضع العهد لأهل الذمة ... وقرر القواعد المهمة

ونصب العامل فى همدان ... عبدالعزيز الفاضل النجرانى

فقبض الأعشار من تلك الفرق ... مجموعها خمسة آلاف فَرَق

توجهه إلى صنعاء سنة اثنين وثمانين ومائتين للهجرة وإرساله عُماله حتى إلى عدن

وكان فى صنعاء أجل ناحية أميرها المدعو أبا العتاهية

يُنكر أفعال بنى طريف وظلمهم للمسلم الضعيف

وظلم من كانت من الأعاجم تعرف فى صنعاء بالجفاتم

فكاتب الهادى إلى الحق القويم وبعدها أرسل للفوز العظيم

شقيقه الجراح فى رجال فبايعوا الهادى على الكمال

فانتقل الإمام هادى الأمة إلى رُبَى خيوان ثم ريدة

وسار منها نحو حدقان فى رجله الجم وفى فرسان

وفيه وافاه أبو العتاهية مبايعاً متابعاً على نية

فانتقل الهادى إلى أزال لطمس آثار ذوى الضلال

وسار من صنعاء إلى شبام ثم انثنى إلى الحدا بالعام

ودار فى سمح وفى ذمار وفى يريم وحمى ظفار

وأرسل العمال أعيان الزمن إلى جهات عدة حتى عدن

عاملها على الدركانى والرازى العامل فى جيشان

والرسمى كان على رداع وغيرهم فى سائر البقاع

ثورة ابن محفوظ ورجوع الهادي عن صنعاء

وثار فى صنعاء ابن محفوظ ومن إليه من غوغاء فى أم اليمن

فطردوا عاملها للهادى نجل سليمان أخا السداد

وأطلقوا من سجنه للمعتدى وأرجعوا الخطبة للمعتضد

فازمع الهادى على المسير فى أهليه والأتباع والخل الوفى

وذكّر الأعداء فى شبام بنكثهم للعهد والذمام

وخلفهم للوعد تلو الوعد ونقضهم للعهد تلو العهد

وعاد منها ريدة فى فئة فثارت الأعداء مع صعصعة

ودخلوا ريدة نحو الهادي فصال فيهم صولة الآساد

وبدد الجمع بذى الفقار وقال فى النظم الشهير السارى

الخيل فى الهيجاء كالمثقف تشهد لي وذا الفقار المشرفى

بالصبر والإبلاء والإقدام وضربى الهامات للطغام

وطلب المولى أبو العتاهية عود إمام الحق خير ناحية

فساعد الهادى وعاد صنعاء وقد أسا فيها الطغاة الصنعاء

وآمن الناس بصنعاء وثلا من محكم الذكر على جل الملا

آية لا تثريب لا عليكم مما مضى يعفو الإله عنكم

فسر كل الناس فى صنعاء اليمن ما كان من عفو وتامين ومَن

حروب جنوب صنعاء والدرب

وجهز الهادى أبا العتاهية جنوب صنعاء فى رجال عادية

وخرج الهادى إلى من فى علب فانهزم الخصم وولى وانقلب

وعادت الأعداء فى ألوف　　مُحتلةً لنقم المنيف

فخرج الإمام فى شجعان　　وكان ما كان من الطعان

وانتقل الحرب إلى درب القطيع　　بنفس صنعاء ودهى الخطب الفظيع

وطارد الهادى بسيف منتضى　　ونجله البدر الإمام المرتضى

جميع من قد كان بالدروب　　فخرج القهار للكروب

وجاهد الإمام بعد العيد　　عداه فى مهامه وبيد

فاستشهد المولى أبو العتاهية　　فى حرب حدين وتلك الناحية

ومثله استشهد فى الجهاد　　نجل سليمان قريب الهاد

وغيرهم ممن قضى فى علب　　ونقم من الكماة النجب

حرب ظبوة وسقوطه عن فرسه ومسيرة صعدة

وكان فى ظبوة أى حرب　　ومعرك فيه قد أشد الضرب

ورجم الأعدا ذوو العناد　　بحجر عظمى جواد الهاد

فسقط الجواد بالإمام　　ثم رماه أخبث اللئام

بحجر فخر مغشياً عليه　　فبادروه الضرب والرجم إليه

وحاولوا الطعن له فى الحال　　فحال دون الطعن بدر الآل

سليله محمد سيف القضا　　جبريل أهل الأرض وهو المرتضى

واستشهدت فوراً بتلك الناحية　　من ذب عنه من ليوث عادية

وصاح فى القوم أولى العناد　　صائحهم: مات الامام الهادي

فعطفت اتباعه عليه   وأرجعوا جواده إليه

ومرض الهادي بصنعاء فى جماد   ونفد المال لديه والعتاد

وسار عن صنعاء جمادى الآخرة لصعدة وأهله وناصره

فطلبت أشياخ آل يعفر   عود الإمام البرزاكى العنصر

فسار فى قوم إلى خيوان   وريدة ثم إلى خولان

وسار من خولان فى عساكر   حتى إلى قرية بيت حاضر

حروب مدَر وَإتوة وأسر المرتضى

وسار يحيى بعدها إلى مدر   وإتوة شمال صنعاء فى نفر

فقصدته اللؤما آل طريف   عبيد آل يعفر عدا الشريف

وحملوا حتى أحاطوا بالإمام   فى معرك من خلفه ومن أمام

وطعنوه طعنات عدة   فى وجهه بغلظة وشدة

وأسروا محمداً نجل الإمام   فى إتوة حال القتال والصدام

إذ خانه المهر الضعيف العاجز   حال التحام الحرب والهزاهز

وإتوة معروفة فى أرحب   وأسره منها بأثنا رجب

وأركبوه بغلة إلى مدر   ثم إلى صنعاء وبالسجن استقر

وقد لقى أىَّ عَنَىً وبؤس   بسجن صنعاء ثم بيت بوس

ولبثه فى السجن نصف عام   وثلث نصف العام بالتمام

وسار يحيى بعد تلك الشدة لورورٍ ومنه سار صعدة

مسير الهادي إلى تهامة

ووصلته الكتب من تهامة		تطلبه لدفع أى هامة

وكرر الكتب إليه الحكمي		ونحوه من مستغيث مسلم

فسار واستصحب معه عسكره		٧٣تهامة حتى انتهى للعنبرة

فطلبوا نزوله فى طرطرة		وقد علا الناس السرور والشره

لمنعه تكليف أي مسلم		بعلف أو مؤنة أو درهم

وقوله لا نستجيز أخذ ما		يأخذه أي ظلوم دايما

فظائع جنود ابن الفضل بصنعاء وتهامة

وثالث التسعين بالمحرم		هاجم صنعاء جند شر مجرم

جند على المارق ابن الفضل		أطفى الورى فى قوله والعقل

خمسة آلاف من القرامطة		جميعها فى ليل كفرخابطة

أدخلهم مهلب الشهابى		ليلاً من الباب بلا ارتياب

فقصدوا غمدان ثم الجامعا		واقترفوا المنكر والفظائعا

ونَهْبِ جلِّ الدور والقصور		والفتك بالإِناث والذكور

ودامت الحالة نصف شهر		والخلق فى مذلة وقهر

وصرح المارق بالإلحاد		في منبر الجامع للعباد

وسار من صنعاء إلى صفع الشرف		فذاده الأبطال أصحاب الشرف

فعاد صنعاء ثم سار في ربيع		تهامة ففعل الفعل الشنيع

وقتل آلاف من العذارى كُنَّ لدى أجناده أسارى

رجوع الهادي صنعاء وطرد القرامطة

ورابع التسعين نادى الهادي أعيان صنعاء وشيوخ النادي

فعاد من صعدة صنعاء للجهاد وطرد أرباب الفساد والعناد

وسار من صنعاء إلى ذمار سليله بدر الهداة الساري

فقصدته فرق القرامطة وعصب القوم اللئام القامطة

فعاد من ذمار بدر آلال إلى أبيه وهو في أزال

يدافع الأعدا ذوى الضلال عبيد آل يعفر الحوالي

وعاد هادى المسلمين صعدة من بعد أهوال وأي شدة

فاحتل ذو الطوق اللئيم اليافعى صنعاء بجند المارق المخادع

فاستدعت الأعيان من صنعاء الإمام خامسة فجاء بالجيش اللهام

يقوده علي العباسى والمرتضى طود العلوم الراسي

ففارقت صنعاء جنود المارق واحتلها أنصار دين الخالق

فعاد فى أول يوم من رجب صنعاء ابن فضل فى خميس ذي لجب

وانتهبت جنوده المدينة ومن بها من أمة مهينة

وسابع التسعين تجهيز الإمام أجناده يقودها الليث الهمام

فدخلت فى رجب صنعاء اليمن وأخمدت نيران أرباب الفتن

وطردت عامل شر الخلق على الفضل عدو الحق

وأم فى شعبان صنعاء المرتضى ... وبعث العمال منها للقضا
وعاد في شوال نحو الهادى ... عن أمره المقرون بالرشاد

آخر جهاد الهادي والخطبة له بمكة ووفاته

وثامن التسعين سار المؤتمن ... هادي الورى يحيى إلى ربع الحضن
وجدد الأحكام للشريعة ... وبدد المظالم الشنيعة
وخطبوا في مكة أمّ القرى ... سبعة أعوام له بلا امترا
وجاهد الفجار والقرامطة ... بذي الفقار فأباد القاسطة
حتى دعاه بارىء البرية ... إليه فى عشرين من ذي الحجة
بصعدة فى ثامن التسعين ... عن عمر الثلاث والخمسين
صلى عليه الله من مجدد ... بعلمه وسيفه المجرد

ماجاء في اليمن وأهله

وقد روى الحفّاظُ للتنزيل ... وضابطو الألفاظ للتأويل
والراسخون في فنون العلم ... والخائضون منه كل يم
فضائلاً لقطرنا اليماني ... وأهله تبقى مدى الزمان
كقول من لخلقه براه ... فى وحيه فسوف يأتى الله
منه بقوم حبهم رب السما ... وهم أحبوه تعالى منعما
أذلة على ذوي الإيمان ... أعزة على عِدَى الرحمن

يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون كلام الناهي

فهذه خصوا بها في المائدة ويالها من صلة وعائدة

والناس هم فى ورأيت الناسا فى سورة النصر فكن نبراسا

فى تفاسير الطبرى والكشاف وفتح القدير وغيرها فى قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ أن المراد بهم أهل اليمن، وفى مفاتيح الغيب فى قوله تعالى: ﴿ ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً ﴾ أن المراد بهم أهل اليمن.

وخص طه الأفق اليمانى بالفقه والحكمة والإيمان

وقال: قد أتاكم أهل اليمن أرق منكم قال سراً وعلن

والله أكبر جاء نصر الله والفتح إذ جاءوا رسول الله

وأنها نقية قلوبهم حسنة طاعتهم وتوبهم

وقال إني لبعقر حوضى أذود عنهم فى حديث الحوض

وقال طه: وأنا يمانى وقال منه نفس الرحمن

وقوله: هم خير أهل الأرض ونحوه بمثل هذا يقضي

فعوا كلام الله والمختار فى موئل الايمان والأنصار

والأزد أنصار رسول الله منه بلاشك ولا اشتباه

حديث «الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية» فى الأمهات الست وغيرها مشهور. وفى تفسير ابن جرير الطبرى وغيره عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم؛ الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية». وقال ابن حجر فى فتح البارى: أخرجه البزار. وفى باب صفة الحوض فى صحيح مسلم عن ثوبان قال: قال رسول اللة صلى الله عليه وسلم: «إني لبعقر حوضى أذود الناس لأهل اليمن أضرِبُ بعصاي حتى يرفض عليهم». وفى الجامع الكبير للسيوطى عن عمرو بن عبسة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيار الرجال أهل اليمن؛ الإيمان يمان وأنا يمان». رواه أحمد بن حنبل والحاكم فى المستدرك والطحاوى عن سلمة بن نفيل قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم «يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خير أهل الأرض». الحديث أخرجه أبو يعلى والبزار والطبرانى.

والأزد قبيلة من اليمن أبوهم الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن يزيد بن كهلان وكانت بلادهم مأرب وأرض سبأ فى مشارق صنعاء ومنهم الأوس والخزرج ودوس. وفى فتح البارى الأنصار: اسم إسلامى سمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الأوس والخزرج وحلفاءهم.

المرتضى بن الهادى

مولده بالحجاز ٢٧٨ هـ   دعوته بصعدة ٢٩٩ هـ

وفاته في محرم بصعدة ٣١٠ هـ

هو الإمام الأواه المرتضى محمد بن الإمام الهادي يحيى، مولده سنة ٢٧٨هـ وأمه فاطمة بنت الحسن بن القاسم الرسي وبفضله كان يلقب بجبريل أهل الأرض.

روايته ومصنفاته

روى العلوم عن أبيه وغيره ، وله مصنفات عديدة منها: «تفسير القرآن» سبعة أجزاء، نقل منه كثيراً السيد عبدالله الشرفي في تفسيره «المصابيح».

وكتاب «الأصول فى العدل والتوحيد» وكتاب «النبوة» وكتاب «الإرادة والمشيئة» وكتاب «الإيضاح» وكتاب «التوبة» وكتاب «فضائل أمير المؤمنين على كرم الله وجهه» وكتاب «الرد على الروافض» وكتاب «الرد على القرامطة» وكتـاب «الرضاع » وكتاب «مسائل الطبريين» خمـسة أجزاء. وكتاب «البيوع» وكـتاب «مسائل المعقلى» وكـتاب «مسائل عبدالله بن سليمـان» وغيرها مذكورة فى كتاب «الشافي» للمنصـور عبدالله بن حمزة وفى غيره وتقدمت نبذة من أشعاره وهو بالسجن.

بعض مزاياه

فى تراجمه المطولة بكتاب الإفادة لأبى طالب وكتـاب «اللآلى المضيئة» للشرفى وكتاب «الحدائق الوردية» للفـقيه حميـد الشهيد. أنه نشـأ على التقوى واليقـين، وأما ورعه وزهده فلا يفتقر إلى برهان، وكانت له المواقف فى الجهاد مع والده الذى وصفه بهذه الابيات وهو أعرف الناس به :

ومن طاب مولوداً ومن طاب ناشئاً ... ومن فضله قد شاع فى البر والبحرِ

ومن لا ترى فيه لعمرك زلة ... ومن لم يزل طهراً على غاية الطهرِ

ومن لم يزل يعلو إلى المجد شامخاً ... ومن هو أصل للمهابة والفخرِ

ومن هو أمار بكل فضيلة ... ومن هو مفضال على العُسْرِ واليسرِ

ومن هو للأرحام أوصل واصل ... ومن هو أصل فى التعطُّف والبر

ومن هو لا يجفو أخاً طول عمره ... ومن لا تضعضعه الشدائد فى العصرِ

ومن هو حتف للعدو لدى الوغى وسم قتول للأعادى ذوى الجبرِ

ومن تعرف الأقران فى الحرب فضله إذا التقت الأبطال فى معرك وعر

أبا قاسم تفديك نفسى من الردى ومن كل ماسوءٍ ومن كل ما شرِ

وطال فدتك النفسُ عمرُك فى البقا وكان بأمر الله أطول من عمرى

ومن قصيدة له فى سجنه

كدر الوردَ علينا والصدر فعلُ من بدل ديناً وغدر

أيها الأمة عودوا للهدى واتبعوا الحق بنورٍ وبصر

حكّمِوا القرآن فيما بيننا واتركوا عنكم أحاديث السمر

إن قول الله أشفى لكم أيها الناس بإيضاح النذر

واتبعوا ما قال يحيى لكم فبه تنجون من حر سقر

إن للسيف علينا حرمة وبه نسطو على من قد ختر

خطبته عند بيعته وخطبته عند استقالته

لما توفى والده اجتمع الناس بصعدة ونواحيها إلـيه وأجهشوا بالبكاء فلما سكتوا قال: جزاكم الله من أهل محـبة وولاية خيراً ونعم الإمام كـان لكم الهادي الناصح لكم، كان والله حريصاً على إرشادكم طالباً إصلاحكم حاملاً لكم على ما فيه نجاتكم داعياً لكم إلى ما قربكم إلى الله ، زاجراً لكم عما يبـعدكم من الله ، حاكماً فيكم بالعدل والقسط لا تأخذه فى الله لومة لائم ولاعذل عاذل. على مثله فليكثر البكاء والأحزان والندم والحـسرة والأشجـان. ولكن المرجع إلى الله -عـزوجل- فى جمـيع الأمور،

والعمل بالتوبة والدعـاء إليها والحث عليها أولى بنا وبكم ولنا ولكم فـيما نزل بنا من الأمر العظيم والفادح الجسيم أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالأئمة الماضين فإنا لله وإنا إليه راجعون. رضاً بقضـائه وتسليماً لأمره، والموت سبيل الأولين وطريق الآخرين، وبذلك حكم على عباده رب العـالمين ، وهو حى يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، ثم بكى بكاء شديداً وقال:

يُسَهِّلُ ما ألقى من الوجد إننى مجاوره فى داره اليوم أو غدا

فارتج البلد بالبكاء، وتكلم كـل واحد بمبلغ رأيه وعلمه، فلما هدأت الأصـوات قال المرتضى: الحمدلله رب العالمين مالك يوم الدين، ونستعينه على أداء شكر ما أصبحنا نتقلب فـيه من نعمـه التي لاتحصى ونحمـده على ما أصابنا من خـير وبلوى ونصلي ونسلم على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ثم إن الله أمـر أمراً وفـرض على خلقه فـروضاً لم يرض مـنهم إلا العمل بهـا أوالمسارعـة إلى مافرض عليهم منها، وأرسل محمداً خـاتم النبيين بشيراً ونذيراً إلى جميع المخلوقين، وأنزل عليه كتاباً فيه نور مبين، وشفاء لما فى الصدور لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أمر عبـاده بالعمل بما فرضه وأكد عليهم الأمر بعد أن أعطاهم الاستطاعة، ومـكنهم من القدرة على ما أمرهم به ودعاهـم إليه، ليهلك من هلك عن بينة ويحـيى من حي عن بينة وإن الله لسـميع عليم. ولسنا -رحـمكم الله- بأبناء دنيـا فنتكالب عليـها، ولا بأهل باطـل فنطلب الإمارة والسلطان والأمـر والنهي من غير اسـتحقاق وعلى غـير جهة رشد وسـداد واستقامه وصـلاح؛ أكثركم تعلمون كـيف كنتم للهادي -عليه السـلام- بعد دعائكم إياه إلى بلادكم وبيـعتكم له على كتـاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلـم وإحياء معالم الديـن ومجاهدة الجبارين الظالمين، ألم ينقض أكثـركم تلك العهود المؤكدة والمواثيق المغلظة، ألم ينكث جلكم إيمانكم بـعد توكيدها وقـد جعلتم الله عليكم كـفيلاً، ألم يدع أكـثركم الحق جهـراً واتبع الباطل وباع الكثيـر الباقى بالتافـه اليسيـر الفانى؟ وكان -عليـه السلام- يقـاسى منكم الأمرَّين، وتصيـبه منكم المحن المتـواترة، وتعامـلونه بأقبح المعـاملة،

وتقابلونه على إحسانه وعفوه عنكم بالإساءة إليه والخروج عليه، فصبر على ذميم أفعالكم وقبيح معاملتكم صبر من امتحن الله قلبه للتقوى ونوره باليقين والهدى، ما قصر ولا ونى فى دعائكم إلى رشدكم وطاعة ربكم، ولا سئم من نصحكم والشفقة عليكم ولا ترك تقويم المتأود منكم ولا بخل بما حوته يده عليكم ومواساتكم بنفسه وماله لم يتعلق عليه أحد منكم بمظلمة ولا ادعى عليه أحد منكم عدولاً عن الحق وميلاً إلى الهوى ومحاباة لذوى قربى؛ بل كان يعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قد جعلهما نصب عينيه لا يفارقها ولايدع العمل بهما، فأفعالكم وسيرتكم وطرقكم لا تحمد ولا يؤمن من الله العقوبة عليها وأنتم إلى الباطل تميلون وعن الحق تفرون، وفى معاصى الله تسارعون. . . إلى أن قال: فاتقوا الله وارجعوا باللوم على أنفسكم، وتوبوا إلى رب العالمين، وقوموا لله قانتين ولأوليائه موالين ولأعدائه معادين، ولأهل معصيته منابذين ولمن خالف أمره هاجرين، ولآثار رسوله متبعين، وللمعصية والفسوق تاركين، وبالمعروف آمرين، وعن المنكر ناهين، وللائمة الصالحين من أهل بيت رسول الله طائعين، واعلموا أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

ثم بايعه الناس غرة محرم سنة تسع وتسعين ومائتين للهجرة فأقام بصعدة وفى يده بلاد همدان وخولان ونجران مدة وسير جنوده لقتال القرامطة فقتلوا فى كل فج، واستقامت له الأمور حتى كان يوم الخميس الحادي والعشرين ذى القعدة سنه تسع وتسعين ومائتين للهجرة فجمع وجوه العشائر إليه وعاب عليهم أشياء كرهها منهم وعزم على الاعتزال والتخلي عن الأمر وقال فى خطبة خطبها عند ذلك: إنكم معاشر المسلمين أقبلتم إلى عند وفاة الهادى -رضى الله عنه- وأردتمونى على قبول بيعتكم فامتنعت مما سألتمونى ثم لم أؤيسكم من إجابتكم خوفاً من استيلاء القرمطي على بلادكم وتعرضهم للضعفاء والأيتام والأرامل منكم فأجريت أموركم على ما كان الهادى يجريها، ولم أتلبس بشئ من عرض دنياكم ولم أتناول قليلاً ولا كثيراً من أموالكم فلما كفى الله المؤمنين قتال القرمطى وكان الله قوياً عزيزاً تدبرت أمرى وأمركم ونظرت إلى أخلاقكم فوجدت أموركم تجرى على غير سننها، تميلون إلى

الباطل وتنفرون عن الحق وتستخفون بأهل الصلاح والخير والدين والورع منكم ، لا تتناهون عن منكر تفعلونه ولا تستحيون من قبيح تأتونه ولا تتعظون بوعظ الواعظين ولا تقبلون نصح الناصحين، عن أمر الله إلى نهيه عادلين وعما نأمركم من طاعة الله مُزْوَرين، وإلى أعداء الله وأعداء دينه الجهال الفساق راكنين، وقد قال تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ فلما لم أجد فيكم من يعين الصادق المحق ويأمر بالمعروف ويرغب في الجهاد ويختار رضى الله على رضى المخلوقين إلا القليل من القبيلة واليسير من الجماعة أنزلت هذه الدنيا من نفسي أحسن المنازل وآثرت الآخرة واخترت الباقي الدائم على الفاني الزائل، وتمسكت بطاعة رب العالمين، وذلك من غير زهدٍ مني عن جهاد الظالمين ومنابذة الفاسقين ومباينة الجائرين، ومع علمي بالأحوال التي وصفتها والموانع التي ذكرتها، تيقنت أن السلامة عند الله في الزهد في الدنيا والاشتغال بعبادة رب العالمين والاعتزال عن جميع المخلوقين واشتغالي بكتاب الله وتدبر آياته وأوامره وزواجره ومحكمه ومتشابهه وخاصه وعامه وناسخه ومنسوخه، فوجدته يوجب التبرى عليَّ من هذا الأمر إيجاباً محكماً، فاتبعت أمر الله ونزلت عند حكمه فإن تقم بعد ذلك على حجة ووجدت على الحق أعواناً وفي الدين إخواناً قمت لأمر الله طلباً لثوابه، حاكماً بكتابه متبعاً لسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم لا أفارقه ولا أعدل عنه حتى يعز الله الحق ويبطل الباطل أو ألحق بصالح سلفي الذين مضوا لله مطيعين وبأمره قائمين وإن لم أجد أعواناً لم أدخل بعد اليقين في الشبهة ولم أتلبس بماليس لي فيه حجة وكنت كما قال تعالى : ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم﴾ أمثلي يدخل في الملتبسات؟ هيهات؛ منع من ذلك خوف الرحمن وتلاوة القرآن، وإني لست ممن تغره الدنيا بحسنها وتخدعه بزينتها فاتقوا الله عباد الله حق تقاته، وعاونوا الحق والمحقين وجانبوا الباطل والمبطلين وكونوا مع الصابرين، واعلموا أنكم محاسبون وبما كسبتم مرتهنون والسلام على من اتبع الهدى ورضى بحكم الله وآثر طاعة الله.

واعتزل -رضي الله عنه- وخلا بربه وآثر عبادته وصرف عمَّاله من بلاد همدان ونجران وغيرها ولزم منزله بصعدة وأقام بصعدة للصلح بين الناس بعض بني عمه.

وكان الناصر أحمد بن الهادى بالحجاز فقدم بعد ذلك إلى صعدة فأشار عليه المرتضى بالقيام، وكانت المدة من انتصاب المرتضى إلى قيام أخيه الناصر فى صفر سنة إحدى وثلاث مائة للهجرة نحو سنتين وأشعاره كثيرة سهلة سليقة.

وفاة المرتضى

وتوفى بصعدة فى محرم سنة عشر وثلاث مائة للهجرة عن اثنين وثلاثين سنة من مولده وأولاده الذكور تسعة: القاسم وإسماعيل وإبراهيم وعلي وعبدالله وموسى والحسن والحسين ويحيى القائم بالديلم الملقب بالهادى.

وقلت في تحفة المسترشدين بذكر الأئمة المجددين ومن قام باليمن من العترة الطاهرين:

وقام من بعد الإمام الهادي ... عن عهده يدعو إلى الجهاد

سليله محمد سيف القضا ... جبريل أهل الأرض وهو المرتضى

في صعدة بعض شهور عام ... وطلق الأمر بهذا العام

ولازم المحراب والعبادة ... والورع المشهور والزهادة

حتى ثوى سقى الإله جدثه ... بصعدة فى العشر بعد الثالثة

وقال السيد صارم الدين فى البسامة:

وما ارتضت مرتضانا حين طلقها ... لعلم مكنون ما فى الجفر من أثرِ

فسلَّم الأمر مختاراً وقلده ... أخاه أحمد مغني كل مفتقرِ

عن رأى سادات أهل البيت عن كمل ... وكل قيل من الأذواء معتبرِ

الإمام الناصر أحمد بن الهادي
دعوته ٣٠١ وفاته ٣٢٥

هو الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادى يحيى بن الحسين المجدد للدين بالبلاد اليمنيه للقرن الثالث، أمه أم أخيه المرتضى الشريفة فاطمة بنت الحسن بن القاسم الرسي. حدث عن أبيه عن جده ومن مروياته كتاب «الأحكام» وكتاب «المنتخب» وغيرها، وروى عن ابن أخيه يحيى بن المرتضى القائم بالديلم، وروى عن ولده المنصور يحيى بن أحمد وأخرج له الأئمة الثلاثة المؤيد بالله وأبو طالب والمرشد بالله وغيرهم. وله مصنفات منها كتاب «النجاة» فى الأصول ثلاثة عشر جزءاً وفيه علم جم، وكتاب «الدامغ» وكتاب «التوحيد» وكتاب «الفقه» وكتاب «التنبيه» وكتاب «مسائل الطبريين» وكتاب «الرد على القدرية» وكتاب «الرد على الأباضية» وله فى علوم القرآن العزيز ما يشهد له بالتبريز. وتراجمه المطولة فى كتب التاريخ ومما فيها أنه نشأ على الزهادة والعبادة واقتبس من أنوار والده وعلومه وعلوم أجداده. وكان عند وفاة والده بالحجاز ثم قدم إلى صعدة فى محرم سنة إحدى وثلاث مائة للهجرة.

بيعته ونُبذة من سيرته

كانت بيعة الناصر أحمد بن الهادى بصعدة فى صفر سنة إحدى وثلاث مائة للهجرة، بايعه صنوه المرتضى والعلماء والسادات والمشائخ والأعيان فجدد أحكام الدين. وكانت له مع القرامطة وقعة نُفاش من بلاد الأشمور وهى مهيلة مشهورة وتعقبها وقعة المصانع فى بلاد ثلا. وكان دخوله إلى بندر عدن فى ثمانين ألف مقاتل ودانت له البلاد. وفى ترجمته بالحدائق للفقيه حميد الشهيد أنه فى ثامن صفر سنه إحدى وثلاث مائة للهجرة اجتمع إلى الناصر بصعدة وجوه القبائل واستعانوا به على أخيه المرتضى أن يقوم فيهم بعد انعزاله، فكره القيام فسألوا الناصر القيام فيهم على ما كان والده فأجابهم إلى ذلك فأعطوه العهود والمواثيق على القيام معه على من ناوأه،

وكانت بيعته يوم الجمعة فى مسجد الهادى بصعدة، فركب إلى صعدة القديمة (وكانت شرقي جبل تُلُمُّص جنوبي صعدة الجديدة بميل وربع) فاجتمع إليه خلق كثير ما بين صعدة والغيل وأنشد الشيخ إبراهيم بن محمد التميمى قصيدة مطلعها:

عادات قلبك يوم البين أن يجبا ... وأن يراجع فيه الشوق والطربا

ومنها:

قوم أبوهم رسول الله حسبهم ... بأن يكون لهم دون الأنام أبا

من ذا يفاخر أولاد النبي ومن ... هذا يدانى إلى أنسابهم نسبا

قوم إذا افتخر الأقوام واجتهدوا ... وجدت كل فخار منهم اكتسبا

تشوف الملحدون النوك إذ علموا ... أن الإمام علينا اليوم قد عتبا

فقلت لا ترفعوا جهلاً رؤسكم ... فيأخذ السيف من هاتيك ما انتصبا

إن الإمام وإن أبدى معاتبة ... منه ليشبه فينا الوالد الحدبا

كانت أمور وكان الله بالغها ... ومحنة منه قد كانت لنا أدبا

وقد تولى أمور الناس كلهم ... بعد الإمام فتم الأمر أو كربا

صنو الإمام ومن سَدَّ الإمام به ... نهج الثغور ولم الصدع فارتأبا

هذا أبو حسن والجود فى قرن ... أمسى بذى يمن أمنا لمن هربا

ساس الأمور وكانت قبلُ مهملة ... وقام فينا بدين الله محتسباً

إذا تحجب أهل المال واقتنعوا ... لم تلفه خشية الإنفاق محتجباً

صَلْتٌ له شيم أقواله نعم ... أفعاله كرم يرتاح إن طُلِبا

يعطي الجزيل ولا يرضى القليل ولا ... يجفو الخليل لذنب جد أولعبا

تحته عصب ضاقت بهاعصب   من حولها عصب تتلو بها عصباً

رجال سعد بن سعد والربيعة إذ   أتوا إليه جميعاً جحفلاً لجبا

كأنه اليم إذ جاشت غواربه   إذا تلاطم موج البحر وارتكبا

أوكالعريض إذا التفت سحائبه   وطبق الأرض والآفاق وانسكبا

راق العيون وسر المسلمون به   وساء من عاند الإسلام فاكتأبا

ها أنتم رحمة فينا لأولنا   وآخرينا فهذا الشكر قد وجبا

ثم أقبلت نجران وهمدان فبايعوه على الطاعة وبث قواده وعماله إلى جميع المخاليف، وساس الأمور أحسن سياسة، ودانت له ملوك اليمن واستولى على أكثر أعماله.

من رسائله وشعره

من رسائله فى الدعاء إلى الله والحث على الجهاد رسالة منها:

ألا إنى قد رغبت فيما رغب الله فنهضت له، وقمت فيما ندب إليه فشمرت له، وعرفت ما أمر الله فأعلنت به، ولم أسع لطلب دنيا ولا توفير مال ولا ازدهار حال ولا طلب فساد فى الأرض ولا إضاعة لحق ولا انتهاك لمسلم ولا هتك لمحرم ولا إراقة دم حرام ولا إظهار بدعة ولافعل شنعة ولا محبة رفعة ولا إرادة رفاهية ولامفاخرة الجمع، وإنما قمت لإلزام الحجة لي ووجو بها علي توثق أربابها بي على حين جفاء من الإخوان وتراكم من الأحزان وانفراد من الأعوان، وليس مقامى يخفى ولا مكانى يغبى ولا اسمى بمجهول فيعذر الغافل والمتثاقل ويجد حجة المتخاذل ويمكن المتخلف التأول مع المحن التى أنا فيها والأمور التى أقاسيها من كثرة لائم لايرضى وعابد للدنيا ومطلب للسعة والغنى ومتسخط وقت لا يعطى، وما دعوت إلى الدنيا وإنى إنما

دعوت إلى ما دعا إليه من كان قبلى من الأئمة الطاهرين والعباد المخلصين أنا عبدالله وابن نبيه الشارى نفسه لله -سبحانه- الغضبان لله -جل ثناؤه- إذ عُصِي فى أرضه، واستُخِفَّ بفرضه، وقلَّت الدعاة إلى دينه؛ فلو أسعفتنى الأعوان وعاضدتنى الأنصار لعلوت فرسى واعتقلت رمحى وتقلدت سيفى ولبست درعى وقصدت أعداء الله وكافحت الأقران وعاطيتهم كؤوس الطعان صابراً محتسباً مسروراً إذا أشرعت الأسنة واختلفت الأعنة، ودعت نزال لملاقاة الأبطال وسالت الدماء ورضى الرب الأعلى فيالها خطة مرضية ما أشرفها فأنا أشهد الله لوددت أنى أجد سبيلاً يعز فيها الدين ويصلح على يدى أمر المسلمين وإنى أجوع يوماً وأطعم يوماً حتى تنقضى أيامى وألاقى حمامى. ولو أمكن ذلك ما نزلت عن فرسى إلا وقت صلاة والصفان قائمان والجمعان يقتتلان والخيلان يتجاولان فأكون كما قال شاعر أمير المؤمنين بصفين:

أيمنعنا القوم ماء الفرات ... وفينا السيوف وفينا الجحف

وفينا الشوازب مثل الوشيج ... وفينا الرماح وفينا الزعف

وفينا علي له سورة ... إذا خوفوه الردى لم يخف

وكما قال جدي القاسم بن إبراهيم:

دنياى مازال همى فيك متصلاً ... وإن جنابك كان المزهر الخضرا

إذا انفضت حاجة لى منك أعقبها ... همٌّ بأخرى فما أنفك مفتقراً

متى أرانى إلى الرحمن مبتكراً ... فى ظل رمحى ورزقى قل أو كثرا

ولكن قل المعين على هذا الدين فأنا وحيد دهرى وغريب فى أمة جدى وقد شغل بذلك قلبى وضعف عزمى

وكانت أكثر حروبه مع الباطنية والقرامطة فقد كانت شوكتهم قوية فى عصره، وكانت أعظم وقعاته معهم وقعة نفاش، وقد اجتمع فيها منهم خلق كثير من بلاد المغارب وتهامة وقائدهم يومئذ صاحب جبل مسور عبدالحميد بن محمد بن الحجاج فأقاموا

فى نفاش وندب الناصر أمراءه وقواده وكان ابتداء القتال من ليلة الأحد الثامن والعشرين من شعبان سنة سبع وثلاث مائة للهجرة وتلازم القتال فى بيت الورد. قال مصنف سيرته الشيخ عبدالله بن عمرو: لقد رأيت من نصر الله لوليه وابن نبيه الناصر للدين عجباً؛ هربت جنود الباطنية. ونهض الجند الإمامى إلى قصر الحمودى بالقرب من نفاش وبلغت جنود الناصر إلى ألف وسبعمائة وجنود الباطنية إلى سبعة آلاف، وفى غرة رمضان سنة سبع وثلاث مائة للهجرة نهد الجند الناصرى من همدان وخولان، وكانت الحرب وانكشفت الباطنية منهزمة لا تلوى على شئ، واستقر قائدهم عبدالحميد فى حلملم، وتبدد عسكره وقصدوه نصف رمضان إلى هناك ففر إلى موتك ثم إلى جبل مدع فقصده جند الإمام إلى هناك وإلى المصانع، وفَتَّتْ هذه الوقعات أعضاد الباطنية، وبلغت القتلى فيها منهم نحو خمسة آلاف قتيل، وما أنقذهم من جنود الناصر إلاجنود المسودة التى وصلت من العراق لإعانتهم بعد مكاتبتهم إلى العراق فى ذلك.

من شعر الناصر:

أبعد الأربعين رجوت خلداً　　　وشيبك فى المفارق قد أناكا

كأنى بالذى لابد منه　　　من امر الله ويحك قد دهاكا

ومن شعره بعد أن أصابه النقرس ومنعه عن القتال فوثب أحد أولاده على خصم له فقتله:

إن لا أثب فقد ولدت من ثيب　　　كل غلام كالشهاب الملتهب

وقال صاحب البسامة بعد ذكر تسليم المرتضى لأخيه الناصر:

فدوخ اليمن الأقصى إلى عدن　　　مع الجبال كبعدان وكالشعر

وكان يوم نفاش منه ملحمة　　　على القرامط لم تبقِ ولم تذر

وعد خمسة آلاف مضوا عجلاً　　　حصائداً بين مرمى ومجتزر

وبالمصانع أخرى منه تشبهها   حلت عرى الشرك من كَوْنى ومن قدري

وفى كتاب أنباء الزمن وغيره أن الناصر أحمد بن الهادى سار إلى بندر عدن فدخلها فى ثمانين ألف نصفهم أهل قسي ودان له أهل تلك الناحية وخضعت له الرقاب العاصية.

وفاته وذكر أولاده

كانت وفاة الناصر بصعدة سنة خمس وعشرين وثلاث مائة للهجرة وأولاده: القاسم المختار وإسماعيل والحسن وجعفر ويحيى المنصور. وفى تحفة المسترشدين:

وبايعوا فى صفر للناصر   فى صعدة وحف بالعساكر

ومذ دعا أحمد فى عام قرا   جدد أعلام الهدى بلا مرا

واستفتح البلدان حتى عدنا   كما أقام بالسيوف السننا

وثار فى نفاش للطغام   حتى جرى الدم العظيم بالآكام

وبلغ القتلى من الأرجاس   سبعة آلاف بلا التباس

وبعده قد ثار فى المصانع   وغيرها بسيف حد قاطع

فى خامس العشرين والشين ثوى   فى صعدة كما رواه من روى

صلى عليه الله من مجدد   بعلمه وسيفه المجرد

أسعد بن أبى يعفر
ولايته سنة ٢٨٢هـ وفاته سنة ٣٣١ هـ

وفى سنة إحدى وثلاثين وثلاث مائة للهجرة كانت وفاة الأمير الكبير أسعد بن أبى يعفر الحوالى بن إبراهيم بن محمد بن يعفر بن عبدالرحيم بحصن كحلان ثم حمل

فى تابوت إلى ضيعة شاهرة غربى صنعاء فى حدود ضلاع همدان، وهى التى وقفها على الجامع الكبير بصنعاء ودفن بها، وله تاريخ طويل منه أنه فى يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان سنة تسع عشرة وثلاث مائة للهجرة ظهر رجلان من القرامطة بعد موت على بن الفضل، فسارا إلى قلعة تسمى شكع فوجه إليهما أسعد بن أبى يعفر القواد والعساكر، فانتصر عليهما وقتل الداعيان وأخذت رأساهما إلى كحلان، وغنم المسلمون ما كان معهما ، وكان قبل ذلك قد توجه أسعد بن أبى يعفر لحصار المذيخرة فحاصر ابن على بن الفضل وأسرته فى دارهم، ومازال يرمى عليهم بالمنجنيقات ودخلها قهراً بالسيف يوم الخميس السابع من رجب سنه أربع وثلاث مائة للهجرة وأسر بعضهم وسباهم واستولى على جميع ما هنالك من الأموال وأجاز أصحابه بجوائز كبيرة ثم عاد صنعاء يوم الفطر غرة شوال سنة أربع وثلاث مائة للهجرة واستخلف هنالك إبراهيم بن إسماعيل بن العباس وكان مدة حصار أسعد للمذيخرة سنة كاملة من رجب سنة ثلاث وثلاث مائة للهجرة وسبى بنات على بن الفضل الثلاث ففرقهن فى رؤساء العرب، ووهب واحدة لابن أخيه قحطان بن عبدالله بن يعفر فولدت له عبدالله بن قحطان، وانقطعت دولة القرامطة من مخلاف جعفر. وفى ذى القعدة سنة أربع وثلاث مائة للهجرة أمر أسعد بن أبى يعفر بضرب أعناق ولدى على بن الفضل ومن أسر معهما من القرامطة جميعاً، وبعث برؤسهم إلى الخليفة العباسى بالعراق، وكانوا نيفاً وعشرين رأساً.

وكان قد مات على بن الفضل بالسم فى ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاث مائة للهجرة فقام ابنه فقتل كثيراً من أصحاب والده، ولما بلغ أسعد هلاك ابن الفضل فرح وتجهز من صنعاء فلما وصل ذمار كاتب أهل المخاليف فاجتمعت معه القبائل وحاصر بهم المذيخره سنةً. وقد طالت ولايته وله علاقات مع الأئمة الهادوية ومع الخلفاء العباسية ومع ملوك بنى زياد وغيرهم، وقد تولى صنعاء سنة اثنين وثمانين ومائتين للهجرة بعد أن غادرها إلى العراق وإلى العباسية على بن الحسن جفتم. وضرب أسعد السكة ذهباً وفضة باسمه.

أبو نصر محمد بن سعيد الحنبصي
من آل «أبي ثور»

من مطلع البدور لأبى الرجال قوله: آل أبى ثور من حمير من ولد أبى نصر محمد بن سعيد الحنبصى النسابة، أحد علماء اليمن الذين ذكرهم النسابة الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى فى كتبه نحو الاكليل فى أنساب أهل اليمن وأخبارهم، وذكر أنه أعلم من كان بذلك، وعنه أخذ الهمدانى فهو شيخه، قال الهمدانى: كنا نرد منه بحراً لا تكدره الدلاء. وهاجر أبو نصر الحنبصى إلى الناصرأحمد بن الهادى إلى الحق إلى صعدة أيام على بن الفضل القرمطى فأضرب داره وكانت دار جده ذى يهر الحميرى فى بيت حنبص فبقيت النار فى قصره ببيت حنبص أربعة أشهر تتبع خشبه، وكان أبو نصر هذا ورعاً عفيفاً ديناً ومن ذريته:

أبو السعود بن المنصور

وهو أبوالسعود بن المنصور من آل أبى ثور الحميرى اليهرى الحنبصى وكان من كبار المطرفية ومن شعره إلى عليان بن أسعد رئيس المطرفيه:

بلغ الأريحى عليان عنى وجميع الإخوان ممن يليه

أننى مصطف من الدين ما كان نبى الهدى لنا يصطفيه

مذهبى مذهب الأئمة زيد بن على وقاسم وبنيه

لستُ إنْ كنتَ ذا اعتراضٍ أرى الجبر ولا الاختراع والتشبيه

ولأبي السعود ببيت حنبص مسجد معروف. وانقطع نسل آل أبى ثور فى سنة أربعين وثمان مائة للهجرة فى الطاعون الأعظم الذى هلك فيه الخلق

أبو السعود بن فتح

شيخ الزيدية، العلامة أبو السعود بن فتح، إمام اللغة، سيبويه اليمن، فاتح المرتجات، صاحب التصانيف، ذكره المغرائى فى نرهته فقال: أحد رجال الزيدية فضلاً وعلماً كان مسكنه ببلاد آنس، وذكره الأمير الحسين فى الشفاء فى باب الحيض أن الشطر قد يكون دون النصف وفى المطرفية من يعرف بأبى السعود جماعة منهم أبو السعود بن المبارك من قدمائهم ومنهم:

أبو السعود بن زيد بن الحسن بن على

نسبه فى بنى مطعم من أهل تنعم مشرق خولان العالية، وكان رجل المطرفية بليغاً له شعر سيال، ودارت بينه وبين العلا مة محمد بن حميد اختلاف ومشاعرة ولابن حميد أرجوزة فى أحوال المطرفيّة وإجابه أبو السعود هذا وأقذع على ابن حميد فقال:

هل أنت إلا ابن حميد لا غير   فاعرف مدى قدرك واقصد السير

أولا فَهَمْلِجْ ممعناً ولا ضير   فالطِّرفُ لا ينهزه جَرْى العَيْر

فيقال إن محمد بن حميد سلط عليه من قتله

ومن قول أبى السعود هذا:

يالهف نفسى واضطرام وجدى   على القنا السمر وبيض الهند

ومقربات كالسعالى جُرْدِ   تردى بأبطالٍ كمثل الأسد

فى جحفل ذى لجب جرار   بين يدى مهذب مغوار

محمديٍ ساطع الأنوار   يثأر للحق بذى الفقار

واشتد غضب السلاطين مع ابن حميد على أبى السعود. ومن أرجوزة أبى السعود هذه:

ويل لمن لم ينتفع بعقله ويجتنب باب الردى ويَقْلِه

ولم يزعه علمه عن جهله ويعتبر بمن مضى من قبله

كم ملكٍ قد كان آذى وأعد واستنهض البلدان بالبطش الأشد

أبلت يد الأيام ما كان أجد وافترسته بشبا الناب الأحد

أين ملوك حمير وكهلان والفرس والروم معاً ويونان

والأولون من ملوك كنعان أضحوا رفاة فى رميم الأكفان

قد ضيعوا ما جمعوا من مال وأصبحوا رهائن الأعمال

ليوم بعث الأعظُم البوالى والعرض فى الموقف للسؤال

آمنت بالله وبالشريعة مقتدياً بلعماء الشيعة

الفرقة السامعة المطيعة أرجو بذاك الدرج الرفيعة

بالطيبين من بني الفواطم بني النبي الأبطحي الهاشمي

كمثل يحيى والأمام القاسم والمرتضى البر التقي العالم

ما ضل رأى أحكموا إبرامه عن ربهم وأبرموا أحكامه

وهي طويلة جداً.

والمطرفية زيدية متمسكون بمذهبهم وبأئمتهم، وفيهم أعلام كبار متشددون فانتقدوا على العلامة محمد بن حميد من الزيدية المخترعة أن يداخل السلاطين آل القبيب، وأنه كتب بخطه من علوم الفلاسفة الأوائل. ومخالطة السلاطين فيها خلاف بين أئمة العترة؛ حققه الأمير الحسين، وأما مع ظهور المصلحة ورجاء النفع فتجب مخالطتهم. وأما ما كتبه بخطه فهو مذهب البهشميه والجبائية من المعتزلة. ولمحمد بن حميد أرجوزة فى ذم المطرفية ذكر منهم عالمين بشبام وشيخهما محمد بن إبراهيم بن أبى

الهيثم، ومن الأرجوزة:

ومرجف يرجف فى شبام — يقول للأوباش والطغام

ابن حميد عندنا إمامي

يا قوم إنا منكم براء — هم واليهود عندنا سواء

وقال فى محمد بن إبراهيم بن أبى الهيثم الساكن بمدر بعد أن انتقل من سناع :

ومرجف يرجف في سوق مِدَر — ما بين ذيبان وما بين عذر

حجته مخلاته إذا افتخر

ومن أرجوزة إسماعيل بن علاء فى الرد على المطرفية:

وقلتم ليس لعاصٍ ملك — ولا له من بردتيه سلك

توحيده وقت المعاصي شرك — ليست تقول ذا المقال التركُ

وقلتم الموت المتاح المبرم — من الطباع وهو الغذاء والدم

سودا وصفرا قلتم وبلغم — ليس من الله عليهم يُحْتم

روى لنا أن صبياً ماتا — فى ريدة وجاور الأمواتا

فقال شيخ حضر الوفاةَ — وحمل المشعل والمخلا

لو احكمته أمه ما ماتا

. . .إلخ، وهى طويلة.

الحسن بن أحمد الهمداني

هو العلامة النسابة صاحب الإكليل وغيـره الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن

داوود الهمداني ابن الحائك عالم اليمن المشـهور الأوحد في عصره، الفاضل على من سبقه، المبرز على من لحقه، لم يولد فى اليمن مثله علما وفهماً ولساناً وشعراً ورواية وفكراً وإحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب والشعر والأيام والسير والمناقب والمثالب مع علوم العجم من النجوم والمساحـة والطب والفلك، ولد بصنعاء ونشأ بها ثم جاور بمكة ثم صعدة وهجا شعراءها فسجن، وله ديوان فى ستة مجلدات. سبحنه لسيئات فى دينه، سجنه أسعد بن أبى جـعفر أيام الناصر بن الهادى، ولهج الهمدانى بتفضيل قحطان على عدنان. ومن جوابه على الكميت

ألا يا دار لولا تنطقينا فإنا سائلون ومخبرونا

بما قد غالنا من بعد هند وماذا من هواها قد لقينا

لقد جهلوا جهالة عير سوء بسفر عاش يحمله سنيناً

كأنهم إذا نظروا إلينا لذلتهم قرود خاسئونا

وغرهم نباح الكلب منهم وظنونا لكلبٍ هائبينا

وإن ينبح كلاب من نزار فإنا للنوابح محجرينا

وله قصيدة وهو مسجون أولها:

خليليَّ إنى مخبرفتخبرا بذلة كهلان وحيرة حميرا

وقد حقر ماعظم الله وتجاسر على انتقاص ما اصطفى الله

انتهى ما فى هاتين الورقتين باختصار من مطلع البدور لأبي الرجال ثم منه أيضاً ومن المطرفية أبو السـعود بن محمد بن وضاح العنسي، وكان من أكـابرهم، وله شعر من مشهوره القصيدة الطويلة التى أولها:

بأبى وأمى معشر واليتهم لله ذى الملكوت والسلطان

لله لا لهوى النفوس فإنها أمارة بالظلم والعدوان

وسيأتى ذكر للمطرفية فى هذا الجزء فى سنة إحدى عشرة وستمائة للهجرة.

وفى سنه ثلاث وخمسين وثلاثمائة للهجرة قال نشوان بن سعيد الحميرى فى رسالة الحور العين : إن الأمير عبدالله بن قحطان بن عبدالله بن أبى جعفر الحوالى تتبع القرامطة وأخذ ولدين لعلى بن الفضل وجماعة من رؤساء القرامطة إلى صنعاء ثم ذبحهم جميعاً، وطرحت أبدانهم فى بئر بالجبانة، وأرسل رؤوسهم إلى مكة فى الموسم، وسبق أنه أسعد بن أبى جعفر سنة أربع وثلاثمائة للهجرة.

وفى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة للهجرة مات منصور بن حسن صاحب مسور وأوصى إلى ابنه حسن بن منصور وإلى عبدالله الشاورى وأمرهما بالمحافظة على مذهبه، وأن يكاتبا إلى عبيدالله المهدى ويتبعا أوامره فكتب الشاوري إلى المهدى مع هدية مع حسن بن منصور إلى مدينة المهدية بالقيروان فأقر المهدى ولاية الشاورى وعزل أولاد منصور فعاد حسن بن منصورخائباً. ثم إن حسن بن منصور قتل الشاورى واستولى على بلاد سور المنتاب، وخرج من مذهب القرامطة إلى مذهب أهل السنة وقتل القرامطة وشردهم .

وفى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة للهجرة خرج حسن بن منصور من مسور إلى عين محرم وفيها ابن العرجا فوثب على حسن بن منصور وقتله، وقد كان حسن بن منصور استخلف بمسور إبراهيم بن عبدالحميد السباعى وهو جد ابن المنتاب فادعى الأمرلنفسه وأخرج أولاد منصور حسن وحريمهم من مسور فوثب عليهم الناس وقتلوهم وسبوا حريمهم واتفق ابن العرجا وإبراهيم بن عبدالحميد واقتسما البلاد نصفين، ورجع إبراهيم إلى مذهب أهل السنة وكاتب ابن زياد بزبيد ودخل فى طاعته وسأله أن يرسل إليه رجلاً من قبله فبعث ابن زياد برجل يعرف بالسراج وقال له: إن امكنتك الفرص من إبراهيم فاقتله فتلقاه إبراهيم وأكرمه، فعامل السراج من يقتل إبراهيم، فعرف إبراهيم ذلك فقبض على السراج وحلق رأسه ولحيته ونفاه وقطع مواصلة ابن زياد، وتتبع القرامطة بالقتل والسبي حتى أفناهم. ولم يبق منهم إلا طائفة قليلة بناحية سور كاتمين أمرهم مع داعيتهم ابن الطفيل فقتله إبراهيم فانتقلت

الدعوة إلى رجل يعرف بابن فحيم فى أيام المنتاب بن إبراهيم بن عبدالحميد بعد أبيه وكان ابن فحيم يكاتب إلى المعز العبيدي بمصر بعد خروجه من القيروان، فلما حضرته الوفاة استخلف رجلاً من شبام يقال له سيف بن الأسد، فلما حضرته الوفاة استخلف سليمان بن عبدالله الزواحي الحميري.

وقرية الزواحي بحراز ينسب إليها، وكان داعياً في أيام الحاكم والطاهر وأول أيام المنتصر، وكان كثير المال والجاه استمال الناس إلى مذهبه وكلما هموا به دافعهم وقال لهم أنا رجل مسلم فيمسكون عنه، وكان فيه كرم نفس وأفضال على الناس فلما حضرته الوفاة استخلف علي بن محمد الصليحي وسيأتى أن الذى استمال الصليحى هو عامر بن عبدالله الزواحي.

وفى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة للهجرة ثار الأسمر يوسف بن أبى الفتوح الخولانى بخولان العالية على بنى جعفر وبنى الضحاك فهزمهم وقتل من همدان خلقاً كثيراً وقتل سابور بن على بن وردان المتولى لصنعاء لبنى الضحاك فخرج من صنعاء نحو ذمار فلحقه الأسمر وقتَلَه بنيل يكلى وهو نقيل يسلح، وكتب الأسمر الخولانى إلى عبدالله بن قحطان بن عبدالله بن أبى يعفر الحوالى أن يقوم بالأمر بشبام واجتمعا بالسر أياماً ثم سار عبدالله إلى كحلان أياماً.

قال السيد إدريس الحمزى فى تاريخه وفى العاشر من محرم سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة للهجرة أمر معز الدولة بن بويه ببغداد أن تغلق الدكاكين ويترك البيع والشراء وتظهر النياحة وتخرج النساء منشورات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن للنياحة على الحسين بن على ولم يعرف ذلك من قبل؛ فلما كان الثامن عشر من محرم أمر بإظهار الزينة وإشعال النيران وفتح الأسواق بالليل كليالي الأعياد فرحاً بعيد الغدير، وكتب عامة الشيعة ببغداد فى المساجد لعن معاوية ومن غصب فاطمة ومن منع أن يدفن الحسن مع جده بأمر المعز؛ والخليفة العباسي لا يقدر على شئ ولا يفعل ذلك إلا غلاة الشيعة من الإمامية ولا يفعله الزيدية أصلاً وفى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة للهجرة تجهز عبدالله بن قحطان الحوالي إلى تهامة فلقيه ابن زياد إلى أسفل

حراز فاقتتلوا وانهزم ابن زياد وقتل من عسكره خلق كثير ودخل عبدالله بن قحطان زبيد فنهب دور بنى زياد أقبح نهب، وأقام بزبيد ستة أيام ونهب عسكره زبيد نهباً شديداً ثم عاد إلى كحلان.

وفى سنة ثمانين وثلاثمائة للهجرة غزا مخلاف جعفر واستولى عليه وأقام باب، واضطرب عليه أمر المخلاف فأمر بعمارة المنظر وتحول إليه من أب، وجعل أمر الهان آنس إلى أسعد بن أبي الفتوح الخولاني وتعاونا.

وفي سنه سبع وثمانين وثلاثمائة للهجرة مات الأمير عبدالله بن قطحان فقام بعده ابنه أسعد، وفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة للهجرة نشأ رجلان عالمان من الهدوية هما علي بن حرب ومطرف بن شهاب فصنفا فى أصول الدين تفريعاً على أصول الهادى -كما زعما- وعرف اتباعهما بالمطرفية. وكان من أصولهم أن التأثير لله فى أصول الأشياء لا فى فروعها على تفاصيل ذكروها، وانتشر مذهبهم إلى أيام المنصور عبدالله بن حمزة فقاتلهم ورجع بعضهم كما سيأتي وفي سة ست وتسعين وثلاثمائة للهجرة تجهز ابن أبى الفتوح بخولان يريد الهان فوثب عليه غلمان في الطريق فقام بعده ابنه المنصور.

الإمام المنصور يحيى بن الناصر أحمد

مولده ٣٠٣هـ دعوته ٣٢٥هـ وفاته ٣٦٦هـ

هو الإمام المنصور يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين روى عن أبيه وعن عمه الإمام المرتضى محمد، وعنه ولده يوسف الداعي وغيره وخرج له المرشد بالله يحيى بن الحسين حديثاً عن أبيه عن جده. وكان حافظ علوم آل محمد وعالم الزيدية، في عصره، ارتحل إليه من بلاد فارس السيد أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسني وسمع عنه مصنفات الإمام الهادي.

دعوته ومن عارضه من قرابته

قال الفقيه محمد بن علي الزحيف الصعدي المؤرخ بالقرن العاشر في شرح قول السيد صارم الدين الوزير فى بسامته:

ولابنه الماجد المنصور ما سمحت ... بقود ذي جب كالبحر معتكر

واستعبرت من بني الضحاك إذ فتكوا ... ظلماً بأفخر مختار من الحِميْرَ

فعاجلتهم رزاياها بمنتصر ... لغدرهم ثابتِ الأقدام فى الغدر

كان هذا الإمام المنصور يحيى من أعلام الأئمة وهداة الأمة، دعوته بصعدة بعد وفاة والده، وعارضه أخوه القاسم الملقب المختار وأخوه الحسن بن الناصر، وكان خراب صعدة القديمة على يدى الحسن بن الناصر وأخيه المختار فى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة للهجرة ثم مات الحسن فى شوال سنة تسع وعشرين وثلاثمائة للهجرة وقتل أحمد بن محمد الضحاك الحاشدى القاسم المختار فى ريدة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة للهجرة فأخذ بثأره ابنه المنتصر محمد بن القاسم المختار وقصد قاتلي أبيه إلى عقر ديارهم فقلتهم وقال قصيدته المشهورة منها:

علام ألام يا سلمى علاما ... عداني اللوم فاطرحي الملاما

ألما تعلمي فتكي جهاراً ... عشية لم تهب نفسي الحماما

وطعنى غير ما وجلٍ وضربي ... كلىً وطلىً وأحشاءً وهاما

بردت الغل ثم شفيت نفسي ... بقتلي للأولي قتلوا الإماما

فتى فى السلم كان هدىً ونوراً ... وسيفا فى الوغى ذكراً حساماً

أبى الهادى الذى عصم البرايا ... وذاد عن الهدى قدماً وحامى

وجدى خير من ركب المطايا ... رسول الله واتخذ المقاما

شرعنا كل مكرمة ولما ... نزل للمجد والعليا سناما

ملأنا الارض إيماناً وعدلاً ومُلِّكْنا الورى يمنًا وشاما

هديناهم صراطاً مستقيماً وأصبحنا لدينهم قواماً

يصلى كل محتلم علينا إذا صلى ويتبعها السلاما

وقال صاحب أنباء الزمن: دعا عقيب وفاة الناصر أحمد ولده المنصور يحيى وعارضه أخواه القاسم والحسن فجرت فى أيامهم من الفتن والحروب ما يطول شرحه منها فتنة فى صعدة قتل فيها الحسين بن الإمام الهادى. والأقرب أن هذه الفتنة كانت قبل موت الناصر أحمد وتَعَقَّبها ما وقع من الاختلاف والشقاق وعدم الائتلام بين أولاد الناصر حتى قيل أن خراب صعدة القديمة كان بسبب كثرة المحن ومازالت أمورهم مضطربة إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة للهجرة. وأول حادث وقع بعد الناصر قدوم حسان بن عثمان بن أبى جعفر من نجران إلى صعدة فدخلها، وخرج العلويون منها إلى قبائل خولان فأكرموهم، ولم يتعرض حسان إلى أحد من أهل صعدة. ثم إن العلويين استعانوا بأسعد بن أبى جعفر فكتب لهم إلى همدان وخولان وبلغ حسان الخبر فخرج إلى برط. ودخل العلويون صعدة وأقاموا لهم الحسن بن الناصر وبايعوه فخرج أخوه القاسم إلى همدان فأجابه كثير منهم وساروا معه إلى كانط فوقع بينه وبين عسكر مظفر بن عليان بن الدعام حرب انهزم فيه عسكر ابن عليان، وكان من حزب حسان بن عثمان فخرج من ريده إلى عرة (وهى قبيلة من قبائل خولان تقع شمال ساقين على مسافة ثلاثة أميال ونصف) ونهض حسان غازياً بصعدة وقد استنفر من حوله من قبائل خولان وغيرهم فحاربه أهل صعدة وهزموه إلى برط.

ثم وقع الخلاف بين القاسم المختار وبين السلطان أحمد بن محمد الضحاك فمال الضحاك إلى الحسن بن الناصر وكاتبه وأمده بمال وأغراه بمحاربة أخيه القاسم، وكان فى ريدة فخرج منها إلى محل يسمى قرقر فخلفه ابن الضحاك على ريدة وطلب الإعانة من ابن عليان فأمده بمال فقصد القاسم إلى قرقر فأخرجه منها أقبح مخرج، وبعد أيام خرج القاسم إلى ورور فوقع بينه وبين الضحاك الحرب في موضع يقال له قطوان كانت الدائرة فيه على القاسم وقتل عدة من أصحابه ثم رجع إلى ورور،

وكانت المكاتبة بينه وبين ابن عليان والتقيا فأشار عليه ابن عليان بالرجوع إلى صعدة فسار نحوها حتى وصل إلى بلاد خولان، وجرت مراسلة بينه وبين أخيه الحسن، وكره الحسن دخول أخيه صعدة فخرج إلى الغيل واجتمع بجماعة من بنى أسعد ويرسم وغيرهم، وأظهر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فمال إليه كثير من الناس واصطلح هو وأخوه الحسن وتحالفا وأقاما على ذلك أياماً.

ثم دخل القاسم المختار إلى صعدة فانتقض الصلح من جهة الحسن وعامل جماعة من السفهاء على إثارة الفتنة مع دخول أخيه إلى صعدة فقتلوا رجلاً من أصحاب القاسم، وهاجت الحرب من الظهر إلى المغرب قتل فيها ثمانية، ثم أمر القاسم أصحابه بالكف عن أموال الناس، وثبت على ظهر فرسه تلك الليلة إلى الصباح حتى أتاه المخالفون يطلبون الأمان فأمنهم، وسكنت الفتنة وظهر للناس نكث الحسن فمالوا إلى القاسم، وشكروه على صبره فسار فيهم سيرة حسنة وشدد على السفهاء، ولما علم الحسن أنه قد ظهر للناس غدره خاف على نفسه وخرج إلى بنى أسعد ثم سار إلى خيوان وكاتب الضحاك فاتفقا على حرب القاسم واستعانا بحسان بن عثمان واتفقوا على المسير إلى صعدة فى يوم معين فمرض حسان فانتقض أمرهم. وبعد أيام عامل الحسن والضحاك جماعة من بنى كليب وقبائل جماعة على نهب صعدة ودخلوها وانضم إليهم من كان من أهلها مائلاً إلى الحسن من السفهاء ووقعت الحرب ثلاثة أيام ثم خدعوا القاسم بطلب الصلح على أن يخرج من صعدة حتى تسكن الفتنة فأجابهم.

ولما اقترف أصحابه أعادوا الحرب عليه فانهزم إلى الغيل وتمكن القوم من صعدة فنهبوها نهباً فظيعاً وقتلوا من أهلها وسبوا وخرج أكثر أهلها عنها، ثم جمع القاسم القبائل من نجران ووائلة ودهمة وبنى سليمان وسار بهم إلى صعدة وحارب المتغلبين عليها وهزمهم ، وأخوه الحسن كأحدهم لإثارة الفتنه فطلبوا الأمان من القاسم فلم يجبهم فخرجوا من صعدة ليلاً ودخلها القاسم وتضعضعت أحوال صعدة وخرب كثير منها.

ثم خرج الهيضم بن عباد قائد بنى كليب إلى الضحاك بريدة مستنجداً به على القاسم وانضم إليهما الحسن وجرت بينهم وبين القاسم حروب قتل فيها من الفريقين سبعة عشر رجلاً، وانهزم القاسم عن صعدة ودخلها القوم فانتهبوها وأقاموا بها ثلاثة أيام، ثم ساروا إلى علاف (وهو واد بسحار غربي صعدة بنحو فرسخين) وسار الحسن معهم ثم رجع الضحاك إلى ريدة ورجع القاسم إلى صعدة وقد تفرق أهلها ونالهم الضرر العظيم. وبعد أيام خرج الضحاك من ريدة لحرب القاسم واستخلف ولده بريدة فلما وصل علاف جمع قبائل تلك الجهة وسعى بينهم بالإصلاح وأنهم يقيمون الحسن بن الناصر فكرهوا ذلك وجعلوا هدنة على أنهم يعزلون الأخوين معاً. ودخل الضحاك صعدة فلبث بها مدة وأمر بهدم الحصن الذى بناه الناصر وأحدث فى صعدة أحداثاً وأقام الحسن بن الناصر فى الغيل وخرج القاسم إلى بعض الجهات وتفرق أهل صعدة أيدى سبا وذهبوا تحت كل كوكب، ولم يبق فيها أحد من الأعيان فاجتمع بنو أسعد إلى القاسم وطلبوا منه النهوض إلى صعدة فسار إليها وخرج عنها الضحاك إلى علاف فاجتمع به الحسن وبعض إخوته واتفقوا على قصد القاسم إلى الغيل واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم الضحاك إلى علاف وأسر جماعة من أصحابه فَمَنَّ عليهم القاسم وأطلقهم، لبث الضحاك فى علاف حتى بلغه وفاة ولده فى ريدة فانصرف راجعاً إليها.

وفى سنه أربع وأربعين وثلاثمائة للهجرة وصل القاسم إلى ريدة فخرج إليه من صنعاء الضحاك يطلب تقريره له على ولاية صنعاء ففعل.

وفى سنة خمس وإربعين وثلاثمائة للهجرة غدر الضحاك بالقاسم فحبسه فى قصر ريدة ونالته مشقة شديدة من أصحاب الضحاك؛ فإنهم كانوا يدخلون إليه بآنية الخمر ويشربونه فى مكانه لأذيته إلى شوال سنة خمس وإربعين وثلاثمائة للهجرة ثم قتلوه ظلماً ودفن جسده بريدة ثم استخرجه الإمام يوسف الداعى بن المنصور يحيى بن الناصر سنة ثمان وستين وثلاثمائة للهجرة ونقله لدفنه بصعدة.

وقال القاضى العلامة الحسين بن أحمد العرشي المؤرخ أول القرن الرابع عشر فى

شرحه على قصيدته (مسك الختام فمن تولى اليمن من ملك وإمام) أنه قام بالأمر بصعدة بعد الإمام الناصر أحمد بن الهادى أولاده الأئمة الأعلام أهل المجد التام والقدم الراسخ فى الأنام والإحلال والإبرام، وإن حصل الاختلاف فيما بينهم والتنافس حتى أدى إلى الاستعانة بملوك اليمن فإنهم لا يفارقون الحق ولايريدون غير قتال الظالمين وأنه لما قتل الضحاكُ الحاشدى القاسمَ المختار بريدة قام ابنه المنتصر محمد بن القاسم فأخذ بثأر أبيه وعضده قيس بن الضحاك، على أبيه القاتل فكانت بينهم وقعات فى خيوان قتل فيها الضحاك وكان قيس ابنه ممن أظهر مذهب الإمام الهادى وتعصب له حتى أعلى مناره. ومازال الإمام المنصور يحيى بن الناصر على دعوته حتى مات بصعدة فى محرم سنة ست وستين وثلاثمائة للهجرة عن ثلاث وستين سنة من مولده وعن أربعين سنة من دعوته وقلت فى تحفة المسترشدين:

وقام يحيى الليث فى الجمهور	بعد أبيه الناصر الهصور
بصعدة فى الخمس والعشرينا	وكان حبراً عالماً فطينا
وأول الأحداث فى زمانه	قدوم حسان مع نجرانه
إلى ربى صعدة فى سمعان	ففر من فيها إلى خولان
وقد دعا فى صعدة الفيحاء	القاسم المختار للعلياء
فى الست والعشرين بعد الثالثة	وكم له من فتكة وحادثة
ثم أقاموا صنوه الليث الحسن	وخربت صعدة فى ذاك الزمن
لفتن مثل لهيب النار	ومحن أضنت على الديار
متى توفى الحسن بن الناصر	فى طكش من الزمان الغابر
وقبره المعروف فى علاف	وكان ضرغاماً بلااخلاف
وبعده لم يزل المختار فى	جهاده بحد سيف مشرفى

حتى تمالت عصبة عليه واوثقو فى ريدة يديه
وقتلوه بعد غدر الأسر فى عام هشم (٣٤٥) يا له من كسر
ونقلت جثته بعد زمن فدفنت فى صعدة خير الوطن
وقام فى آخر عام ٣٤٥هـ أول التالى عام ٣٤٦هـ
منتصر للدين والقتيل بحد سيف صارم صقيل
محمد نجل الإمام المختار والناقم الآخذ منه بالثأر
يا له من قائم ومنتصر وناقم وناظم ومفتخر
ولم يزل يحيى سليل الناصر يدعو إلى الله القوى القادر
حتى قضى فى الست والستينا أكرم به فى صعدة دفيناً

الإمام يوسف الداعي
دعوته ٣٦٨ هـ وفاته ٤٠٣ هـ

هو الإمام الداعى يوسف بن المنصور يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادى يحيى، روى العلوم عن أبيه عن جده، وعن محمد بن محمد الحسنى وغيره.

دعوته وسيرته

أعلن دعوته سنة ثمان وستين وثلاثمائة للهجرة بمدينة ريدة البون؛ قال السيد الحافظ أحمد بن عبدالله بن أحمد الوزير المؤرخ بالقرن العاشر فى شرحه على أرجوزة الفقيه صالح بن صديق النمازى الشافعى فى نسب الإمام شرف الدين: إن هذا الداعى يوسف كان من أقمار العترة المضية، وشموس الملة المحمدية، وسيوف الجهاد عن

مذهب آبائه والأجداد، علماً من الأعلام، وهزبراً حين تلاحم الصدام، حاله من الصباح أشهر وشرفه من الشمس أبهر؛ كان قدا ارتحل إلى بغداد ولا أعلم ما سبب ارتحاله ولا كيفيته ولا كميته.

أنشد أبياتاً رآها مكتوبةً فى باب الطاق بالعراق وهى :

وإن امرءاً نال الغنى ثم لم ينل   صديقاً ولا ذا خلة لزهيد

وإن امرءاً أمسى وأصبح آمناً   من الناس إلا ما جنى لسعيد

وإن امرءاً عادى الرجال لمالهم   ولم يسأل الله الغنى لحسود

قلت ولعله أنفذه أبوه يحيى إلى بغداد. فقد ذكر السيد النسابة أحمد بن عنبة فى كتابه (عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب): إن المنصور يحيى من أحمد أنفذ رجلا من أهله إلى بغداد أيام كان أبو عبدالله الإمام المهدى محمد بن الحسين الداعى بها، وقال له اختبر حاله فإن رأيته أفضل وأولى منى بالإمامة فاكتب إلىّ بذلك لأبايعه وأدعو إليه.

ووفاة الإمام المهدى أبو عبدالله فى سنه ستين وثلاثمائة للهجرة،

وفى بسامة السيد صارم الدين:

ويوسف العترة الداعى الذى شرفت   منه المناصب زاكى الأصل والثمر

والقائم القاسم المنصور من فخرت   به عيان على ما شيد من مدر

جرت بأعجب أمرٍ كان بينهما   كأمر يوسف والأسباط فاعتبر

ونازلا كل طاغ فى زمانهما   وصاولاً كل ذى جور وذى بطر

وفى اللآلى المضيئة للشرفى شرح البسامة قوله : كان قيام الإمام يوسف الداعى سنة سبع وستين وثلاثمائة للهجرة ونهض إلى خيوان فأقام بها أياماً، وسار إلى وادعة من همدان ثم سار حتى دخل ريدة يوم الجمعة الرابع من ربيع الثانى سنة ثمان وستين

وثلاثمائة للهجرة، وأمر بحفر قبر عمه القاسم المختار، وأخرجه منه وهو على هيئته بعد لبثه بالقبر ثلاث وعشرين سنة ثم نقله ودفنه بصعدة كما سبق وهدم ما بناه قيس بن الضحاك فى درب صنعاء ثم سار عن صنعاء إلى ريدة فأقام بها أياماً، وقصد صنعاء فى عسكر عظيم وألف فارس من همدان وحمير فخرج عن صنعاء، قيس بن الضحاك إلى بيت بوس وترك بأعلى صنعاء أحمد بن الروية. ولما استقر بصنعاء، خرج ابن الروية بمن معه من بنى الحارث ومراد وحملوا على عسكر الإمام فقتلوا منهم جماعة، وكان الإمام فى آخر العسكر فحمل فى الخيل على بنى الحارس ومراد وابن الروية فانهزموا وقتل منهم مائة رجل وهدم الإمام ثانياً ما كان قد أعاد بناءه قيس بن الضحاك من الدرب بصنعاء، ثم خرج عنها فعاد إليها قيس بن الضحاك وتردد الإمام فى البون وقرى همدان وبنى صريم، ثم رجع إلى ريدة وجمع همدان وسار بهم إلى صنعاء فوصل إلى باب السجن وقتل كثير من عسكره ومن أهل صنعاء، فعاد إلى ريدة ودخل أسعد بن أبى الفتوح إلى صنعاء وأقام بها مع الشريف الحسن بن يحيى بن الحسين بن الهادى بن يحيى إماماً، ثم فسد ما بينهما فخرج الشريف الحسن غضباناً إلى الإمام وهو فى ريدة فجمع الإمام همدان وسار إلى صنعاء فوصل دربها فى الحادى والعشرين من صفر سنة تسع وستين وثلاثمائة للهجرة وبها أسعد بن أبى الفتوح الخولانى فى جيش كثيف من خولان والأبناء وأهل صنعاء فأقام الإمام حول الدرب أربعة أيام والقتال مستمر، ولما كثر القتل فى أصحابه أخرب ما حول صنعاء من الآبار، وسار إلى ضلاع فقطع بعض الأعناب فيها وفى وادى ضهر وسار إلى ريدة.

ولما أفسد سلمة بن محمد الشهابى وأهل صنعاء على أسعد بن أبى الفتوح فأخرجوه منها أرسل ابن أبى الفتوح قاضيه الحسن بن جريش إلى الإمام يوسف إلى ريدة وحلف له على السمع والطاعة فأسعده الإمام وسار إلى ضلاع فالتقاه ابن أبى الفتوح إلى ضلاع فدخل صنعاء ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة تسع وستين وثلاثمائة للهجرة فلم يشعر جيش صنعاء حتى أخذتهم السيوف وفتح باب الدرب ودخلت همدان من طريق الجبانة وانهزم سلمة وبنو شهاب ودخل الإمام وابن أبى الفتوح

صنعاء فى عسكر عظيم من همدان وخولان. وقصد الإمام دار ابن خلف وأخرج سلمة بن محمد الشهابى وقتلوا زهاء أربعين رجلاً ونهبت دار ابن خلف ودار أبى جعفر، وأمر الإمام نهار ذلك اليوم بالأمان وكف الناس عن النهب وأمر بهدم درب صنعاء وأقام بها الإمام. ثم فسد ما بين الإمام وابن أبى الفتوح فقصده الإمام إلى أطراف خولان العالية وهدم دار والده الحسن بن أبى الفتوح فى قرية السرين من بلاد سنحان ووصل أسعد إلى بيت بوس فسار إليه الإمام فى همدان وغيرهم فاقتتلوا وانهزم أسعد وقتل من قتل من أصحابه الخولانيين وعاد الإمام إلى صنعاء. وفى عشرين من رجب سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة للهجرة خالف على الإمام أهل همدان وكسروا باب السجن وأخرجوا من فيه فسار إلى بلد الأبنا بالسر ثم رجع إلى صنعاء فى نصف شعبان. ثم سار إلى دمار وأقام مدة فى بلاد عنس، وسار إلى بلاد مأرب والجوف، ثم رجع إلى وَرْوَر ثم إلى ريدة. وجمع همدان وسار إلى صنعاء وبها أبو العشيرة عم أسعد بن أبى الفتوح فخرج عنها فى ذى القعدة. ولم يزل الإمام يتنقل من صنعاء إلى ريدة إلى حصن ناعط إلى مدر إلى مخاليف همدان. وكان قد عَمَّر حصن ناعط ثم هدمه. ثم خالفت عليه همدان جميعاً، ورفع أيدى عماله فانتقل إلى شوابه ثم إلى مدينة حوث من ديار بنى ربيعة فبنى فيها داراً ونقل إليها خدامه. ثم كاتبه بعض همدان فسار ومن معه فى رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة للهجرة إلى الحصبة قريباً من صنعاء وكأن بها بعض أصحاب ابن أبى حاشد فقاتلو الإمام وأصحابه حتى هزموهم فرجع الإمام إلى ريدة وأقام بها دون شهر، ثم رجع صنعاء فدخلها سلماً وأقام بها أياماً وسار إلى ريدة، وفسدت عليه همدان فسار فى شعبان إلى حوث. ثم عاد إلى ريدة وحلفت له همدان على الطاعة، وأرسل فى صفر سنة سبع وثمانين وثلاثمائة للهجرة عامله إلى صنعاء فخطب له فيها وولى البوسى القضاء بها، وعزل القاضى سليمان ويحيى بن عبد الله بن محمد النقوى. وسار فى رجب إلى صنعاء ورجع فى شعبان إلى حوث. وفى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة للهجرة وصل إلى صعدة الإمام المنصورالقاسم بن على العيانى فأقبل عليه الناس وضعف أمر الداعى يوسف، ثم كان اجتماعهما واتفاقهما وكان كل واحد يكتب للآخر:

(يا أخى جعلت فداك) ثم اختلفا. ثم مال الشريف القاسم بن الحسين الزيدى عامل العيانى على صنعاء وذمار وغيرها إلى يوسف واستدعاه من صعدة فالتقيا بهمدان فى ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة للهجرة وتعاقدا ورجع يوسف إلى ريدة والزيدى إلى صنعاء فخطب بها ليوسف بالأمان وله بالإمارة وفى محرم سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة للهجرة وصل يوسف إلى صنعاء ثم سار مع الزيدى لمقاتلة أسعد بن أبى الفتوح بخولان فقتل جماعة من أصحاب أسعد ورجع يوسف إلى صنعاء ثم إلى حاز همدان وخلف بصنعاء أبا الصياح.

ولما مات العيانى فى رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة للهجرة انتعش ذكر يوسف فبادر إلى صنعاء فى شوال سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة للهجرة وخطب له أبو عبدالله البوسى نصف شهر ثم خرج إلى حاز ثم إلى مدر ثم إلى ريدة ثم إلى صعدة حتى توفى بها فى الثانى والعشرين من صفر سنة ثلاث وأربعمائة للهجرة قال القاضى الحسين العرش فى بلوغ المرام: إن يوسف الداعى هوالإمام الأورع الزكى ذو الدين الرضى والعلم المرضى والإنصاف الخالى عن الإنحراف، وكان مرامه إحياء الدين، وعارضه الإمام القاسم العيانى وقال بذلك طائفة من العلماء، وبذلك طائفة منهم انتهى. وفى تحفة المسترشدين.

ثم دعا يوسف وهوالداعى سليل يحيى يا له من داعى

دعوته إلى الهدى والدين بريدة فى ثامن الستين

فجدد الأحكام للشريعة بعلمه والسيف فى البقيعة

حتى ثوى ويا له من مودَع بصعدة فى الجيم بعد الأربع

القاسم بن على العيانى

مولده ٣١٠ دعوته ٣٨٨ وفاته ٣٩٣

هو الإمام المنصور القاسم بن على بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسى بن إبراهيم العيانى نسبه إلى مدينة عيان المقبور بها، روى عن أبيه عن جده، وعن أحمد بن محمد الطبرى وغيره. وكان مقيماً بتبالة خثعم فى شمال اليمن واستخرج غيلها القديم، ثم أقام فى بيته على طريقة سلفه الأكرمين فى العلم والعمل، وله سيرة خاصة جمعها الشيخ الحسين بن أحمد بن يعقوب.

دعوته وخلاصة سيرته

كان وصوله أولاً إلى اليمن، ثم عاد إلى ترج من خثعم، وكانت ولاته تتصرف فيما يليه من الجهات خصوصاً أرض سنحان وجنب ويام ثم بعث رسله إلى اليمن فى شوال سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة للهجرة لاستنهاض الناس وتسليم أعشارهم إليه وقام برسائله رجال من البون والخشب والصيد والمشرق وجمعوا فى الزكاة نحو عشرة آلاف درهم وساروا إليه فنهض إلى بيته والتقاه سلاطين خثعم، ثم وصل فى محرم سنة تسع وثمانين وثلاثمائة للهجرة إلى صعدة فملكها ثم سار إلى نجران ثم عاد إلى تبالة فخالف عليه أهل صعدة فجمع همدان وسار إليها فدخلها وأخرب دربها وخرج عنها يوسف الداعى فاستعمل عليها ولده جعفر بن القاسم وجعل له نصف خراجها، ونصفه لبنى الهادى للضرورة، ومهما حصل ما يكفيهم نزعه منهم واصطلح مع يوسف الداعى وتنحى الداعى له وناصره، ووصلت إلى العيانى كتب أهل صنعاء وآل الدعام يستدعونه إلى بلادهم فسار إليهم والتقاه الدعام ورجع إلى عيان ثم إلى خولان ووادعه وأصلح بين أهلها فى دماءٍكانت بينهم وسار فى جمادى الأول إلى ثافت وبنى صريم وغولة عجيب وريدة والخشب وانتشرت أخباره وخفقت أعلامه وزالت ضغائن الأقوام وطلبوا منه أن يبعث عاملاً على صنعاء فاستعمل عليها الشريف القاسم بن

الحسين الزيدى، وكان قد حصل فى صنعاء حرب بين أهل القطيع وأهل السرار حتى تضرر تجارها وضعفاء أهلها فسكنت الفتنة ووفد على الإمام قبائل حمير وسألوه القدوم إلى بلادهم فأجابهم ونهض إلى حلملم واستعمل عليها الشريف إسماعيل بن أحمد أبا البركات وهو جد الإمام الشهيد أحمد بن الحسين، ثم وفد على الإمام قبائل المغرب كبنى شاور وبنى عشب وميتك وقُدَم وغيرهم وسار إلى ريدة فأطاعه جعفر بن الضحاك وكافة أهل البون، وأقام بها رجب وشعبان ورجع إلى صعدة غرة رمضان وقطع ما كان يؤخذ بصعدة من المكوس من التجار وغيرهم.

وخلال ذلك خالف عليه أهل نجران فجمع جمعاً عظيماً وطلب الشريف الزيدى من صنعاء وسار إلى نجران فأسر منهم وأخرب عدة حصون ثم رجع إلى عيان ورجع الزيدى إلى صنعاء، ثم أمر الإمام أن يتقدم الزيدى إلى ذمار فسار إليها ودخل أهلها فى طاعة الإمام واستعمل الإمام عاملاً من لديه على صنعاء. ثم كتب الزيدى إلى أسعد بن عبدالله بن قطحان الجعفرى الحوالى صاحب بلاد كحلان يرغّبه فى الدخول فى طاعة الإمام فأجابه إلى ذلك وخطب للإمام وأرسل إليه بمال جزيل وخيل وخلع، وكان الإمام قد نهض إلى ريدة وجمع الناس لحرب نجران لما خالفوا عليه مرة أخرى فدخلها وقتل من أهلها وطلب بقيتهم الصلح فأجابهم ثم عادوا إلى الخلاف.

وفى خلال ذلك فسد ما بين الزيدى وبين ابن أبى الفتوح فسار الزيدى إلى إلهان آنس واستولى على حصن أشْيَح، وكتب إلى نائب الإمام بصنعاء فتلقاه وهدم دار ابن أبى الفتوح، ثم سار إلى صنعاء فى عسكر فأقام بها أياماً، ثم عاد إلى ذمار والإمام فى ورور. وفى صفر نهض يوسف الداعى من صعدة إلى وادعة الظاهر مغاضباً للعيانى بسبب قطعة للمكوس بصعدة وما كان يؤخذ من التجار مقابل الزكاة والأعشار بعد أن شكوا عليه جور العمال، وأنهم يسلمون الواجب عليهم فى صنعاء وكان ليوسف الداعى قسط من ذلك ثم سعى فى الصلح بينهما الحسن بن محمد بن يحيى. وفى ذى القعدة بلغ الإمام أن جماعة من بنى خيثمة نجران نكثوا البيعة ووثبوا على عاملين من عماله فقتلوهما بعد أن أطعموها الطعام. وفى محرم سنة تسعين

. وثلاثمائة للهجرة سار العيانى من عـيان ومر بصعدة إلى نجران فى ألف فارس وثلاثة آلاف راجل فأوقع ببنى خيـثمة بسبب قتلهم لعاملين وأخـرب حصنهم وقطع نخيلهم وظفر بـستين رجلاً منهـم، فسار بهم إلى صـعدة وطلب من الـتجار إعـانة للجند، ووصل إليه جماعـة من الأشراف آل أبى الطيب من الحجاز فى أبهة عظيمـة وحاشية من الموالى والخدم فاستوقـفهم بصعدة ونهض من عيان لاستقـبالهم بالإحسان وأهدوا إليه وأعانوه بشئ من المال وطلبوا منه التجهيز مـعهم لفتح تهامة الشام وتوليتهم إياها فوعدهم بذلك. وفى جمادى وقع بينه وبـين ابن المليح وإخوته من آل الهادى بصعدة اختلاف بسـبب عزلهم من عهدتهم أفضى إلى الحرب بيـنهم وبينه بصعدة، ولـم يكن عنده بها من أصحابه الكفاية للحرب فتأخر عنهم إلى أن أتته الغارة فانهزم بنو المليح إلى نجران ونهب بعض المغـيرين معـه دور بعض أهل صعدة، ثم عاد إلى عـيان، ثم سار إلى نجران، فوقعت حرب انهزم فيها أصحابه وقتل جماعة منهم، منهم ابن عمه الحسن بن عـيسى. ولما رأى الأشراف بنو الطيب الاخـتلاف عليه استـأذنوه فى العود إلى بلادهم فعـادوا. وفى سنة إحدى وتسـعين وثلاثمائة للهجـرة سارت إليه قـبائل همدان وسألوه النفقات فكتب إلى عامله بصنعاء ابن أبى الصياح فى تسليمها لهم فلم يجدوا عنده ما يقـوم بها فقصدوا أسعـد بن أبى الفتوح وابن أبى حاشد فخـالفوهما ودخلوا بهـمـا إلى صنعـاء وخـرج عنهـا العامـل، ولما علم الزيدى نهض من ذمـار بمجموعة حتى نزل بئر الخولانى جنوب صنعاء وقطع أعناب ابن أبى الفتوح وسار إلى قرية نعض سنحان فأخربها وخرج ابن أبى حاشد من صنعاء فعاد إليها العامل ابن أبى الصياح. وكانت الأبناء قد مالت عن نصرة ابن أبـى الفتوح فتوسل إلى الزيدى فقبله على أن يكون مـخلاف خولان مـن جملة بلاد الإمام، وحـمل ابن أبى الفـتوح إلى الزيدى خمـسة وسبعين ألف درهم ودخل الزيدى صـنعاء ووقعت منه بعض مخـالفة لأوامر الإمام ثم التقيا بمدر أرحب واعتذر الزيدى للإمام ودخل الإمام صنعاء فأقام بها أياماً واستـعمل عليها الشريف هلال ابن جـعفر العلوى ورجع إلى ريدة وَرَوْرَ ورجع الزيدى إلى ذمار. ثم وصل جعفـر بن الإمام العيانى إلى صنعاء عاملاً عليـها فتلقاه ابن أبى الفتوح فرد له جـميع مخلافه ولحق الناس الجور من جـعفر. ثم وصل الإمام

إلى صنعاء ووصل إليه ابن أبى الفتوح وتغير قلب الإمام على الزيدى فخالف عليه وثبت بذمار إلى أن خرج الإمام من صنعاء فقصدها الزيدى وأسر جعفر بن الإمام وإخوته وسار بهم معه وحارب ابن أبى الفتوح وأخرب قريته نعض مرة أخرى ثم إن الإمام استعطف الزيدى فأطلق أولاده وأحسن إليهم، وقصد الإمام إلى ريدة فصلح شأنهما ثم ولاه الإمام ولاية عامة من نقيل عجيب إلى عدن، ورجع الزيدى إلى صنعاء فولاها الشريف هلال وسار إلى إلهان، وفيها توفى الأمير أسعد بن عبدالله بن قحطان صاحب كحلان وأقلموا بعده أحمد بن يعفر.

وفى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة للهجرة وصل الإمام العيانى إلى صنعاء فمال عنه الشريف هلال العلوى نائب الزيدى عليها وكتب إلى الإمام يوسف إلى ريدة بالوصول إليه والتقيا فى شرق همدان وتحالفا. وفى أثناء ذلك وصل إلى العيانى بصنعاء كتاب من ولده إسماعيل بن القاسم أمير صعدة يذكر فيه خلاف بنى المختار وبنى المليح فى صعدة فرحل من صنعاء فى الرابع والعشرين من ذى القعدة واستخلف عليها ولده جعفراً، وحينما وصل إلى ريدة بلغه أن الزيدى خلفه بدخوله صنعاء وقبض على جعفر وبعث به إلى قلعة فى بنى شهاب، وخطب بصنعاء للإمام يوسف فاشتد على القاسم وسار إلى مدر فأطلق الزيدى جعفراً وسأله الصلح فالتقيا بالصيد ولما أقبل الزيدى بجنود كثيرة أرسل إليه أن لا يلقاه إلا فى نفر قليل، فالتقيا وتم الصلح وسارا جميعاً إلى ريدة وسار الزيدى إلى اليمن وسار العيانى إلى وادعة وعمر بها داراً وأسكنها ابن عمه القاسم بن عبدالله ثم سار إلى عيان واستقر بها وترك الأمر والنهى لعدم وجود الأنصار. وصار الأمر لبنى المختار ووصل الإمام يوسف إلى صنعاء ثم إلى إلهان وذمار وبقيت صنعاء بدون نائب.

من آثارالعيانى ورسائله

من آثاره استخراج غيل آلاف من قاع أرتل على يد عامله الزيدى وهو من الأنهار القديمة المدفونة، واستخرج غيل تبالة القديم من بلاد خثعم. ومن كتاب له إلى ابنه

علي لما ولاه بلاد وادعة:

«إن من حكماء الأمة من جعل الأناة نصب عينيه وشعار قلبه، واستظهر بآراء ذوى التجربة الذين كثرت عليهم نوائب الزمان، فإن استشرت من قد لقحت التجربة عقله سُدْتَ وسعدت، وليس كل الناس يستشار وإنما الرأى لأهل العقول الرضية والديانة والأمانة، وإن أردت بيان الرأى فشاور جماعة من ذوى الرأى كلاً على حياله فإن اتفقت آراؤهم فلن يكن مع الإجماع خطأ، وإن اختلفت فخذ منها بما أوجب العفو والأناة، فأنت مع ذلك ستدرك الفائت وتأمن الندامة. واحذرك نفسك فإنها من أعدى أعدائك لك وأشدهم مضرة عليك، والهوى أصل كل معصية، وسوف تدعوك نفسك إلى الدنيا وزينتها فإن أجبت دعوتها وضعك ذلك وأذهب بهاءك، ونظرك بعين الدناءة من عاداك وساء ذلك من والاك. والزم الصبر فإنه مفتاح الفرجِ وقلَّ من صبر ولم تحصل حاجته. وتقلل من الناس فإن مثل خيارهم مثل الدُّر ومثل شرارهم مثل الصخر. وأحذرك أن تطلب حوائجك معاً فيثقل عليك مطلبها، واطلبها بدداً فإن ذلك أحرى لنيلها وأخف لتكلفها..» إلخ.

ومن شعره قصيدة منها:

طال الثواء بصعدة وعيان ومذاب فالاحراج من سنحان

فهل الزمان مساعف لمواشكٍ يقصو ويغرب مرة ويدانى

فنأى وخلى من ونى فى رأيه وأضاف ظن الخير فى قحطان

السادة الغر الكرام أولى النهى أهل العفاف ومعدن الإيمان

وجعلت مع رسلى إليهم دعوة يحظى المجيب لها بأعظم شان.

إما أجبتم دعوتى فتأهبوا لهبوط بيش منزل العبدان

وقصيدة منها:

أقول لأصحابى ونحن بجانب من الشط ترعانا جنود العساكرِ

هل الجمع جمع المشعرين كجمعنا وهل يزهدن فينا امرؤ غير خابرِ

سقى الله أقطار الحجاز وأهله ولم يبعدوا عنا بأيمن طائرِ

هم زهدوا فى كوننا ببلادهم وكانوا ظهيراً بين راع وحاسرِ

فهل عوضوا عنا المهنى فلم يكن بنا عوض فى ذى الخطوب الجواهرِ

وحولى حماة ليس خلق يروعهم لقد كرمت أحساب تلك العشائرِ

وأصبحت فى همدان فى رأس شامخ من العز إذ فازوا بفخر المفاخرِ

أولئك أنصارى فهل من مفاخر بمثلهم فى الناس أو من مكابرِ

ثم لما رأى خذلان الناس وميلهم إلى أعدائه ومنافسيه لزم العزله والانقباض، وكتب إلى قبائل وادعة وبكيل يسألهم الاستقامة وحسن الجوار الكريم له ومن إليه من ذرية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وجعل الخيار فى الطاعة إلى الرعايا فمن والاه منهم دفع زكاته إليه أو إلى سعاته. ومن كره ذلك لم يسأله شيئاً وأقام حيناً فى حصنه بضيعته فى مذاب بالقرب من عيان وحيناً فى عيان وأرسل رسالة إلى الناس مشحونة بالمواعظ والحجج والتذكير ورد على من أظهر الطعن عليه بكتاب سماه (كتاب الرد على الرافضة) وهو أحسن كتبه.

وفاته وذكر أولاده

ثم اعتل واشتدت علته وكان قد رسم كتاب وصيته ومات يوم الأحد التاسع من رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة للهجرة عن ثلاث وثمانين سنة. ولم يخلف ديناراً ولا درهماً إلا سلاحه ودوابه وثيابه، وكان عليه من الديون أضعاف قيمتها. وأولاده خمسة: علي انقطع نسله، ومحمد أولاده أهل عيان، والمحسن المقبور بريدة، وجعفر الأمير المشهور من أولاده أحمد بن جعفر جد أهل براقش، والأمير القاسم بن جعفر القتيل بالجوف، والأمير محمد بن جعفر ذو الشرفين المقبور بشهارة الأمير نسبة

إليه ونسله بها بغربان، والخامس سلمان بن القاسم العيانى.

القاسم الزيدى

هو الشريف الكبير القائد الخطير القاسم بن الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد بن القاسم بن يحيى بن الحسين بن الإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب. كان مسكنه بالطائف بالحجاز. ثم وفد فى جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة للهجرة إلى الإمام القاسم العيانى إلى عيان فى خيل وركائب وجماعة من بلاد خثعم، فولاه صنعاء و ذمار وبلادها فكان من أعظم قواده، ثم اختلفا سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة للهجرة ومال إلى الإمام يوسف كما سبق، ومات بذمار فى محرم سنة زربع وتسعين وثلاثمائة للهجرة وقبر جنوبى جامع ذمار بعد أربعة أشهر من وفاة الإمام العيانى. وابنه الإمام محمد بن القاسم الزيدى عارض المهدى بن الحسين بن القاسم العيانى وقتل بحقل صنعاء، وابن ابنه القاسم بن محمد بن القاسم الزيدى، وذريته سادة بيت نعامة من بلاد بنى شهاب وحضور، وبعضهم بصنعاء، وبجهران وغيرها.

الحسين بن القاسم العيانى

مولده ٣٧٦هـ دعوته ٣٩٣هـ وفاته ٤٠٤هـ

هو الإمام المهدى الحسين بن القاسم بن على العياني روى عن أبيه وغيره، وكان لا يجارى فى مضمار ولا يشق له غبار وله الأقوال الصادعة والتصانيف العديدة منها: كتاب منهج الحكمة وكتاب المعجز فى أصول الدين وكتاب الإرادة وكتاب الصفات ومعرفة الصانع وكتاب تفسير غريب القرآن أبان فيه عن علم وافر. وقيل: إن مؤلفاته بلغت إلى سبعة وثلاثين مولفاً منها ما هو فى ورقتين فقط؛ وشجاعته مشهورة.

دعوته وبعض سيرته

كانت دعوته بعد وفاة والده في رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائةللهجرة وفي صفر سنة إحدى وأربعمائة للهجرة وصل إلى البون وبلاد عمران فأجابته قبائل حمير وهمدان والمغارب ومالوا عن طاعة الإمام محمد بن القاسم الزيدي. وفي سنة اثنتين وأربعمائة للهجرة دخل الضحاك بن جعفر بن الضحاك إلى صنعاء، ووصل إليه رسول المهدي الحسين وهو ابن النجم في جماعة لقبض الزكاة فلم يعارضه الضحاك، وفي آخر سنة اثنتين وأربعمائة للهجرة وصل جعفر بن القاسم العياني أخو المهدي أميراً على صنعاء وضرب السكة باسم أخيه المهدي فلم يستقم أمره وحاربه أهل صنعاء فأغار أخوه المهدي وهدم دور بعض أهل صنعاء وعاد. فكتب أهل صنعاء إلى الإمام محمد بن القاسم بن الحسين الزيدي فقدمها من ذمار سنة ثلاث وأربعمائة للهجرة في عسكر عظيم فخرج عنها جعفر العياني وأمر الزيدي بهدم دور جماعة من أصحاب المهدي فجمع المهدي همدان وحمير وغيرهم، وقصد الزيدي إلى صنعاء فانهزم الزيدي فتبعه المهدي في أفراس إلى حقل صنعاء فقتله ودفن بنجد عصفر. قال صاحب البسامة:

وأنزلت ساحة المهدي قارعة ... بذي عرار ونقع الخيل لم يثر

وقال قوم: هو المهدي منتظراً ... قلنا: كذبتم حسين غير منتظر

كيف انتظاركم نفساً مطهرة ... سالت على البيض والصمصامة الذكر

وللخيالات أوهام مسلطة ... على العقول التي ضلت عن الفكر

وكان منه على الزيدي ملحمة ... بحقل صنعاء تجري مدمع النظر

ورجع المهدي إلى ريدة وترك أخاه جعفر أميراً بصنعاء. ولما علم الأمير القاسم بن محمد بن القاسم الزيدي بقتل والده نهض في جمع عظيم من مذحج فوصل إلهان

آنس وبه منصور بن أبى الفتوح فوقع بينهما حرب قتل فيها جماعة من أصحاب الزيدى وأخذت رايتهم وبعث بها ابن أبى الفتوح إلى المهدى وانهزم الزيدى ونزل ابن مروان من أصحابه إلى تهامة مستنجداً بأميرها فأمده بمال جزيل فوصل إلى إلهان ووصل أيضاً الزيدى فى قبائل عنس وكادوا أن يستولوا على ابن أبى الفتوح فاستنجد بالمهدى فسار إليه بجيوش كثيرة فتفرق جمع الزيدى فخرج ومعه ابن مروان فى خفية واستولى المهدى على ما كان لهم من خيل وغيرها. وخالف على المهدى بعض بلاده فرجع وعاقبهم. ثم سار إلى صعدة فاستولى عليها وأخرب بعض دورها واستعمل فيها أخاه جعفراً وعاد إلى صنعاء وفسد ما بينه وبين ابن أبى الفتوح وخالف عليه بنو شهاب وبنو صريم ووادعة ونزلت بنو صريم إلى دار الإمارة بقرية حمدة وأخرجوا من فى سجنه من أهل البون فخرج من صنعاء بعد أن نهب عسكره دور بعض أهلها فتنكرت له القلوب وخرج جماعة من أهل صنعاء فألبوا القبائل فحاربوه فى ريدة حتى هزموه إلى قرية حمدة وقتل جماعة من أصحابه وحطوا عليه فى حمدة فخرج منها مختفياً نحو بلاد الصيد ودخلت القبائل حمدة فنهبوها وأرجعوا أحمد بن قيس الضحاك أميراً على صنعاء فلبث بها مدة.

وفى سنة أربع وأربعمائة للهجرة جمع المهدى جيشاً وجمع الضحاك جيشاً والتقيا بذيبين ووقعت حروب انهزم فيها المهدى إلى الجوف، ثم رجع إلى بلاد الصيد فى مائة فارس، ثم تقدم إلى ريدة. ولما سمعت همدان بعودة قصدوه، وحصلت حروب فرق فيها صفوفهم وحمل عليهم المرات العديدة وفى آخر الأمر تكاثرت عليه الرجال فانجلت المعركة عن قتله فى صفر سنة أربع وأربعمائة للهجرة، قتله بنو حماد وأصحابهم بعرار فى وادى البون بالقرب من ريدة ودفن هنالك عن دون ثلاثين سنة ولم يعقب غير بنتين. ومن حملة شيعته من يزعم أنه حى لم يقتل وأنه المهدى المنتظر، وقد رد عليهم الفقيه حميد مؤلف الحدائق برسالة سماها الزاجرة. وفى ترجمة القاسم بن الحسين الزيدى بمطلع البدور لأبى الرجال إبطال مزاعم بعض شيعته فيه، وسبق أبيات البسامة، وقد شرحها الشرفى فى اللآلي المضيئة. وفى بلوغ المرام للقاضى الحسين العرشى أنها جرت بين المهدى الحسين وبين دعاة الباطنية مثل حسين

بن عامربن طاهر الحميرى مراسلات.

وعلى ضريحه فى قاع البون هذه الأبيات:

قبر به حل الفخار السامى ... وضريح أشرف قائم وإمام

القائم المهدى أفضل من دعا ... لله فاشتدت عرى الإسلام

شمس الفخار ونور آل محمد ... وعميدهم بحر العلوم الطامى

هذا الحسين البرنجل القاسم بن ... على الجالى دجى الإظلام

من كان فى آل النبى إلى العلى ... وإلى الهدى علماً من الأعلام

ربُّ التصانيف التى ببيانها ... لمريدها برء من الأسقام

والقائد الجيش العرمرم ثائراً ... للدين من متغلِّب ظلام

حتى أقام حدوده لم يثنه ... عنه الأعادى من ذوى الإجرام

ثم اجتباه ربه بشهادة ... رفعت له فى الخلد خير مقام

وكان قد أجاب المهدى الحسين حمير وهمدان وسائر المغارب، وبايعه مطرف بن شهاب وقتل معه فى بعض حروبه رجلاً ثم استنكر على المهدى وترك إمامته وسلم دية المقتول الذى كان قتله معه وأرضى أهله.

أبو هاشم الحسن بن عبدالرحمن
دعوته ٤١٨هـ وفاته ٤٣٣ هـ

هو الإمام النفس الزكية أبو هاشم الحسن بن عبدالرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين بن القاسم الرسى... إلخ، الحجازى ثم اليمنى، أخذ عن أبيه عن جده.

وعنه ابنه الإمام الشهيد حمزة بن أبى هاشم وغيره، وكان جامعاً للشروط المعتبرة فى الإمام، ومن مؤلفاته كتاب سياسة النفس فى الزهد والوعظ.

دعوته وخلاصة سيرته

بعد وصوله من الحجاز دعا من حصن ناعط على مسافة مرحلتين شمالاً شرقاً من صنعاء، وسار إلى مأرب فرحب به أميرها عبد المؤمن بن أسعد بن أبى الفتوح، وبايعه وتابعه وأقام عنده أياماً وأنفذ كتبه إلى الجهات يقول فيها: من عبدالله الإمام المعيد لدين الله الداعى إلى طاعة الله الدافع لأعداء الله... إلخ. فبلغ القائد مرجان الحبشى صاحب الكدراء بتهامة فكتب إلى الأمير منصور بن أسعد بن أبى الفتوح ولامه على قيام أخيه عبدالمؤمن مع هذا الداعى، فغضب منصور وأيد أخاه والداعى وأدخلهما صنعاء فى رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة للهجرة، وخطب للإمام بجامع صنعاء ابن النقوى الشافعى قاضى صنعاء. وأنفذ الإمام عماله إلى المخالف ثم سار إلى إلهان آنس مع ابن أبى الفتوح فاستقبلته قبائل عنس ومن إليهم إلى قرية ضاف من بلاد جهران فلبث بها سبعة أيام، ثم سار إلى ذمار، وأمر بعمارة حصن هران، ودخل فى طاعته صاحب حصن كحلان يريم وساروا جميعاً إلى أب ورجعوا. ثم فسد ما بين الإمام وابن أبى الفتوح وابن أبى حاشد، ورجعا إلى موالاة القائد مرجان فسار الإمام إلى حصن همدان عن مكاتبة له من قبائل عنس. وفى الحدائق الوردية أن الإمام الحسن دخل صنعاء يوم الخميس الثالث من شعبان سنة ست وعشرين وأربع مائة للهجرة وصاح صائحه بحضور الناس لصلاة الجمعة فخطب فيهم وصلى بهم وأقام بها إلى نصف رمضان، ثم خرج منها لمعارضة الحسين بن مروان له، ثم حلفت له قبائل همدان على الطاعة إلا بنو حماد فعاد صنعاء فى الثامن محرم سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة للهجرة، ثمانية أيام، وولى عليها والياً ورجع إلى ريدة وأقام آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر حتى توفى بناعط. ومن رسائله رسالة كبيرة فى ثمان صفحات منها: الحمد لله العزيز الغفار، الواحد القهار، الملك الجبار، خالق

وكل شئ عنده بمقدار، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، سواء منكم من أسرالقول ومن جهر به، ومن هومستخلف بالليل وسارب بالنهار. . .

ومنها: وهذا الحى من همدان أهل المجد والبأس والنجدة والمراس وسراة الناس، ممن رضى الله ورسوله طاعتهم وموالاتهم ومشايعتهم ومحاباتهم دوننا أهل البيت، ومظاهرتهم ومؤازرتهم للقائم منا، ومصاحبتهم لمحقنا، فهم بطانتنا وخاصتنا وأعضاء دولتنا وحماة حوزتنا، فجزى الله أحياءهم خيراً، وأوسع أمواتهم ثواباً وأجراً. فكم من عظيمة دوننا تولوها، وكم من كربة جلوها، وإلى الله نرغب وإياه نسأل أن يثبتهم ويوفقهم لنصرتنا.

معاشر المسلمين أن الله جل ثناؤه لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سدى، ولم يخلع عذاركم، ولا ملككم اختياركم، بل جعل عليكم رقيباً من العقل قامعاً آمراً وبينهما من الرأى رادعاً زاجراً وشهيداً من الشرع مانعاً، ونصب لتأسيس أوامر الصدق وشرائع الحق الأنبياء الصادقين، ثم أمرهم بعد تأسيسها بسياستها وحفظها وحراستها فكان الخلق فى تلقى الحق قسمين: فقسم بان لهم الحق فأذعنوا واستسلموا خاضعين وانقادوا لأمراء الله طائعين بصدرو منشرحة وآمال منفسحة، ففازوا فى دنياهم بالدعة والخفض وفى عقباهم بجنة عرضها السموات والأرض. وقسم جحدوا النبوة وخالفوا تمرداً وعصياناً فاستخفوا بحدود الله وجاوزوا أحكام الله واستهانوا بحرمات الله ولم يعظموا شعائر الله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون﴾ ﴿ومن يتعد حدود الله فاؤلئك هم الظالمون﴾ فأداهم غيهم إلى سخط الله وسطواته، وبلاهم كفرهم بنكاله ونقماته فلما انقضى عهد النبوة وتعين على الخلق ترض الإمامة ألحد فيها طائفة غرتهم الدنيا بزخرفها فنالوا من الدنيا متاعاً قليلاً وكابدوا بعدها عذاباً طويلاً فرحم الله امرءاً نظر لنفسه وفكر فى يومه وأمسه.

عباد الله إن لكل قائل غرضاً فيما يقوله، وغرضى والشاهد الله ما أبثه لكم ولا أكتمكم ابتغاء مرضاة الله واستشعار تقوى الله والتقرب إلى الله والسعى فى ذات الله

وبذل المهجة للجهاد فى سبيل الله، وحمل الخلق على كتاب الله وإحياء شريعة رسول الله وتأمين السبل الخائفة لتكون السياسة قائمة حيث أمر الله من أمان العباد وإخصاب البلاد وإقامة حكم وإزالة ظلم. ثم إعزاز آل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين جحد أكثر الأمة حقوقهم واستحلت عقوقهم واستباحت دماءهم فشارك فى قتلهم الأموى والعباسى واجتمع عليهم العربى والعجمى فغرضى أن أجبر المصاب وأرد الحق إلى النصاب والأمانة إلى الأرباب. ثم أهل العلم أوفيهم حقهم من التوقير وقسطهم من العطاء والتوفير، وأزيل ما شجر بينهم من الخلاف بنفى الحيف عنهم والإجحاف حيث قادهم إلى السفه والسباب ومكابرة الصواب والتنابز بالألقاب، ثم خيار السلاطين أقرب مجالسهم وأرفع منازلهم وأسعف شفاعتهم ومسائلهم ما لم يضيع ذلك حداً أو يغير حكماً. عباد الله إن السياسات أربع: فسياسة تلزم الخاصة والعامة ظاهرة وباطنة وهى سياسة الأنبياء، وسياسة أئمة الحق. والسياسة الثانية تلزم الخاصة والعامة ظاهرة لا باطنة وهى سياسة الملوك المتغلبين، فإن السلطان الجائر إذا ظهر شخصه قالوا قد جاء لا جاء فإذا توسطهم قالوا خلَّد الله ملكك فإذا فارقهم قالوا مضى لا رده الله. والسياسة الثالثة تلزم الخاصة ظاهرة وباطنة دون العامة وهى سياسة الحكمة والعلوم الاستنباطية والآراء النظرية والاجتهادية. والسياسة الرابعة سياسة الوعاظ للعامة وأصحاب الأقاصيص والكراسى فإن سياستهم تملك العامة ظاهرة وباطنة دون الخاصة. ألا ترى إلى بكائهم وخشوعهم. والحكم على ضربين شرعى وسياسى؛ فالشرعى إلى القضاة، والسياسى إلى الولاة. وإنه ليس من العدل والحق أن يكون الأدنى فوق الأعلى ولا الأنقص متقدماً على الأفضل ولا الجاهل مملَّكاً على العاقل. ويجب على أمير الجيش أن يعظم الأنجاب الأمجاد من الجيش وأن ينزلهم منازلهم ويوفيهم مقاديرهم من الإكرام، ويجب عليه أن يتعاهد ثغوره وقلاعه وحصونه وينهى عن النزول فى بيوت الناس والغلول من أموالهم وغلاتهم فالرعيه وديعة الله عند الإمام يجب حفظهم وصونهم وحراستهم والضبط لهم وحملهم على ما فيه صلاح معائشهم والعون لهم على مصالحهم وأمان سبيلهم وتسهيل سبيل مرافقهم ومكاسبهم وإزالة المكوس والأوضاع المجحفة ليكونوا له داعين وفى أيامه

آمنين وبسيرته راضين وأن الحق تستنزل معه الخيرات وتستدر به البركات، جعلنى الله وإياكم ممن يؤثر الحق ويعتمده ويريد الصدق ويقصده (أ. هـ) وهو المراد فى المستدرك على البسامة:

وبالمعيد لدين الله ما عدلت   حتى ثوى ناعطا للفوز بالسرر

أبو الفتح الديلمى

دعوته ٤٣٠ استشهاده ٤٤٤هـ

هو الإمام الشهيد أبو الفتح الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن على بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب الديلمى. نشأ فى بلاد الديلم وجال فى غيرها من البلدان، وكان من أئمة الهدى، وله التصانيف المفيدة منها: التفسير (البرهان فى غريب القرآن) والرسالة المبتهجة فى الرد على الفرقة المتلجلجة -يعنى المطرفية- وغيرها.

كتاب دعوته وخلاصة سيرته

دعوته ببلاد الديلم فى حدود سنة ثلاثين وأربعمائة للهجرة، ثم وصل إلى صعدة فى شوال سنة سبع وثلاثين وأربعمائة للهجرة. ساق صاحب الحدائق كتاب دعوته فى صفحات منه: هذا من عبدالله ووليه الناصر لدين الله إلى كافة الناس... حتى قال: وإنا لما رأينا السيل قد بلغ الزبى، وكادت الصدور تضيق، وسوء الأعمال تحيق، وظهرت الفواحش والفسوق، وشربت الخمور، ومرج الفجور، وضربت المعازف، وشاع النكير، ورفضت الشريعة، واتبعت البدعة، وقل التناصف، واستولى البغى، وعز الظالم، وبز المظلوم، ومات المعروف، وعاش النكير، وطلعت شموس الجور، وأفلت نجوم العدل، وكثر الشقاق والتمرد والنفاق، وغيرت الأحكام، وارتشت

الحكام، واعضوضل أمر أئمة الزيغ والفساد؛ حكموا بغير الكتاب، وضلوا عن الصواب، فعند ذلك وجب علينا ترك الدنيا، والفزع إلى الله، والقيام فى أمة نبينا صلى الله عليه وسلم والاستدعاء للأعضاد ليكونوا رداً على المناوئين، يداً على الباغين، يبذلون المهج كماة المأزق حماة الحقائق، يقاتلون على بصيرة، يطلبون حقوقاً طالما مطل غريمها وانتهك حريمها ولم نتصل بهذا الأمر الخطير إلا بالنسب الشريف والعلم بالكتاب والسنة ومعرفة الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والتنزيل والتأويل والتحريم والتحليل والنظر فى الكلام والفقه والفرائض واللغة والنحو والتصريف والبلاغة والخطابة ،والنشأة على الطهارة والسماحة فى السراء والضراء والشجاعة يشهد بذلك الحجازان والعراقان وطبرستان وذلك من فضل الله ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة﴾

ألا يا لهمدان بن زيد تعاونوا ... على نصرنا فالدين سرب مضيع

ونادوا بكيلاً ثم و ادعة التى ... لها المشهد المشهور ساعة تجمع

سينقاد لى من كان بالأمس عاصياً ... ويقرب منى النازح المتمنع

أنا الناصر المنصور والملك الذى ... تراه طوال الدهر لا يتضعضع

سنملأ دنيانا من العدل بعدما ... مضت حقباً بالظلم والجور تترع

وسار سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة للهجرة فى ذى العقدة إلى صنعاء فملكها وقبض الزكاة والأعشار واستعمل عليها رجلين من ولد الشريف القاسم بن الحسين الزيدى، وولَّى القضاء بها الفقيه سعيد بن يزيد من بوادى صنعاء، وسار إلى ذيبين فأقام بها إلى صفر سنة ثمان وثلاثين وأربع مائة للهجرة، ثم سار إلى حذّان أسفل وادى السرنبى حشيش، وسار منه إلى علب جنوبى صنعاء فعمر له ابن أبى الفتوح حصن علب بالآجر واستقر فيه ودخل فى طاعته بان أبى الفتوح، وكتب لقبائل عنس ذمار فوصل إليه من رؤسائهم مائة فارس فبايعوه واستدعى الأمير جعفر بن القاسم العيانى فوصل إليه فجعله أميرالأمراء وأعطاه الربع من الخراج ثم فسد ما بينهما وتمالى على

حربه جعفر وابن أبى حاشد وخرجا من صنعاء فأمر بخراب دور بنى الحارث وبنى مروان فغضب ابن أبى الفتوح وابن أبى حاشد لذلك ودخلا صنعاء فرفعا عماله وطردا أصحابه من الجامع وقطعا الخطبة له فخرج من علب إلى البون والجوف وخلفه جعفر على صنعاء وجرت بينهما حروب فى أثافت وعجيب.

وفى ليلة الثلاثاء الثالث من جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة للهجرة ثار من جبل مسار حراز الملك على بن محمد الصليحى فسار لقتاله جعفر العيانى فى جيش عظيم، وعضده جعفر بن عباس الشافعى من مغارب اليمن الأعلى فى نحو ثلاثين ألف مقاتل وحاربا الصليحى وأتباعه فقتل جعفر بن عباس وانهزم أصحابه ورجع جعفر العيانى إلى بلده، واستفحل أمر الملك الصليحى سنة أربعين وأربعمائة للهجرة وسار إلى بلاد حضور فاستفتحها وتملك حصن يناع فخرج لحربه أمير صنعاء ابن أبى حاشد فى جموع كثيرة فالتقيا فى قرية صوف من بنى سوار ما بين الحيمة وحضور فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل ابن أبى حاشد وألف مقاتل من أصحابه وبقتلة صوف يضرب المثل، ثم نهض الصليحى إلى صنعاء فملكها وبث عماله إلى جميع المخاليف فتقاعد الناس عن نصرة الإمام الديلمى لظهور سلطان الصليحى وعلو شأنه وقهره لكل من ناوأه، ومازال الديلمى ينتقل من بلد إلى بلد، وسار إلى خولان وعنس وذيبين خوفاً من الصليحى. وفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة للهجرة قصده الصليحى إلى بلاد عنس فقتله ونيفاً وسبعين من أصحابه فى نجد الجاح بالقرب من رداع، وقبروا جميعاً فى محل واحد، ثم نقله ولده السيد محمد بن الناصر أبى الفتح إلى ردمان من بلاد عنس على نحو ثلاثة أميال شرقاً من ذمار، وبعد أن كانت العمارة حول مشهده بالقرن الحادى عشر صار يعرف بقاع الديلمى، وفى ذريته جماعة من أكابر العلماء منهم العلامة الكبير زيد بن على بن حسن الديلمى المتوفى سنة ست وستين وثلاثمائة للهجرة وترجمته بنزهة النظر وقرابته.

وكان العالم الزيدى أحمد بن يوسف الحَجْبرى من المحاربين للصليحى ونجا منه إلى بلاد خولان فلم يظفر الصليحى به وصحح أبو الرجال وغيره أن القصيدة التى أولها:

بنى اصبروا للدهر عند الزلازل. . . إلخ له، وليست للهادى.

علي بن محمد الصليحي

كان أبوه القاضى محمد بن على الصليحى فقيهاً سنى المذهب قاضياً حسن السيرة، وكان الداعى للفاطمية الذين بمصر عامر بن عبدالله الزواحى يتفرس فى على بن محمد ويخلو به حتى استماله إلى مذهبه الإمامى سراً من أبيه، وأوصى الزواحى بكتبه له وأعطاه مالاً جزيلاً كان قد جمعه من أهل مذهبه، فعكف على بن محمد على الدرس وكان ذكياً، ثم صار يحج بالناس نحو خمس عشرة سنة ثم حالف ستين رجلاً على الموت أو الظفر، وعمر حصن مسار فأحاط به آلاف المقاتلين لينزل من الحصن فقال: إن تركتمونا نحرس الحصن لكم خوفاً أن يملكه غيركم وإلا نزلنا فتركوه، ووصلته الشيعة بأموال كثيرة وأظهر الدعوة للمستنصر العبيدى الفاطمى، ثم كان ما تقدم قبل صفحة من انتصاره على من حاربه. وكان يخاف نجاحاً صاحب زبيد فسمه على يد جارية جميلة أهداها له سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة للهجرة فى مدينة الكدراء ثم بعث بهدايا جليلة إلى المستنصر بمصرمنها سبعون سيفاً قوائمها من العقيق وغيرها مع أحمد بن محمد الصليحى والد السيدة الملكة وأحمد بن المظفر والد السلطان سبأ بن أحمد. فأمر له المستنصر براياته وألقاب وأذن له بنشر الدعوة، وبعد وفاة نجاح سار إلى التهائم ولم تخرج سنة خمس وخمسين وأربعمائة للهجرة إلا وقد ملك اليمن كله إلى عدن. ولما وصل فى أول قيامه إلى مسجد الجند وخطب فيه يوم الجمعة وقال: سنخطب الجمعة الثانية بعدن. فقال رجل مستهزئاً: سبوح قدوس. فأخذه معه إلى عدن وخطب بعدن كما قال فقال الرجل: سبوحان قدوسان، ودخل فى مذهبه.

واستقر ملكه بصنعاء وعمر بها قصوراً وأسكن بها ملوك اليمن الذين استولى على ملكهم وهم كثيرون نحو خمسين ملكاً وكان لا يفارقهم. وقال: لا يولى تهامة إلا من حمل إليه مائة ألف دينار فحملت إليه زوجته أسماء بنت شهاب المائة ألف ليولى

أخاها أسعد بن شهاب فسألها من أين المال؟ فقالت: إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال هذه بضاعتنا ردت إلينا فقالت: ونبر أهلنا ونحفظ أخانا، وكانت أسماء كريمة حازمة مدبرة إلى الغاية، فأجلَّها زوجها وكانت لا تستر وجهها. فدخل أسعد بن شهاب زبيد سنة ست وخمسين وأربعمائة للهجرة فأحسن السيرة، وكان يحمل إلى الصليحى كل سنة بعد أرزاق الجند الذين بتهامة ألف ألف دينار، وعامل آل نجاح بالصفح. ثم فى آخر سنة تسع وخمسين وأربعمائة للهجرة توجه الصليحى من صنعاء للحج عن طريق تهامة ومعه الأموال الكثيرة والهدايا الجليلة أعدها لملك مصر العبيدى ومعه الملوك نحو خمسين ملكاً والجيش الكثير ونحو مائة وستين من آل الصليحى منهم أخوه عبد الله وزوجته أسماء وألفا فارس وخمسمائة من خيله المجنبة عليها مراكب الفضة ومما معه خمسون دواة من ذهب وفضة وغيرها من الزينة والآلات، ونزل بمدينة المهجم بتهامة، وخيمت عساكره حوله فلما كان الثانى عشر من ذى القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة للهجرة نصف النهار شاع قتل الصليحى وكان خائفاً من سعيد الأحول بن نجاح الذى سبق أن سمه فخرج سعيد من البحر بجماعته من ساحل المهجم ودخلوا فى جيش الصليحى بزيهم فلم يستنكرهم أحد حتى تمكنوا من قتل الصليحى وأخيه عبدالله ويأس الصليحى من الحياة ولم يتحرك من مكانه وبال وقتل بسيفه وتفرق جنده فهاجمتهم القبائل فى الطرقات ونهب الناس من المحطة أموالاً كثيرة غنى بها الفقراء وأخذوا زوجته أسماء على جمل وركزوا أمامها رأس زوجها ورأس أخيه إلى زبيد، ثم جعلوا الرأسين أمام طاقتها بزبيد وهرب من زبيد أسعد بن شهاب وبقيت أسماء سنة، فوصل إلى زبيد مشرقى من صنعاء فى صورة سائل فرأته من طاقتها ورجمت له بقرص داخله كتاب إلى ابنها الملك أحمد المكرم بن على الصليحى وفيه أنها قد حملت من العبد سعيد للإثارة ولم تحمل فى الواقع، فلما وصل الكتاب إلى المكرّم قرأه على قبائل همدان، فثارت حميتهم، وسار المكرم بثلاثة آلاف فارس، وقال لهم: إنكم ستقدمون على الموت فمن أراد أن يرجع فليرجع فلم يرجع أحد، وقصدوا باب الشبارق بزبيد، وخرج سعيد الأحول بمجموعة عشرين ألفاً لقتالهم وكانت ميمنة العرب لأسعد بن شهاب والميسرة لعمه

والقلب للمكرم، وكان شجاعاً فانكسرت الحبشة وأتى القتل على أكثرهم وكان سعيد الأحول قد أعد خيلاً مضمرة على الباب الغربى باب النخل فركبها مع خاصته إلى البحر ثم ركبوا السفن إلى دهلك وكان أول فارس تحت طاقة أسماء ابنها المكرم فلم تعرفه فرفع المغفر فعرفته فقالت: مرحباً بمولانا المكرم وضربته الريح حتى اختلج إلى موته، وأقبل رؤساء العرب يسلمون على أسماء وهى كاشفة وجهها كعادتها من قبل أيام ملك زوجها فقد كانت تدير أمور الملك وتقابل الرجال ثم عاد أسعد بن شهاب لولاية تهامة بزبيد وعاد المكرم بأمه إلى صنعاء، وكان أبوه قد زوجه بالسيدة الحرة بنت أحمد بن محمد الصليحى وقال: هذه ستحفظ ملكنا وأعطاها خراج عدن مهراً كل سنة ثم مات زوجها المكرم بعد ثلاث عشرة سنة فملكت بعده أكثر من خمسين سنة واتخذت جبله عاصمتها مع صنعاء.

السيدة بنت أحمد الصُليحية

وولادتها سنة أربع وأربعين وأربعمائة للهجرة وربتها أسماء بنت شهاب وكان يقال لها بلقيس الصغرى وفوض زوجها المكرم أمور الملك إليها وتفرغ للشراب والسماع. وكان الذى اختط جبله عبدالله بن محمد الصليحى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة للهجرة بولاية من أخيه وكان حصن التعكر محزناً لأخيه الصليحى ثم توفيت أسماء بنت شهاب بصنعاء. ولما كانت السيدة بصنعاء وصل إليها القبائل بالسيوف والأسنة فقالت: هؤلاء الجيش ولما كانت بجبلة وصلوا إليها بالبر والسمن والعسل والغنم فقالت: هؤلاء العيش والسكون بينهم أصلح ثم عاد بنو نجاح وأخرجوا سعد بن شهاب من زبيد.

ولماكانت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة للهجرة دبرت السيدة حيلة لقتل سعيد الأحول فأمرت الحسين بن التبعى صاحب حصن الشعر بمكاتبة سعيد إلى زبيد بأن المكرم قد أصابه الفالج وعكف على اللذات ولم يبق الأمر إلا بيد امرأة وأن سعيداً أقوى ملوك اليمن فإن رأى أن يطبق بجيشه على جبله والحسين التبعى بجيش فيفعل ويطبق

الجيشان على جبله فخرج سعيد من زبيد بثلاثين ألف حربة وكانت السيدة قد كتبت إلى عمران بن المفضل وأسعد بن شهاب أن يخلفوا سعيد الأحول إلى زبيد بثلاثة آلاف فارس فدخلوها وهرب بقية بنى نجاح ولحق جياش بالهند.

ولماصار سعيد الأحول تحت حصن الشعر أطبق عليه الجيشان جيش السيدة وجيش الحسن التبعى صاحب الشعر فقتل سعيد ومن معه ونجا منهم نحو ألفى رجل وكانت زوجته أم المعارك معه فأسرت فعرضوا عليها القتلى فعرفت زوجها فاحتزوا رأسه وحمل على رمح أمام هودجها وجيىء بها إلى السيدة فأسكنتها فى مكان بدار العز بجبله ونصب رأس زوجها أمام طاقتها. وكانت تقول السيدة: ليت أسماء تنظر رأس سعيد تحت طاقة أم المعارك وفى سنة أربع وثمانين وأربعمائة للهجرة توفى المكرم وأوصى إلى الأمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن على الصليحى وهوالذى مدحه الحسين بن على بن القم بقوله:

ولمامدحت الهزبرىّ ابن أحمد أجاز وجازانى على المدح بالمدح

فعوضنى شعراً بشعر وزاد فى عطائى فهذا رأس مالى وذا ربحى

شققت إليه الناس حتى لقيته فكنت كمن شق الظلام إلى الصبح

فقبح دهر ليس فيه ابن أحمد ونزه دهر كان فيه من القبح

فقال سبأ لابن القم: أنت كما قال المتنبى:

وفؤادى من الملوك وإن كان لسانى يرى من الشعراء

وكان سبأ دميم الخلق قصيرا وكان مقر ملكه حصن أشيح آنس وهو نظير مسار والتعكر فى المنعة، وقد كان جياش بن نجاح قد عاد من الهند واستولى على زبيد واستمر القتال بينه وبين سبأ، ثم غزاه سبأ بثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل وحط على زبيد فرأى التوانى من جياش والحبشة فتراخى سبأ فى الحزم فبيتوه ليلةً على غرة فقتلوا أكثر أصحابه ونجا على قدميه طول ليلته حتى وجد من أركبه ثم لم

يعد العرب إلى تهامة.

محاولة سبأ الزواج بالسيدة

ثم خطب سبأ السيدة فرفضت فأرسل إلى المستنصر العبيدي إلى مصر رسولين هما القاضى أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل الأصبهانى وأبوعبد الله الطيب بهدايا فاخرة يطلب أمر المستنصر لها بالزواج به فعاد الرسولان بالأمر فبعث به سبا مع رسله وهى بدار العز بجبلة ومعهم أستاذ من مصر فتكلم الأستاذ وهو واقف ووزراؤها قيام أمامها فقال الأستاذ: أمير المؤمنين يرد السلام على الحرة الملكة السيدة الطاهرة الزكية سيدة ملوك الزمن عمدة الإسلام خالصة الإمام ولية أمير المؤمنين ويقول لها: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾ وقد زوجك أمير المؤمنين من الداعى الأوحد عمدة الخلافة أميرالأمراء أبى حمير سبأ بن أحمد بن المطفر بن على الصليحى على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عيناً وخمسون ألفاً أصنافاً من تحف وألطاف وطيب وكساوى. فقالت: أما كتاب مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فإنى أقول فيه: ﴿إنى ألقى إلى كتاب كريم﴾ ولا أقول فى أمر مولانا: ﴿يا أيها الملأ افتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون﴾ وأما أنت يا ابن الأصبهانى فوالله ما جئت من مولانا سبأ بنبأ يقين، ولقد حرفتم القول عن مواضعه وسولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، ثم تقدم إليها زريع بن أبى الفتح وزيرها وابن الأصبهانى ونظراؤهما فما برحوا يتلطفون بها حتى أجابتهم إلى العقد فعقد النكاح وسار سبأ فى أمم إلى جبلة فأقام خارجها شهراً والضيافات الواسعة تخرج إليه إلى مخيمه وأنفقت على عساكره من مالها مثلما قدمه من المهر ورأى سبأ من عالى هِمَّتها وشرفها ما حقر نفسه وندم على خطبتها وأرسل إليها سراً أن تأذن له بالدخول إلى دار العز ليلة ليوهم الناس أنه قد اجتمع بها. وقيل: إنها أرسلت له جارية فباتت الجارية واقفة على رأسه وهو جالس لا يرفع رأسه إليها حتّى يطلع الفجر وكان يرى

أن وطىء الجارية عار فلم يطأ جارية ولا شرب مسكراً فى حـياته فلما طلع الفجر أمر بضرب الطبـول وارتحل وكانت زوجته الجـمانة بنت سويد بن زيد الصليـحى بحصنة بأشيح إلى أن توفى سنة اثنتين وتسعين وأربعـمائة للهجرة فخرجت صنعـاء وأعمالها عن مملكة الصليـحيين واستولى عـليها السلطان حـاتم بن الغشم، ثم أقامت السـيدة للذب عن ملكها المفضل بن أبى البركات بن الوليد الحميرى ولم تكن تقطع أمراً دونه ولم يكن فى رجال مملكتها من يساويه وغزا تهـامة مراراً وهبط إلى عدن مراراً، وكان حازماً شجاعاً شهماً قصده الشعراء منهم مواهب بن جرير المغربى مدحه بغرر القصائد منها:

يا مالك الدين والدنيا وأهلهما ومن بعزته الإسلام ممتسك

قد قيل جاور لتغنى البحر أو ملكاً وأنت يا ابن الوليد البحر والملك

واستمرت السيدة بجبلة إلى وفاتها بها سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة للهجرة عن ثمان وثمانين سنةً من مـولدها وتزوجت بالمكرم وهى فى ثمان عشرة سنةً، وحـكمت أكثر من ستين سنة وأعادت بناء الجنـاح الشرقى بجامع صنعاء كمـا هوعليه إلى الآن بقوة البناء وزخرفة السقف والإتقان، وعمرت جامع جبلة وقبرت به، وأصلحت الطرق فى جبال اليـمن الأسفل كسمارة وغيـره، وأوقفت الصلبة خارج أب للبقـر وغير ذلك، واستولى على ذخائرها وأموالها وحصـونها بعدها منصور بن المفضل ابن أبى البركات بن الوليد الحـميرى وتفاصـيل تاريخ الصليحيين فى كتـاب الدكتور حسين الهـمدانى وغيره. وكان على بن محمد الصليحى شاعراً عالماً من شعره:

أنكحت بيض الهند سمر رماحهم فرؤسهم عوض النثار نثار

وكذا العلى لا يستباح نكاحها إلا بحيث تطلق الأعمار

وله:

وألذ من قرع المثانى عنده فى الحرب ألْجِمْ يا غلام وأسرج

خيل بأعلى حضرموت مجالها وصهيلها بين العراق ومنبج

وقد ذكر الدكتور الهمدانى فى كتابه الصليحيين فى اليمن وصية السيدة للإمام المستور بما يدهش الألباب من الكنوز والجواهر والأموال ونسبة الصليحيين إلى قبيلة الأصلوح من همدان بن زيد.

وأولدت السيدة للمكرم ابنين محمداً وعلياً ماتا طفلين وفاطمة وأم همدان؛ ففاطمة تزوجها يمن بن الداعى سبأ وتوفيت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة للهجرة بعد والدتها بسنتين، وأم همدان تزوجها ابن خالها أحمد بن سليمان الزواحى فولدت له المستعلى وتوفيت سنة ست عشرة وخمسمائة للهجرة قبل والدتها بست عشرة سنة. وكان الصليحيون يرسلون خراجاً كبيراً جداً من اليمن إلى الخلفاء العبيديين بمصر فى كل سنة من عرق الرعية اليمنيين.

وبعد أن استولى منصور بن المفضل بن أبى البركات بن الوليد الحميرى على ذخائر السيدة وأموالها وحصونها وبلادها بعد وفاتها سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة للهجرة باعها من الداعى محمد بن سبأ بن أبى السعود بن زريع بمائة ألف دينار. ثم أحب الدعة والسكون وطلق زوجته أروى بنت علي بن عبدالله بن محمد الصليحى وبقى بصبر وتعز من سنة ست وأربعين وخمسمائة للهجرة واتخذ ثعبات متنزهاً إلى أن توفى فى بضع وأربعين وخمسمائة فخلفه ابنه أحمد بن منصور إلى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة للهجرة فطلع من تهامة مهدى بن علي بن مهدى فاشترى من أحمد بن منصور صبر وتعز.

حنة بنت عبدالله بن الحسين

وفى سنة خمسمائة للهجرة توفيت الشريفة العابدة ذات الكرامات حنة بنت عبدالله بن الحسين من آل أبى السعود من بنى الإمام الهادى يحيى بن الحسين. قال أبو الرجال فى مطلع البدر: «كانت من الفضل بمحل شهير، ومن العبادة بمقام خطير، ولها

كرامات مشهورة، وقبرها بمقبرة العرار بصعدة».

حمزه بن أبي هاشم

الأميـر المحتسب الشهـيد حمزة بن أبى هاشم الحـسن بن عبد الرحـمن بن يحيى بن عبدالله بن الحـسين بن القاسم الرسى قيامـه ٤٥٢ واسشهاده ٤٥٩ كان أمـيراً خطيراً شهماً شجاعاً أجمع الناس على فضله. قام محتسباً لماعظم أمر الصليحى بعد قتله ابى الفتح الديلمى ومطاردته لسائر الأمراء من السادة وغيرهم فقصده عامر بن سليمان بن عبدالله الزواحى فى نحـو ألف وخمسمائة فارس وخمـسة عشر ألف راجل إلى بلاد أرحب فالتقاه الأميرحمزه فى ثمـانية آلاف مقاتل، وكانت الملاحم الشديدة بينهم قال فيها الأمير حمزة:

أطعن طعناً ثائراً غباره ... طعن غلام بعدت انصاره

وانترحت عن قومه دياره

ثم أخـذ أجناد الصليـحى المضـيق فى أعلـى وادى المنوى وأسـفله، ورمـوهم بالنبل والحجـارة فقـتل منهم نحو ثمـانمائة رجل، وثبت منهم سبـعون شـيخـاً من همدان يجالدون دون الأمير حمـزة حتى قتلوا جميعاً، وقتل حـمزة بوادى المنوى غربى قرية بوسان أرحب سنة تسع وخـمسين وأربعمائة للهجـرة وفيه يقول المنصـور عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن على بن حمزة الشهيد

أوليس جدى حمزة نعش الهدى ... بحسامه وبعزمه من الوقَّادِ

فمشى إلى أن ذاق كأس حمامة ... وسط العجاجة والخيول عوادى

لم يرتدع فى حربه عن عامر ... من فرط إبراق ولا إرعاد

وسليله جدى سليمان الرضى ... كثرت مكارمه عن التعداد

وحمزة سبق إلى طرق العلى يرويه كل أخى تقىً وسداد

ثم كان نقل جسد الأمير حمزة من المنوى إلى قرية بيت الجالد من بلاد أرحب وقبره بها مشهور مزور. ولم تطل مدة على بن محمد الصليحى بعده فقد قتل فى تهامة فى ذى القعدة فى نفس السنة تسع وخمسين وأربعمائة للهجرة، وقتل عامر الزواحى القائد فيما بين ثلا وشبام.

قال صاحب البسامة:

وحمزة روت المنوى له بدم وفرقت منه بين الرأس والقصر

سر الزواحى والأصلوح مصرعه وقد ثأرنا به منهم على الأثر

بعامر وبمنصور وأسرته لما التقى رائح منهم بمبتكر

وقال الإمام المعتضد يحيى بن الحسين إلى الأمير محمد بن الإمام عبدالله بن حمزة:

ألم ننقم بثأركم قديماً بحمزة يوم أهلكه الزواحى

قتلنا عامراً فيه انتقاماً ومنصوراً بأطراف الرماح

إذا ملكت يداك مسير يوم فأرض الله واسعة النواحى

وحمزة بن أبى هاشم هو جد عموم الحمزات وقد يلقب النفس الزكية كوالده الإمام أبى هاشم الحسن وكالنفس الزكية الإمام محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الشهيد بالمدينة المنورة سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة.

أحمد بن سليمان

مولده ٥٠٠ هـ دعوته ٥٣٢ هـ

هو الإمام الأعظم المتوكل أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن على بن الناصر

أحمد بن الإمام الهادى يحيى بن الحسن مولده بنواحى حوث سنة خمسمائة للهجرة ونشأ بها فأخذ عن الإمام الفقيه زيد بن الحسن بن على البيهقى الخراسانى القادم إلى اليمن، والسيد الحسن بن محمد من ذرية المرتضى بن الهادى وعن الفقيه عبدالله بن زيد العنسى اليمانى الواصل من الجيل والديلم إلى اليمن سنة إحدى وخمسمائة للهجرة بكتب أهل البيت وهو غير القاضى الشهير عبدالله بن زيد بن أحمد بن أبى الخير العنسى صاحب الإرشاد والمجموع وغيرهما المتوفى سنة سبع وستين وستمائة للهجرة بكحلان وسيأتى.

وأخذ عن الشيخ إسحاق بن أحمد بن عبد الباعث اليمنى إمام وخطيب جامع صنعاء وعن غيرهم. وله مصنفات وأشعار ورسائل. وكان زاهداً شجاعاً من مصنفاته كتاب «أصول الأحكام فى الحديث» جمع فيه أكثر من ثلاثة آلاف حديث وكتاب «المدخل فى أصول الفقه» وكتاب «حقائق المعرفة» و«الحكمة الدرية» فى أصول الدين ورسالتان فى الرد على المطرفية. وجمع سيرته الشيخ سليمان بن يحيى الثقيفى، نقل منها الفقيه حميد الشهيد فى الحدائق والزحيف والشرفى فى شرحى البسامة وصاحب أنباء الزمن ما خلاصته: دعا من الجوف وخرج معه رجلان إلى برط فبايعه بعض دهمه ثم سار إلى أملح ثم نجران فى محرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة للهجرة فتلقاه الشيخ العون بن زغبة بن على بن الجعدى اليامى وأخبره بما قد ظهر بنجران من المنكرات وبايعوه وانتظم له الأمر فى صعدة وأعمالها ونجران والجوف والظاهر وبعث ولاته إلى وادعة وسنحان وشريف وخولان الشام ثم صنعاء وأعمالها ومذحج ونواحيها وخطب له فى ينبع وخيبر وبعث كتبه إلى الجيل والديلم وكتب إلى بنى على:

ما إن بكيت على رسم ولا	دِمَنٍ ولا لطلعة ظبى أغيدٍ حَسَنِ
لكن بكيت على الأيام حين ذوى	مخضره وثوى فى اللحد والكفن
لما رأيت الهدى قد مات واندرست	أعلامه فسبيل الحق لم يبن
نهضت أدعو عباد الله مجتهداً	إلى الهدى وفروض الدين والسنن

لم لا أبيع من الرحمن خالقنا نفسي الدميمة بالوافى من الثمن

ولى قَبيلٌ معينٌ ليس يخذلنى من إخوتى وبنى عمى بنى حسن

وهم جناحى وهم حصنى وهم عضدى وهم سنانى وهم سيفى وهم جننى

قوموا جميعا بنى الزهراء وانتصروا مما أضرَّ بكم فى سالف الزمن

وجاهدوا فى سبيل الله وانتقموا للحق واستيقظوا من غفلة الوسن

فإن تجيبوا أملككم بلا كذب على الشريعة أرض الشام واليمن

وقال الشيخ نشوان بن سعيد الحميري يحث على طاعة الإمام:

سلام الله كل صباح يوم على خير البرية أجمعينا

على الغر الجحاجح من قريش أئمتنا الذين بهم هدينا

بنى بنت الرسول إلى مَ كلٌ يظن بكم من الناس الظنونا

فأبلغ ساكن الأمصار أنّا بأحمد ذى المكارم قد رضينا

بأكرم ناشىء أصلاً وفرعاً وأعلى قائمٍ حسباً ودينا

رضينا بالإمام وذاك فرض نقول به ونعلن ما بقينا

وقال نشوان أيضاً فى حث الإمام على النهوض من يَرْسُمَ صعدة:

دع يرسماً والمسانى واقصد اليمنا فأفقر الناس من يا ابن الأكرمين سنى

فأنت تصلح للرايات تعقدها وللمواكب تحيى الدين والسننا

وللمنابر تنشى فوقها خطباً تعيى اللبيب النجيب العالم الفطنا

ما كان جدك حراثاً فتلحقه بل مُرْسَلٌ قد أتى بالوحى مؤتمنا

مازال فى عمره مستفتحاً بلدًا أو قاسمًا مغنمًا أو مالكًا مدنا

نهوض الإمام إلى اليمن وصنعاء

فى سنة خمس وأربعين وأربعمائة للهجرة نهض الإمام من صعدة وبلادها بعد أن وصلت إليه الجموع تطلب انتقاله إلى اليمن وكتب إليه أخوه عبدالله بن سليمان من حوث يذكر انتشار الفساد فتقدم الإمام إلى عيان ثم وادعة والجوف وتقدم من صنعاء لحربة السلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن مفضل اليامى الهمدانى فحال بينهما البلاد المتوسطة، ثم سار الإمام إلى حصن بيت بوس جنوبى صنعاء وأقبلت إليه بنو شهاب وحضور وكثيرون. وأرسل خفية من يشترى له من صنعاء ورقاً وصابوناً فبلغ السلطان حاتماً فكتب إليه:

أبا لورق الطلحي تأخذ أرضنا ... ولم تشتجر تحت العجاج رماح

وتأخذ صنعاء وهى كرسى ملكنا ... ونحن بأطراف البلاد شحاح

فقال الإمام: إن شاء الله نأخذها ونهض ووقع الحرب حول صنعاء ومال أهل السرار منها إلى الإمام، ودخلت خيل ورجال الإمام إلى الميدان، وأخذوا درب القطيع ولماعجز حاتم قال وكان فصيحاً:

غَلَبْنَا بنى حواءَ بأساً ونجدةً ... ولكننا لم نستطع غلب الدهر

فلا لوم فيما لا يطاق وإنما ... يلام الفتى فيما يطاق من الأمر

ثم خرج حاتم مع جماعة من الأشراف ومذحج إلى الإمام ببيت بوس وأنشد قول كعب بن زهير:

أنبئت أن رسول الله أوعدنى ... والعفو عند رسول الله مأمول

فعفا عنه وبايع الإمام هو أصحابه ودخلوا صنعاء جميعاً دخولاً معظماً، وأقبل الناس إلى الإمام من كل جهة، ونصب للقضاء القاضى جعفر بن أحمد بن عبدالسلام، وأرسل عماله إلى الجهات، وخرج حاتم إلى المنظر بالروضة وكتب إلى الإمام:

رأيت إماماً لم ير الناس مثله ... أبر وأوفى للطريد المشرد

عفا ووفَّى حتَّى كأنى عنده	أخ أو حميم لست عنه بمبعد

ولبث حاتم على ذلك مدة ثم اختلفا والتقيا بعرم السد وافترقا على غير سداد، ثم كانت بينهما معركة بشعب الجن تحت براش وفيها وقع مطر يشبه الدم أثر فى الأرض والثياب.

وفى سنة ست وأربعين وخمسمائة للهجرة وصل بنو الزواحى أهل حصن كوكبان إلى الإمام بصنعاء لتسليم الحصن ثم لم يتم. ثم خالف أهل همدان مع سلطانهم حاتم ووقعت معركة بالرحبة مع أصحاب الإمام انهزم فيها همدان ثم انتصروا بمعركة فى موضع يسمى: رغام فخرج الإمام إلى غيمان ثم ذمار فكانت معركة فى موضع يقال له: القليس فى بلاد ذمار؛ قاتل الإمام فيها بنفسه، ثم بات فى محل يقال له: كرش، ثم سار عن طريق سامك إلى السر ثم الخارد، ووصل إليه سلاطين آل الدعام ، ثم نهض إلى الجبجب بصعدة.

وفى سنة سبع وأربعين وخمسمائة للهجرة سار بقبائل خولان الشام إلى حيدان، ثم عذر فبايعته حاشد، ثم إلى وادعة، ثم إلى الجوف ثم إلى بلاد مدع ومسور، ثم إلى جنب وذمار وعيَّد الأضحى بأفق جهران، وقال قصيدة منها:

لأحكمن صوارماً ورماحاً	ولأبذلن مع السماح سماحاً
ولأجلون الأفق عن ديجوره	حتى يعود دجى الظلام صباحاً
يا آل مذحج إننى أعددتكم	لى فى الحوادث جنة وسلاحاً
قوم فتحت بهم أزال ولم أزل	لجميع أمصار الملا فتاحا
لست ابن أحمد إن تركت زعانفاً	يتبخترون وينكحون سفاحاً
يتواعدون لكل ليلة جمعة	فإذا توافوا أطفأوا المصباحاً

..إلخ.

ثم اجتمع الإمام والسلطان حاتم فى قرية بيت الجالد أرحب فاصطلحوا على الصيانة لأصحاب الإمام وشيعته بصنعاء وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وترك الخطبة للباطنية بصنعاء، وإظهار مذهب الهادى يحيى بن الحسين واحترام الأشراف فى جميع بلاد السلطان وترك الحرب.

وقعة غيل جلاجل

فى رجب سنة تسع وأربعين وخمسمائة للهجرة وصلت إلى الإمام امرأة تجز ذوائبها بين يديه وتشكو أن ولدها واقعها فى ليلة الإفاضة التى يجتمع فيها الباطنية نساءً ورجالاً ويطفئون المصابيح ويفضى بعضهم إلى بعض وربما وقع الرجل على أخته أو ابنته أو أمه وكان أول من أحدث هذه البدعة الشنيعة على بن الفضل كما سبق. فغضب الإمام أحمد وسار إلى بلاد الشام إلى بلاد بنى شريف وسنحان الشام وأقبلت إليه نهد وجنب وخثعم وقصد بالجميع الباطنية وادعة ويام وقد كانوا ألزموا جنبتى وادى غيل جلاجل فى كل جنبة مائة فارس وألف راجل فوقعت المعارك وانجلت عن هزيمة الباطنية من وادعة ويام واستيلاء أصحاب الإمام على بلادهم وما فيها، وفر بقية الباطنية إلى نجران. وقال الإمام قصيدة منها:

الله أكبر أى نصر عاجل	من ذى الجلال بفتح غيل جلاجل
كم منةٍ منه عليّ ونعمة	وسعادة تترى وفضل فاضل
حمداً له عدَّ الرمال وعدة	النعماء والنَّفَسِ الكثير الجائل
كَفَرَتْ به يامٌ ووادعةٌ معاً	وتجبروا وتمسكوا بالباطل
دانوا بدين الباطنية وهو من	دين المجوس وفوق جهل الجاهل
وأتوا من الفحشاء كل كبيرة	فعلاً وقولاً فوق قول القائل
فدعوت أبطال الحجاز فبادروا	وأتت إلى عساكرى وجحافلى

ودعوت ذا العليا (منيفاً) دعوة | فأجاب كالسبع الفروس الصائل
وله مكارم من أبيه وجده | مشهورة وُسِمَتْ بعزٍ طائل
هم رأس قحطان وذروة مذحج | ما أيّ قحطان لهم بمشاكل
وفوارس من خثعم أَكْرِمْ بهم | وصلوا من البلد البعيد الراحل
لما توافى جندنا يممتهم | بلد العدى ووطأتهم بكلاكل
وقصدتهم فى أرضهم فتركتهم | جزر السباع وطعمة للآكل
أجليتهم عن أرضهم وبلادهم | ولعلها تأتى ثلاث مراحل
وحصونهم معروفة معدودة | مأتان قد حسبت وأى معاقل
إنى لحرب الباطنية قائم | وأنا لهم ضد ولست بغافل
كم قد ظفرت بهم فلم أظلم وكم | جاشت بحرب الكافرين مراجلى
إنى دمار الفاسقين وإننى | للظالمين كمثل سم قاتل
يا قوم فاعتبروا بذلك وابشروا | فلقد ظفرتم بالإمام العادل

آيات سماوية

قال الديبع فى قرة العيون وصاحب أنباء الزمن: فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة للهجرة كانت قضية أهل قرية المغلف بتهامة قريب الكدراء. وهى أن سحابة سوداء مظلمة أتتهم من جهة اليمن زاحفة فيها برق ونار تلتهب فغشيتهم احتملت الريح أكثر القرية من أصلها بما فيها وألقتهم فى محل نازح بنحو خمسة أميال صرعى فهلكوا. وفى سنة تسع وأربعين وخمسمائة للهجرة سقطت حجرة من السماء فوقعت فى الصلاحفة قريباً من جبلة وحصلت رجفة شديدة تزلزلت منها تلك الجهات.

وفى سنة تسع وأربعين وخمسمائة للهجرة حصلت زلازل عظيمة من صنعاء إلى عدن هلك بها كثير من الناس، وانهدمت كثيـر من القرى فسبحان القادر المخوف بالآيات. وفيها وصل الإمـام إلى بلاد ذمار وأصلح ما بين قبائل مذحج وقـبائل جنب فى قتلى كانت بينهم وقال قصيدته الزهدية منها:

دعينى أطفى عبرتى ما بداليا ... وأبكى ذنوبى اليوم إن كنت باكياً

وليس لذنبى من دواء سوى البكا ... وتوبة ذى صدق وعفو إلاهيا

هبينى نسيت الموت والبعث فينةً ... وما كان من علم الغيوب ورائيا

ألم أعتبر نفسى ونقصان قوتى ... ولم أك للموت المشاهد ناسيا

وكنت امرءاً ذا قوة فى شبيبتى ... فأصبح مخضر الشبيبة ذاويا

وبُدِّلْتُ نقصانًا بدا فى جوارحى ... وجاء نذير الشيب للنفس ناعياً

فيا عجباً من غافل غير عاقل ... يجدد من دنياه ما صار باليا

ويعمر ما قد خرب الدهر قبله ... ويتبع تسويفاً له وأمانيا

ومن هرم يزداد ضعفاً وقلةً ... وآماله يرمى بهن المراميا

فيا أيها المغرور أقبل على التقى ... وأقصر على الأهواء ولا تك لاهيا

وكن جاهداً فى طاعة الله ربنا ... تفز بالذى تهوى ولا تك عاصيا

كفى بالبلا والموت للناس زاجراً ... وبالشيب عن فعل المظالم ناهيا

فطوبى لمن يعطى الشهادة تحفة ... ومَنْ كان مَهْدِيّاً ومن كان هادياً

فلولا الترجى للشهادة والهدى ... وأُضْحى إلى الرحمن والدين داعيا

لماصرت إلا فى طريق ابن أدهم ... وكنت لعمرو بن العبيد مؤاخيا

وقعة الشرزة

فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة للهجرة نهض الإمام من ذمار فى نحو ثلاثة آلاف من مذحج وغيرها ولما وصل الشرزة بين شيعان وأسناف وردعان؛ أقبل عليه السلطان حاتم بن أحمد اليامى الهمدانى فى زيادة على عشرة آلاف مقاتل من همدان وسبخان ونهد وغيرهم فاشتد القتال وانتصر الإمام بقتل خمسمائة قتيل من أصحاب حاتم وأسر خمسمائة أسير وفراره ببقية أصحابه إلى صنعاء ثم إلى حصن براش وغيره، ونهض الإمام إلى صنعاء فأخرب درباً عظيماً كان قد تحصن به حاتم فلم ينفع.

وفى وقعة الشرزة وما بعدها قال القاضى محمد بن عبدالله الحميرى من قصيدة:

أقمت منار الدين يا ابن محمد ... وصرت كمثل الشمس باد عمودها

فاشرقت الآفاق منك بغرة ... كثير لرب العالمين سجودها

ألستَ الذى أحييت دين محمد ... وأسيافه قد كَلَّ منها حديدها

ألستَ الذى ذكرتنا وقعاته ... وبيض الليالى قد محتها سودها

بنجران والغيل الشهير وصعدة ... وصنعاء والجوفين باد شهودها

ويوم نهضنا من ذمار بخيلنا ... وزيد بن عمرو يوم ذاك عميدها

كتائب من جنب بن سعد ومذحج ... تعادى بهم خيل خفاف لبودها

فلما وصلنا نجد شيعان أقبلت ... علينا الأعادى كهلُها ووليدُها

ولما أطلَّ الموتُ واشتجر القنا ... ودارت رحاها ثم شبَّت وَقُودُها

ركزت لهم صدر القناة كأنما ... جبال ثبير ثمة أرسى ركودها

وقلت لمر النفس صبراً فهذه ... حياض الردى حقاً وإنى وَرُوْدُها

وواساك من أهل الديانة عصبةٌ ... كثير إذا اشتدت قليل عديدها

صعقنا عليهم صعقة مذحجية | فكادت لها تلك الجبال تميدها
فيا للإكام السود لولا صعودها | لقد كادت الأبطال جمعاً تبيدها
فخُمس مئين حُزَّ منها وريدها | وخمسُ مئين أثقلتها قيودها
وطاروا إلى رووس الجبال شلائلاً | من الخوف فيها خافقات كبودها
وسرنا لغمدان المنيف فأصبحت | ذوائبه فى الترب ثاوٍ مشيدها
وأضحى ابن عمران المتوج حاتمٌ | يقول ألا عفواً فلستُ أعودها
وأنت بنفس لا يزال نفيسها | إلى كل مجدٍ أو طعان يقودها
فيا ابن أمير المؤمنين ومن له | سوابق مجد ليس يحصى عديدها
إذا طلبت همدان منك إقالة | وسنحان يوماً واستقام أَويدها
فعدلهم بالصفح منك و بالرضى | فلن يبلغ الغايات إلا معيدها
وحاشاك أن تنسى السوابق منهم | وما فعلته فى القديم جدودها
فَقُدْ جمعها يا ابن النبى إلى الهدى | فليس يقود القوم إلا رشيدها
فما اجتمعت يوماً نزارٌ ويعربٌ | بمجتمع إلا وأنت تسودها
وكل أناس أعرضوا وتستروا | فما هم من الإسلام إلا يهودها

. . . إلخ.

استعانة أهل زبيد بالإمام عَلَىَ ابن مهدي

كان على بن مـهدى الرعـينى الحميـرى قد ثار فى أسفل وادى زبـيـد وأظهر العـبادة والزهد والشعوذة، فـعظم أمره وقتل من خالفه، ثم انتـقل إلى الرس وصاب، وكرر

الغارات حتى أخرب المحلات بين زبيد والجبال، ثم احتال على قتل القائد سرور الفاتكى أمير زبيد وهويصلى العصر بمسجده، وزحف ابن مهدي بجموع لا تطاق وثبت أهل زبيد فى نيف وسبعين زحفاً إلى آخر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة للهجرة ثم استعانوا بالإمام فنهض فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة للهجرة بجنوده ولبث بزبيد ثمانية أيام وأمر عبيد آل نجاح بقتل مولاهم فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش حداً لأنه كان مأبوناً ظاهراً حتى أنه يلبس بعض ملابس النساء ثم رجع إلى ذمار.

وفى ذمار سنة خمس وستين وخمسمائة للهجرة وقعت حرب بين الإمام والأشراف القاسميين فى وادعة الظاهر، فخرج الإمام يوماً فى نفر قليل ليلقى أصحابه فوثب عليه الأشراف وسجنوه فى أثافت فغضبت همدان وطلبوا من الشريف فليته بن قاسم القاسمى إطلاقه فأطلقه وأصاب الإمام العمى فسار إلى حوث ثم يسنم شمالى صعدة بأكثر من مرحلة ومات الإمام فى ربيع الثانى سنة ست وستين وخمسمائة للهجرة عن ست وستين سنة من مولده وأربع وثلاثين من دعوته، وقبره فى مدينة حيدان بخولان الشام، وأولاده المطهر ويحيى ومحمد وسليمان وفليتة وقاسم ومحسن وابنتان. قال صارم الدين فى البسامة:

وأحمد بن سليمان فما رضيت	بعلا به وهو مرضى لدى البشر
دعا وكان إماماً سيداً علماً	براً تقياً ومن كل العيوب برى
وصبَّحَتْ خيلُهُ صنعاءَ معلمةً	لما غدا النكر فيها غير مستتر
وحاصرت حاتماً فيها عساكره	فانقاد للحق بعد الضعف والخور
واجتاحه عند شيعان بملحمة	ألف مضوا بين مأسور ومجتزر
وفى زبيد له فتك بفاتكها	وما فداه الذى أعطى من السبر
وجعفر ثم إسحق له نصرا	فى عصبة وزرٍ ناهيك من وزر

جعـفر هو القاضى جعـفر بن أحمد بن عـبدالسلام بن أبى يحـيى الأبناوى البهلولى مشهده مـزور بهجرة سناع على أكمة جنوبهـا سنة ثلاث وسبعين وخمسمـائة للهجرة وإسحق هو القاضى إسحق بن أحمد بن عبد الباعث الصعدى المتوفى بها سنة خمس وخمسين وخمسمائة للهجرة .

وفى تحفة المسترشدين

وابن سليمان الإمام أحمد الجهبذ النحرير والمنتقد

قد قام فى لبث (٥٣٢) بأرض الجوف   ينزل بالطاغين كل الخوف

ونازل الأعداء فى أزال وهدركن الجور والضلال

وسار فى القطر مسير الشمس وكم له بمن بغى من طمس

ومات فى الست مع الستينا من بعد خمس كملت مئينا

وعمرة الست مع الستينا وهو بحيدان ثوى دفينا

صلى عليه الله من مجدد بعلمه وسيفه المجرد

سلاطين اليمن فى تلك الفترة

قال صاحب أنبـاء الزمن وغيره: فى تلك المدة كان فى عـدن وأبين وتعز آل زريع بن العباس بن المكرم الجشـمى اليامى. وفى ذمار ومخاليفها سلاطـين جنب ومشايخها. وفى صنعاء وأعمالها إلى الظاهر والأهنوم آل حاتم اليامى الهمدانى. وفى بلاد الجوف وما إليها آل الدعام. وفى صعدة وما إليهـا آل الهادى وفى شهارة وما إليها آل القاسم العيـانى، وفي بلاد الشرف والجريب آل عـمرو بن شرحبـيل الحجورى. وفى تهـامة الشاميـة إلى حرض جنوباً الشريف وهاس بن غانم بن يحيـى بن وهاس السليمانى،

وفى زبيد إلى حرض آل عبد النبى بن على بن مهدى الرعينى الحميرى حتى أزالت دولتهم جميعاً الدولة الأيوبية المصرية بعد قدومها إلى اليمن سنة تسع وستين وخمسمائة للهجرة فسبحان من لا يزول ملكه.

بنو الغشم ثم بنو حاتم

بعد الصليحيين استولى على صنعاء السلطان حاتم بن الغشم الهمدانى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة للهجرة، وأولاده ثلاثة محمد وعبدالله ومعن. فمحمد كان شجاعاً وفى عقله اختلاط فإذا تزوج امرأةً وأحبها قتلها فتحامى الناس تزويجه. ومن غرائبه أنه رأى بصنعاء ناراً عظيمة يوقد عليها اليهود الفخار وكانت له جارية حسناء يحبها فجاء بها وعليها الحلى والحلل فطرحها فى النار فاحترقت وندم وجاء لطرح نفسه فى النار بعدها فأمسكه الحاضرون. ومنها أنه خطب امرأة من بنى الصليحى أهل قيضان، فأبى أهلها إلا بكفالة أبيه فقال له فى محفل عظيم، إن قتلتها قتلتك فقتلها وهرب إلى حصن براش فلم يزل أبوه يراسله ويخادعه فنزل والتقيا فى المدرج وقد أمر أبوه العبيد بإمساكه فأمسكوه ووثب عليه أبوه فقتله واحتز رأسه ودخل به صنعاء على رمح، وكانت للولد بنت قد فرحت بنزوله وخروج أبيه لا ستقباله مشتاقة إليه ففوجئت برأسه فماتت لوقتها وقيل: جنت. ثم مات السلطان حاتم بن الغشم وتولى بعده ابنه عبدالله سنتين ومات فتولى بعده أخوه معن فحصل تشويش وخبط أنكرته همدان لا سيما عالمها القاضى أحمد بن عمران بن المفضل، فجمع همدان وخلع معناً عن الأمر، وساعدته همدان في صفر سنة عشر وخمسمائة للهجرة ، وأقام السلطانين هشاماً وحماساً ابنى القبيب بن ربيح الهمدانيين ودخلت بهما همدان إلى صنعاء وحصروا معن بن حاتم فى الدرب وخرج على يد القاضى أحمد بن عمران واستقر بحصن براش مخلوعاً واستقام الأمر بالسلطانين القبيبين حتى مات الأكبر هشام فى السابع عشر من رمضان سنة سبع وعشرين وخمسمائة للهجرة فاستقام أخوه الحماس بن القبيب إلى وفاته ثم اختلف أخوته الآخرون أبوالمغارات وعامر ومحمد واختلفت

آراؤهم فاعتزلهم أهـل صنعاء وأقاموا مع همدان السلطان حاتم بن أحـمد بن عمران كما سيأتى.

نشوان بن سعيد الحميرى

بعد عـصر الجمعـة الرابع والعشرين مـن ذى الحجة سنة ثلاث وسبـعين وخمسـمائة للهجرة توفى القاضى العلامة الإمام المحقق النحوى اللغوى نشوان بن سعيد بن سعد بن أبى حمير بن عـبيد بن القاسم بن عبدالرحمن الحمـيرى قال الزحيف المؤرخ: لم يكن بقـدح فيـه إلا بكثـرة افتـخـاره بقحطان على عـدنان فـجرى له مع الأشـراف القاسميين نقائض ثم تصالحوا وأم نشـوان من آل أبى عشن. كماسيأتى ذكر ذلك فى شمس العلوم وافتخر بقول الشاعر:

وسيد همدان أبو عشن الذى غزا بيشة واجتاحها بعظائم

وكان بين نشوان والإمام أحمد بن سليمان مودة ومحبة كماسبقت أشعاره إليه منها:

سلام الله كل صباح حين على خير البرية أجمعينا

على الغر الجحاجح من قريش أئمتنا الذين بهم هدينا

. . .إلخ،

وقوله للإمـام: دع يرسما والمسـانى وأقصد اليـمنا. . .إلخ. كما سـبق فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة للهجرة

وفى مطلع البـدور لأبى الرجال أن نشوان حَثّ الإمـام على الدعوة ووعـده بمناصرته وأن الإمام لما أرسل إلى نشوان رسولاً اسمه عيسى يخبره بوصوله فقال:

بَشرنا عيسى بأحمد بعده بشارة عيسى فى الكتاب بأحمد

أتانا بنور البينات فلم نقل مقال سوانا جئت بالسحر فابعد

وقلنا له سمعاً وطوعاً لربنا ولابن الرسول الأبطَحي محمد

فأهلاً وسهلاً بالإمام ومرحباً ومن معه من سيد وابن سيد

ولما توفى المطهر بن الإمام وردت التعازى إليه من كثيرين ومنهم القاضى نشوان وصدَّر تعزيته بقول أبى تمام:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

تكدرت الآمال بعد مطهر وأصبح مشغولاً عن السَفرِ السَّفْرُ

وأبدل لفظ محمد بمطهر. قال بعض ذرية نشوان: والمشهورأنه كان يختار أقوال الإمام الهادى على سائر فقهاء الإسلام، ويحكم بها بين الخاص والعام إلا أن تتقوى عنده دلالة فيخير المستفتين. وكان فى عصره علماء من قحطان وعدنان ولم يزر عليه فى مذهبه زار مع كثرة المناظرة إلا الأشعار التى وقعت بينه وبين الأشراف القاسميين، وبعدها صلح حالهم وقال نشوان: انقضت النقائض بينى وبين الأشراف القاسميين وكانت عند طرور الشارب، وبلوغ المأرب، وأما اليوم فقد زدت على الأشد، وصرت من الهزل إلى الجد، وأتانى نذير الشيب، وزايلنى كل ريب، وتحليت بحلية الوقار، ونظرت نفسى بعين الإحتقار، ورغبت عن القريض. ، وملاهى معبد والعريض، وأقمت الشعر بأبخس السعر، واعتضت القرآن بالشعر بدلاً، وتركت الجدال وكان الإنسان أكثر شىء جدلاً، وذهبت فى ذلك مذهب لبيد. ، فى استبداله الشهد بالهبيد، وجعلت مقاطع الآيات، عوضاً من مصارع الأبيات، وذكر الله عوضاً عن النسيب، وذكر المعاد بدلاً عن الربع والحبيب، ولست من الشعراء، بل من عباد الله الفقراء الذين تحل لهم صدقة الدعاء، التى لا تقبض فى وعاء، وزكاة الإستغفار التى تصرف العذاب عن الكفار. ثم قال نشوان أيضاً: والشرفاء أبقاهم الله مما سألت مثرون، ومما طلبت مكثرون، فلتشملنى بركتهم بهبة أفضل الصدقات، إذا ذكروا الله فى أفضل الأوقات، وهى صدقة الدعوات، عقيب الصلوات، إن الله يجزى المتصدقين، ويجعل العاقبة للمتقين، فدعاء الشرفاء المالكين مجاب، وليس بين العبد

وربه حجاب، فلعل الله أن يمحو عنى موبـق الذنوب، ويغسلنى من رحمته بذنوب، فقد ضقـت ذرعا بما فرطت، وانشبت نفسى فى أضيق المسالك وورطت، وأصبحت لنفسى ظالماً، ومن ظـلم غيرها سالماً، ولكنى استغـفر رباً كريماً، ومن يعـمل سوءاً ويظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً.

ثم وصل إلى نشوان شعر من الأمير عبدالله بن القاسم بن محمد بن جعفر وهوالذى كان يهاجيه فقال:

فليهن ندباً سيداً شرفت به   من حمير الأحياء والأموات

. . . إلخ.

فأجابه نشوان:

أما كتابك يا ابن أوحد هاشم   فحديقة فيها الكلا م نبات

قد أثمرت محض الوداد وفاح لى   من طيبات نسيمها نفحات

غرس امرىء طابت معارس أصله   فزكا وطاب فعاله والذاب

فغدا وحيد العصر غير مدافع   تزهو به الساعات والأوقات

أثنى على ببعض ما هو أهله   وله المكارم والندى عادات

ثم أتى إلى نشوان شعر من الأمير الأجل محمد بن محمد القاسمى يمدحه ويعتذر من الهجو الذى سبق من الأمير عبدالله بن القاسم الذى أوله:

أما الصحيح فإن أصلك فاسد. . .

فأجاب نشوان على اعتذار الأمير محمد:

أعلى الكآبة منكما لى مسعد   فالخل يأسى للخليل ويسعد

إن طاب عيشكما وطاب كراكما   فأخوكما مر المعاش مسهد

فى قلبه من عتب ابنا قاسم	حرق تأجج نارها وتوقد
قوم لهم شرف ومجد باذخ	من تحت أخمصه السها والغرقد
وعلى محبتهم نشأتُ ووالدى	والحب يولد والمحبة تولد
حتى سعت بينى الوشاة وبينهم	فأمال عبدالله عنى الحُسد
وأطاع أمرهم وصدق قولهم	زفأتى بقافية تقيم وتقعد
فيها مقال منه ليس بجيد	ما بال عبدالله وهو الجيد
فرددت حين بهت غير مبالغ	فى الرد خوفاً من مقال ينقد
وغدوت مظلوماً كأنى ظالم	إنى على ما نابنى متجلِّد
يا ابن الأئمة من ذؤابة هاشم	حيث انتهت علياؤها والسؤدد
وافى كتابك بالصلاح مبشراً	لازلت تصلح أمرنا وتَفَقَّد
ونظامك الحسن الذى أهديته	تحيى القلوب به إذا مايُنْشَدُ
حققت فيه مودة لك ضعفها	عندي وودٌّ في الحشا يتجدد
وذكرت آل محمد ووِدادهم	فرض علينا فى الكتاب مؤكد
وذكرت زيداً والحسين ومولداً	لهم زكىّ الأصل نعم المولد
بأبى وأمى من ذكرتُ ومن بهم	يُهْدى الجهول ويرشد المسترشد

إلى قوله:

واترك جعيداً سوف يلقى ربه	ويصيب ما زرعت يداه ويحصد
والعفو منكم عادة مألوفة	والناس يطلب عندهم ما عودوا
وأنا المناضل ضدكم عن دينكم	والله يشهد والبرية تشهد

لا أستعيض بدين زيد غيره ليس النحاس به يقاس العسجد

إنى على العهد القديم بحبكم كلف الفؤاد بكم وجسمى مبعد

ثم أتى من الأمير الحسين بن القاسم بن محمد بن جعفر شعر إلى نشوان يمدحه فأجابه نشوان:

والله واللهِ العظيم أليةً يهتز عرش الله منها الأعظمُ

إنى لودك يا حسين لمضمر فى الله أبديه وحيناً أكتم

ولود والدك الذى آثاره عنه بحسن حديثه تبسَّم

ولود عميك اللذين كلاهما فى صالحى آل الرسول مقدم

ولود سائر آل بيت محمد ووداهم فرض علىَّ ومغنم

قوم أدين بدينهم وبحكمهم ونصوصهم أفتى الخصوم وأحكم

وأنا المحب بن المحب وإن شى واشٍ ورجَّم بالظنون مرجِّم

إن اللسان عن الفواد معبر والنطق عما فى الضمير مترجم

ياطيبًا من طيبٍ ومطهراً من طاهرٍ ما فيه وصمٌ يعْلم

شوقى إليك مع البعاد مضاعف يزداد لاعجه وقلبى مغرم

ثم أتى من الأمير الأجلِّ محمد بن عيسى بن محمد بن جعفر إلى نشوان مديحٌ أوله:

ألا كلما ناح الحمام المطوق بكيت وقد يبكى الحزين المشوق

عدّد فيها جدود نشوان وذكر ملوك حمير من التتابعة وغيرهم حتى قال فى آخرها:

أولئك هم آباؤك الغر كلهم أبا حسن والفرع بالأصل ملحق

فهم كالنجوم الزهرإن غاب كوكب بدا بعده فى الجو أزهرُ مشرق

وإنى لأرجو أنك الكوكب الذى به ذلك الأصل المؤسس يسبق

لئن كنت قد أُنسيتَ عقد مودتى فقلبى بأشطان المودة موثق

فأجاب نشوان:

أثار شجىً ذاك الحمام المطوق أهيجه بثٌّ به أم تشوق

به مثل ما بى من جوى غير أننا شجيان معكوم وآخر مطُلق

أُسِرُّ الذى يُخفى الزناد ولم أبح به خوف نار منه تبدو فتحرق

ثم كثرت الأشعار بين الأشراف ونشوان والمدائح ورفضوا الهجر، وكذا بين نشوان والإمام أحمد بن سليمان، فكتب نشوان إلى الإمام:

هل لك فى هجرة نفوز بها فالهجر بين الرجال مطرح

لا غرو فى صلحنا وسيرتنا إلى العلى نمترى ونصطلح

إنى رأيت النعاج رابضةً وادعةً والكباش تنتطح

غُمَّ بنا الحاسدين إنهم قد طال يا ابن الكرام ما فرحوا

ثم مدح نشوان الإمام بقوله:

يا ابن الأئمة من بنى الزهراء وابن الهداة الصفوة النجباء

وإمام أهل العصر والنور الذى هدى الولى به من الظلماء

كم رامت الكفار إطفاءً له عمداً فما قدروا على الإطفاء

شمس يراها الحاسدون فلم يَطِقْ منهم لها أحد على إخفاء

يا داعيًا يدعو الأنام لرشدهم وصلاحهم فى بكرة وعشاء

أسمعتهم فكأنهم لم يسمعوا ما جاءهم من دعوة ونداء

لبيك ألفًا من صديقٍ وامقٍ من بعد خذلان وطول إباء
من شك فيك كمن تبدل حيرة بهداية وعماية بضياء
يا خير من تمشى به قدم على وجه البسيطة من بنى حواء
ما عاينت عينى البرية بعده إلا وهم فيها من الأقذاء
لم ألق بعدك من أُسر بوجهه ممن أُعِضتُ به من الصدقاء
إن غبت عن نظر العيان فلم يغب ذكراك بين الغلب والأحشاء
يجرى ودادك حيث يجرى الروح فى بدنى وحيث يحل فى اعضائى
أقضى لبانتى التى أنا طالب فى الدهر عاجل نظرة ولقاء

فأجابه الإمام أحمد بن سليمان بقوله:

يا أوحد الأدباء والشعراء بل أوحد البلغاء والفصحاء
يا من له عقل رصين ثابت ويعده العقلاء فى العقلاء
ويعده الفقهاء فى فقهائهم ويعده العلماء فى العلماء
يا من زكت أعرافه وأصوله جادت له أفعاله بزكاء
حاز المكارم والمحامد والعلى إرثًا عن الأجداد والآباء
من حمير الأملاك خير قبيلة فى يعرب والشوكة الحجباء
وافى الكتاب وكان كالماء الذى يهدى إلى العطشان فى الرمضاء
ينبى بما يخفى وما يبدى لنا من محض ودٍ خالص وشفاء
ومذكراً ما كان قِدَمًا بيننا من صحبةٍ ومحبةٍ وإخاءٍ
وملبياً لى إذ دعوت إلى الهدى كل البرية سامعًا لدعائى

ومؤازراً ومعاونًا ومساعداً ومعاضداً ومصدقًا لرجائى

فلتبق فى عيش هنى سالماً فى العز والتوفيق والنعماء

وقد كان لنشوان عناية واجتهاد مع الأمير على بن زيد ومع الإمام أحمد بن سليمان ولبنى نشوان جد واجتهاد مع الإمام عبدالله بن حمزة.

ويروى أن القاضى نشوان دعا إلى نفسه فى سنحان، واجتمع معه قريب سبعمائة فارس فيدل على أنه يصحح الإمامة فى غير قريش. قال أبو الرجال فى مطلع البدور: وقد وقفت له على كلام يدل على أنه ندم على دعوته فوجدت بخط الفقيه محمد بن ناجى الحملانى عن نشوان ما لفظه: كان من علم الله وصولى إلى المشرق فكلفنى أهلها أن أُحَمِّلَ الذرَّ أحمال العير وسمحوا بالمين والأيمان وشحوا بالصدق والإيمان فطمعت فى طاهر كلامهم حتى أدركنى الإملاق بمأرب فخرجت من الدائرة الرابعة إلى دائرة المتقارب فقلت:

مشارق الأرض مثل الحس فى الضيق فمن تغرَّب لا يَهْمُمْ بتشريق

لم يبق حين بهم حتى صحبتهم قد أنزفتُ بالرُّقى من أجلهم ريقى

ولبثت بحضرموت على ما لبث يونس ببطن الحوت؛ إلا أن بعض المفسرين قال لبث أربعين يومًا ولبثتُ سنتين ونصفًا أخصف ورق الندامة خصفاً، وأتعرض لرزق حلال فحصل فيه سد الخلة ثم عدت إلى مأرب فلقينى من بها فتعرض للعطة، فقاسمتهم ما على المطة، ثم عولت على العود إلى المغارب وحلفوا إيمانا على التمام، وسلموا ذمامًا بعد ذمام، فأشار السلطان راشد بن جحان الجوفى بترك العود فقصدت الجوف فلحقتنى من خولان إلى نقيل فأخذوا القطار وكانت الكتب على بعيرين فسلم أحدهما وافتدى الثانى فسلمت ووصلت الجوف متخلياً من الأعوان والأنصار، ولو شئت وصلته بالجيوش الكبار؛ لكننى قلت ما عند الله خير وأبقى أنشدت:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

ومن مطلع البدور أيضاً قول القاضى العلامة الصدر النحرير حافظ العلوم محمد بن نشوان بن سعيد الحميرى: قال صنوه العلامة على بن نشوان: هو غزير العلم والمعرفة فى جميع العلوم، معروف بالديانة والورع والأمانة، ولاه الإمام المنصور عبدالله بن حمزة القضاء فى خولان وحيدان وما يوالى تلك الجهات، وولاه قبض الحقوق منها والأمر والنهى، فقام أحسن قيام، واختصر شمس العلوم لوالده إلى ضياء الحلوم. وفد إلى الإمام عبدالله بن حمزة إلى كوكبان فقرت عينه بإمامته وباحثه فى الدقائق والجلائل ولما ودعه فى رمضان سنة أربع وتسعين وخمسمائة أنشأ فى الإمام قصيدة منها:

ياسيداً سبق السادات كلهم ... إلى مدىً بالغٍ فى المجد والجود

وقائماً مكن الرحمن وطأته ... على البرية من بيض ومن سود

الله آتاك ما لم يؤته أحداً ... من الأئمة من نصر وتأييد

أجابك الناس من شام إلى يمن ... ملقين فى كل أمر بالمقاليد

حمداً لمن ظهَّر الدنيا ونورها ... بنور وجه جميل منك مسعود

يا أيها الناس قد نادى إمامكم ... فاسعوا إليه بتشمير وتمجيد

إن ابن حمزة مذ نيطت تمائمه ... أحيى الذى مات من أبائه الصيد

آل النبى وأبناء الوصى ومن ... لهم مناقب فضل غير محجود

لهم مناقب من عين ومن أثر ... يجل فى الوصف إن تحصى بتعديد

يا من يعز على البعد عنه ومن ... أعد طاعته نسكًا لمعبودى

نفسى فداؤك والأقوام كلهم ... من المكاره لو أن امرءاً فودى

ولو تخلد فى الدنيا أخو كرم ... لكنتَ أكرم من يحظى بتخليد

ومن مطلع البدور أيضاً قول القاضى: العلامة على بن نشوان الحميرى علامة محقق تولى أعمالاً كباراً مدة طويلة، وجمع سيرة للإمام عبدالله بن حمزة حافلة عظيمة القدر تدل على علو طبقته وسمو همته، وله أشعار كثيرة فى مشاهد الإمام وحروبه بوصف بليغ. ومن قصيدة يحث همدان على الجهاد:

أرقت وما طربت إلى الغوانى فأبكى فى الربوع أو المغانى

ولكنى طربت لصوت داع من آل محمد شهم الجنان

إمام عادل بَرٌّ زكى أمين لا يقول بقول مانى

له علم ومعرفة ودين يفوه بذكره أهل الزمان

استدراك لما سبق سنة ثمان وأربعين وأربعمائة للهجرة

الأمير ذو الشرفين وأخوه الفاضل

فى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة للهجرة اجتمع رؤساء همدان فى بنى صريم وبلاد بنى الدعام وجمعوا حاشد وبكيل واستنهضوا الشريف الفاضل القاسم بن جعفر بن الإمام القاسم بن على العيانى فلم يجد بداً من النهوض، وقام معه أخوه ذو الشرفين محمد بن جعفر فخرج عليهم جند الصلحى إلى حاز همدان فقال الشريف الفاضل لقومه: اغزوهم إلى مواضعهم، فلم يسعدوه فباكرهم جند الصليحى فانهزموا وثبت الشريف الفاضل مع خمسة: أخيه وجشم بن عبدان على ورجلين من خاصته فأبلوا بلاء حسناً ثم سار الفاضل بأهل بيته وحشمه وشيعته من همدان وحمير وبنى صريم وبنى مالك وبنى عبيد نحو ألفى مقاتل وثمانمائة فارس فنهض عليهم الصليحى فأحاطوا بمركز الهرابة ومنعوا عنها الماء شهرى جمادى وعشر من رجب سنة ثمان وأربعين وأربعمائة للهجرة ونصب عليهم المجانيق والعرادات ودافع أهل الهداية ثم

قبض الصليحى على الفاضل إلى زبيد ثم استأذن فى الحج والزيارة فعزم ومعه أخوه محمد بن جعفر وجماعة وتزوجا بخثعم ثم استقر الفاضل بمكة تسع سنين ثم عاد اليمن بعد قتل الصليحى وفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة للهجرة خرج الشريف بالفاضل وأخوه ذو الشرفين إلى بلاد الشرف فبلغوا إلى بوسان فتقاتلوا مع عسكر بنى الصليحى فانهزم عسكر الصليحى وطلع عسكر الشريفين بوسان وأقبلت العشائر لهما بالسمع والطاعة.

وفى سنة أربع وستين وأربعمائة للهجرة كتب السلطان منصور بن الحسين بن المنتاب بن إبراهيم بن عبدالحميد كتابًا إلى الفاضل إلى الجوف وكتابًا إلى أخيه ذى الشرفين إلى شهارة يذكر لهما أنه عازم على طلوع مسور لأخذه من بنى الصليحى واستدعاهما فسار إليه ذو الشرفين فَسُرَّ به السلطان منصور أعظم السرور وأقبلت له عشائر مسور بالسمع والطاعة، ونهض الفاضل من الجوف، ثم توجه الشريفان إلى بنى شاور وحطا بالمسورة من وادى شرس وقبضا على السلطان إلى القبائل ابن هاشم وأرسلاه إلى شهارة وقبضا حصنه حقيل، وطلع الفاضل إلى مسور ثم أجمع رأى الشريفين والسلطان منصور وساروا إلى جبل حفاش ولقيهم جماعة السلطان محمد بن إبراهيم الصليحى وهو بحصن القفل فاقتتلوا ساعة، وكانت الدائرة على بنى الصليحى فأُسِرَ السلطان إلى الحسين بن إبراهيم الصليحى وجماعة وهرب السلطان محمد بن ابراهيم فتبعوه حتى أسروه وأخذوا ما فى حصن القفل وعادوا إلى مسور وأرسلوا الأسرى إلى شهارة.

وفى سنة أربع وستين وأربعمائة للهجرة وصل إلى الشريفين إلى مسور السلطان محمد بن ورقا من بنى جناع ووعدهما بفتح حصن يناع، فسار وطلعه وكتب إليهما بالبشارة فنهض إليه الشريف حميدان بن القاسم ونهض الصليحيون من صنعاء حتى حطوا بيفاعه فرأوا الحضوريين قد أشعلوا النار برأس جبل بيت خولان فرجع الصليحيون صنعاء فقاتلهم الحضوريون فى الطريق ولم يزل القتل فى أعقاب الصليحيين حتى صاروا إلى يازل من صوف ونزل عليهم الحضوريون الذين كانوا برأس جبل بيت

خولان فقتلوا منهم كثيراً منهم السلطان أحمد بن أسعد بن جعفر اللهابى فى عدة من وجوه حراز وغنمت عليهم غنائم كثيرة. ولما بلغ الحادث إلى أحمد بن عبدالله اللهابى وهو أحد رجال السلطان أحمد بن مظفر وكان بحصن ذروة فخاف ونزل منه فوصل الشريف أحمد بن جعفر بجماعة من بكيل ومن الصيد وغيرهم من بنى صريم ووادعة وهمدان مع عاملهم الحسن بن واقد الطهوى فحاصروا من بقى بحصن ذروة وطلعوه قهراً وغنموا ما فيه وكتبوا بالبشارة إلى الشريف الفاضل القاسم إلى مسور.

وفى سنةخمس وستين وأربعمائة للهجرة مازالت الحروب بين الشريفين الفاضل وذى الشرفين وبين الصليحيين والدائرة على الصليحيين فاستفتح الشريفان المعاقل كثلا وبكر وذى مرمر وغيرها.

وفى سنة ست وستين وأربعمائة للهجرة استنهض الصليحيون أهل الدعوة من حراز وأشاعوا أن المنجمين قد أخبروهم بالنصر فساروا إلى حوقل بالحيمة ونهض الملك المكرم وجنوده حتى صاروا بعر ذيب ووقع الحرب فانهزم الصليحيون

وغنم من خيلهم وسلاحهم كثير. وفى شهر رجب نهض ذو الشرفين إلى يناع فاستقبله الشريفان حمدان بن القاسم والحسن بن إبراهيم ومن معهما من الشرفاء والسلاطين فاجتمعت جنود كثيرة فانهزم الصليحيون، ثم نهض الفاضل من مسور إلى ثلا ثم إلى الجراف وشعوب وغلقت أبواب صنعاء ثم عاد الفاضل إلى ثلا وطلب ذو الشرفين رهائن من بنى شهاب فبعثوا إليه إلى يناع ستة رجال وقصد الصليحيون قرن عنتر فوق بيت سبطان فهزمهم أهله وقتلوا منهم ونهبوا منهم، ومازال أصحاب ذى الشرفين يقصدون إلى قاع صنعاء حتى وصلوا إلى غيل البرمكى ووقع الحصار على صنعاء.

وفيها اشتد القحط وغلت الأسعار وكان ذو الشرفين ينفق كل شهر قدر سبعين ألفاً، وخالف عليه بعض القبائل لكثرة المطالب فاستخلف على يناع الشريف حميدان والسلطان محمد بن ورقا وسار إلى مسور ثم سار إلى أقر وشهارة. ثم إن الشريف الفاضل أقام بوادى بنى الدعام بناحية عمران ليعمل هنالك زراعه ويرد غيل الخارد

إليها على العادة القديمة فعاهد أهل البلاد، ومازال يشتغل بالزراعة حتى غدر به بعض

وفيها اشتد القحط وغلت الأسعار وكان ذو الشرفين ينفق كل شهر قدر سبعين ألفاً، وخالف عليه بعض القبائل لكثرة المطالب فاستخلف على يناع الشريف حميدان والسلطان محمد بن ورقا وسار إلى مسور ثم سار إلى أقر وشهارة. ثم إن الشريف الفاضل أقام بوادى بنى الدعام بناحية عمران ليعمل هنالك زراعه ويرد غيل الخارد إليها على العادة القديمة فعاهد أهل البلاد، ومازال يشتغل بالزراعة حتى غدر به بعض القبائل فقتلوه يوم الثلاثاء الثالث من صفر سنة ثمان وستين وأربعمائة للهجرة بمال من المكرم الصليحى وقتل أيضاً الشريف القاسم بن إبراهيم فى ذى الحجة وفى سنة تسع وستين وأربعمائة للهجرة نهض ذو الشرفين من الجوف بعساكر تقصد القرى التى قتل فيها أخوه الفاضل وقتل منهم كثيراً وأخرج الشريفين فدفن الفاضل القاسم بحصن وادعة والقاسم بن إبراهيم بعيان .

وفى سنة تسع وستين وأربعمائة للهجرة أجمع الشرفاء السلاطين مع الأمير ذى الشرفين على حرب الأباضي الذى ادعى الإمامه بالشرف الحطيط بن عبدالمجيد الأباضى فكانت الدائرة عليه فى المحطور وانقرضت الأباضية من الشرف وفى محرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة للهجرة توفى الأمير ذو الشرفين محمد بن جعفر بن الإمام القاسم العيانى بشهارة وخلفه ابنه جعفر بضعف وسميت شهارة الأمير نسبة إلى الأمير ذى الشرفين.

ابتداء دولة بنى حاتم

بعد اعتزال أهل صنعاء لبنى الغشم قصدوا مع همدان السلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل بن على بن أبى زيد بن المعمر بن الصعب بن الفضل بن عبدالله بن سعيد من غوث بن العز بن مدكر بن إليام وقد عده أبو الرجال فى الزيدية وأنه يمقت الباطنية بقوله .

برئت من الذؤيب ومن على ومن ماذون همدان برئت

مواذين عمواوغووا هداهم فإن شايعتهم فلقد عميت

ظموا ورويت من ماء معين ولو أنى صحبتهم طميت

شقوا بخلافهم للدين حقًا وخالفت الغواة فما شقيت

الذؤيب المأذون وهى رتبة لدن الباطنيـة، وعلى الشاكرى من الباطنيه ومن شـعر حاتم فى الإمام أحمد بن سليمان:

رأيت ما لم ير الناس مثله أبر وأوفى للطريد المشرد

عفا ووفى حتى كأنى عنده أخ أوحميم لست عنه بمبعد

وفى سنه ثلاث وثلاثين وخمسمائة للهـجرة دخل إلى درب صنعاء (وهو القصر) فى سبعمائة فارس من همدان وقال :

يقولون لى قد حَزت مملكة الدرب فأدمن على اللذات واللهو والشرب

ولا تهجرُ الصهباء وهى لذيذة مسهلة ما كان من خلق صعب

فقلت اذهبوا عنى فلست ببارح على مذهبى حسبى به مذهبى حسبى

وفى سنة خمس وأربعين وخمسمائة للهجرة نهض الإمـام أحمد بن سليمان كما سبق وجرت بينهما حرب ثم دخل الإمام صنعاء واجتمعا بالجامع الكبير وقال له الإمام: قد عفـونا عنك ياسلطان العرب وأنصفـه وأكرمه وخرج حـاتم الروضة كما سـبق وكان شاعراً أديباً شهماً عالماً طبيباً وكان له خيل جياد كثيرة منها (الرازقى) كان يصَلى الظهر بالروضة ويركبـه إلى شبام كوكبـان فيصلى بها العصـر ثم عاد إلى الإمارة وتوفى فى رمضـان سنة ست وخمـسين وخمـسمـائة للهجـرة بدرب صنعاء وحـمل إلى المنظر (الروضة) وقـبره كان مشـهوراً بباب الحديد جنوبـى الروضة فتولى بعـده ابنه الأكمل السلطان على بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفـضل فبايعه إخوته اولاً ثم همدان. ثم خالف عليه بعضـهم ومالوا إلى محمد بن حماس القـبيب بصنعاء فدخل على بن حاتم بسـبعـمائة فارس من باب شـعوب ووقع القـتال فى شوارع صـنعاء، ثم دخل

الدرب وكان قد قتل أخوه الصغير عمران بن حاتم فخافت همدان لقتله فسامحهم فى دمه وأعطاهم سيفه ذمة ورفاقًا فحضروا جنازة عمران. وكانت بنو شهاب تارة يطيعونه وتارة يخالفونه وسلطانهم عمران بن الذيب السلمى الكندى فى حضور والمغارب وحجرة حراز وكان عادلاً.

وكان حصن كوكبان لبنى الزواحى فحاصره السلطان على بن حاتم ثلاث سنين وأخرب مدينة شبام، ثم استولى على كوكبان من أبى النور بن على الزواحى، وناصر السلطان على بن حاتم الإمام أحمد بن سليمان على القاسميين، وأخرجه من حبسهم كما سبق فشكره الإمام. ثم فى سنة سبع وستين وخمسمائة للهجرة خالف عليه الشيخ الحسن بن يعفر وكافة وادعة فجهز عليهم أخاه بشر بن حاتم إلى محل يسمى الدّحك فأخذه قسراً وقتل جماعة منهم وأسر آخرين وأخرب المحل الدّحك فى ربيع الآخر سنة ثمان وستين وخمسمائة للهجرة، ثم استولى على اليمن سنة تسع وستين وخمسمائة للهجرة السلطان توران شاه الواصل إلى اليمن من مصر وسيأتى تفاصيل الأحداث بينهما وبين غيرهما.

بنو زريع ولاة عدن

أشهرهم عمران الداعى بن الداعى محمد بن سبأ بن أبى السعود بن زريع بن العباس بن المكرم الهمدانى اقتفى طريقة أبيه مع زيادة كرم وأخلاق وقد تسلسلت إليهم ولاية عدن من المكرم بن على بن محمد الصليحى بعد إزالته بنى معن الذين كانوا متولين عليها من على بن محمد الصليحى فلما تغلبوا أزالهم المكرم وكان الجميع يسوقون خراج عدن إلى السيدة الحرة بنت أحمد الصليحى زوجة المكرم كما سبق أن على بن محمد جعل مهرها خراج عدن كل سنة وكان الداعى سبأ بن أبى السعود وابنه الداعى عمران جوادين مدحهما الشعراء منهم القاضى يحيى بن عبد السلام بن أبى يحيى جد القاضى جعفر فمن أول قصيدة مدح بها الداعى سبأ:

النصر من قرناء عزمك فاعزم والدهر من أسرار حكمك فاحكم

. . إلخ .

ومن مدائحه فى عمران من قصيدة قوله :

كرم المكرم يذهل المشتاق عن أشواقه والصب عن أوطانه

. . إلخ .

فأجازه بآلاف الدنانير وكذلك غيره من الشعراء الكثيرين .

واقترح الداعى عمران بن محمد بن سبأ على الشاعر أبى بكر بن أحمد العبدى قصيدة فمدحه بقصيدة طويلة منها :

فلكٌ مقامُك والنجوم كؤوس بسعوده التثليث والتسديس

والدر وجهك طالعاً فى دسته لا البدر أجلى وجهه الحنديسُ

يا واحد العرب الذى يسمو به يوم التفاخر مجده القدموس

يا من تطابق فعله ومقالهُ فلسانه التطبيق والتجنيس

حق الكواكب أن تكون مدائحاً لك والبروج صحائف وطروس

وهى طويلة أجاد فيها فسلم الداعى عمران إليه ولده أبا السعود وقال: قد أجزتك بهذا الولد فأقعده على يمينه وقال: إذا أرغبوك فى بيعه فاستنصف فى ثمنه فخرج إليهم أستاذ الدار يستأذن الشاعر فى دخول الولد إلى الدار فدخل وخرج معه خادم فى يده قدح من فضه فيه ألف دينار وسبعمائة وخلعة ثم أعطاه الداعى عمران ألفى دينار فمدحه بقصيدة طويلة منها:

حيّاكِ ياعدن الحيا حياكِ وجرى رضاب لماه فوق لماكِ

وهَمَتْ مكارمه عليك فصافحت ... عن كفه مغنى الغِنَى مغناك
وتأرجت رياك مسكا بعدما ... عبقت بُريا ذكره ذكراك
فليَهنكِ الفضل الذى أحرزتهِ ... بعلاه حسبك مفخراً وكفاكِ
شرفت رباك به فقد ودت له ... زهر الكواكب أنها برباك
فالجود مبتسم الثغور ببذله ... أبداً وبيت المال منه شاكى
من دوحة الشرف الزريعى التى ... رسخت بأصلٍ فى المفاخر زاكى

إلخ .

ومدحه بقصيدة منها:

ملك لو استسقى الزمان بجوده ... أغناه عن سُقيا مُلِثٍّ سحابه
ملك أفاض على الزمان بجوده ... فأعاده فى عنفوان شبابه
ملك يشف عليه نور كماله ... فيكادُ يُلحظ من وراء حجابه
فكفى بقحطان بن هودٍ مفخراً ... أن أصبحت تُعزىَ إلى أنسابه
يزداد حسن المدح فيه وإنما ... يبدو جمال الشئ فى أربابه

. . إلخ.

وقصيدة منها:

عمران أكرم من جاد الزمان به ... فرداً وأشرف من فى حجره نشأ
كأن قحطان قدما كان أودع فى ... ضمائر الفضل سراً فيه أو خبَأ
وازداد فخراً على ما شاد والده ... مـحمد وسناً فى مجده سبأ

. وقصيدة منها:

فكأنما عدن به عدن جلا	رضوان فيها النور من رضوانه
عم البسيطة وصفه فكأنما	قام السماع بها مقام عيانه
وإذا تصرف كاتباً أوخاطباً	فالدر بين بنانه وبيانه

. . إلخ.

وتوفى الداعى عمران سنة ستين وخمسمائة ومن مآثره المنبر بجامع عدن، واسمه مكتوب عليه، وخلف ثلاثة أولاد دون البلوغ: منصور ومحمد وأبو السعود كفلهم الأستاذ أبو الدر جوهر المعظمى بحصن الدملوه، واستمرت الدملوه تحت أيديهم حتى باعها الأستاذ أبو الدر جوهر من السلطان طغتكين بن أيوب كما سيأتى.

عبدالله بن حمزة

مولده ٥٦١هـ دعوته ٥٨٣هـ وفاته٦١٤هـ

هو الإمام المنصور المجدد للمائة السادسة باليمن عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن على بن أبى هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين بن القاسم الرسى.

مولده بمحل عيشان من ظاهر همدان فى ربيع الثانى سنة إحدى وستين وخمسمائة للهجرة وأخذ عن أبيه والشيخ الحسن بن محمد الرصّاص، والشيخ عمران بن الحسين الشتوى، والشيخ على بن أحمد الأكوع ، والشيخ حميد بن أحمد بن الوليد القرشى، والشيخ حنظلة بن الحسن، والشيخ أحمد بن الحسن بن المبارك وغيرهم. وروى صحيح البخارى وسائرالأمهات، وكتب التفسير وسائر العلوم بأسانيده المسلسلة فى كتابه «الشافى» المشهور. وكان نادرة فى الذكاء والحفظ والبراعة والبلاغة والشجاعة والزهد والعبادة والتقوى.

وكان طويل القامة تام الخلق كث اللحية غلب الشيب على عارضيه وحفظ الأدب وبرّز فيه حتى قيل إنه أشعر الطالبين باليمن.

مصنفاته

تزيد مصنفاته على الأربعين مصنفاً أشهرها «الشافى» فى أربعة مجلدات ضخمة رد فيه على الرسالة الخارقه لابن أبى القبائل من جبلة. وكتاب «المهذب» وكتاب «صفوة الاختيارات». و«زيادة الأدلة العقلية» و«شرح الأربعين السيلقية» و«الجوهرة الشفافة فى أصول الدين» و«الرسالة الناصحة» جزءين فى أصول الدين و«الدرة الثمينه» و«الأجوبة الكافية» و«الرافعة للإشكال» و«الرسالة المثيرة» و«الفتاوى» و«ديوان شعره» فى مجلد ضخم. وله مساجد عديدة فى اليمن، وحصن ظفار على ثلاثة أيام من صنعاء شمالاً شرقاً، وحصون كحلان وتلمص والطويلة وغيرها، وخطب له بالجيل والديلم والصفراء بالحجاز وينبع وخيبر وبعث رسائله إلى أمراء مكة والعراق وخوارزم علاء الدين شاه وغيرهم، وله سيرة كبيرة جمعها الشيخ على بن نشوان بن سعيد الحميرى وغيره فى أجزاء كثيرة ثم اختصرها فى ستة أجزاء أبو فراس بن دعنم الصنعانى وهم بيت كبير فى صنعاء فيهم علماء وفصحاء وشعراء وهم من بنى تميم من أولاد أبى بكر المقرى ونقل منها تلميذه الفقيه حميد فى الحدائق وشراح البسامة وصاحب أبناء الزمن وغيرهم ما خلاصته:

دعوته الأولى وجهاده

دعا بالجوف سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة للهجرة وكتب إلى الأميرين عماد الدين يحيى وبدر الدين محمد ابني أحمد بن يحيى بن الناصر من سادات الجبال بصعدة، ونهض إلى الشام بمائة فارس فتلقاه الأميران بجموع كثيرة من الشام وبايعوه. وكتب إليه الأشراف والمشائخ من حصن مبتك المعروف بعفار ببلاد كحلان يطلبون وصوله إليهم لدفع عسكر السلطان على بن حاتم اليامى عنهم فسار إلى صبرة وحصن جرع

فتسلمه وقرر أهله عليه وبعث عـماله إلى بنى عشب وغيرها. وفى خلال ذلك وصل السلطان طغتكين بن أيوب فى قوة عظيمة إلى صنـعاء واستولى على الأهجر وحصن الفص والظفر وعـدة حصون فى سنة أربع وثمانين وخـمسمائة للهجـرة وسنة خمس وثمانين وخمسمائة للهجرة وأمر الإمام أخـاه محمداً بالقدوم لمناجزة أصحاب طغتكين فى قرية شوحطين فقتل أخوه محمد مع جـماعة من أصحابه، ونهض طغتكين بنفسه على حصن عفـار فانتقل الإمام إلى شرس ورجع إلى الجوف وجهـز أخاه يحيى إلى شهارة والاهنوم واستمر طغتكين فى حصار كوكبان وفيه عمر بن على بن حاتم اليامى بمائة فارس وألف وخمسـمائة راجل قتل منهم خمسمائة ومن أصحـاب طغتكين أكثر من ألف ثم اصطلحا على أن يكون كوكبان لطغـتكين والعرس وغيره لبنى حاتم، ثم استلم طغتكين حصن فدة وأخرب دوراً فى وادى ضـهر وحاصر ذى مرمر أربع سنين وفيه على بن حاتم ثم اصطلحـا على تسليم خمسمائة دينار وخمسمـائة كيلجة طعام كل عام للسلطان حاتم ويتـخلى عن البلاد، وهدم طغتكين المشاهد على قـبور رؤساء همدان بصنعاء وعمر بآلاتها قصراً بصنعاء. وفى سنة ست وثمانين وخمسمائة للهجرة استولـى طغتكين على جميع اليـمن وانتهت دولة بنى حاتم. وفى سنة سـبع وثمانين وخمـسمائة للهـجرة وثب الأمير يحـيى بن الإمام أحمـد بن سُليمان على أصـحاب طغتكين بصعدة وطردهم وملكها.

ثم سار طغتـكين إلى حضرموت واستـولى على شبام وتريم وولى ابنه إسمـعيل على كوكبان وبلاد الظاهر فساءت سيرته وسيرة أصحابه فاجتمعت حاشد وبكيل والأشراف مع الإمام ووقع الحرب وقتل من أصحاب طغتكين فـى أثافت والمصنعة نحو سبعمائة رجل وقتل بين يدى الإمام من أصحـابه نحو مائتى رجل ولم يبرح موقفـه. واستمر ملك طغـتكين أربع عشـرة سنة ودعتـه نفـسه إلى شـراء أراضى اليمن كلهـا قسـراً ويستأجره من أراد حرث شئ منها فشق على الناس ذلك فـاجتمع صالحوهم بالمساجد أياماً صـباحاً قيـاماً ونادى أحدهم ليـلاً يا سلطان السماء أكـف المسلمين شر سلطان الأرض فسمعوا قارئاً يقرأ : ﴿ **قُضِىَ الأمر الذى فيه تستفتيان** ﴾ ثم تحقق موت طغتكين فى تلك الليلة فى شوال سنة ثلاث وتسـعين وخمسمائة للهـجرة بالمنصورة فى وادى

نخلان قبلى الجند وكان عمّرها وأجرى لها الماء وعمّر تعز وحصنها وقصر مدينة الجند وحصنى التفكر وجب وسور مدينة زبيد وسور مـدينة صنعاء وزاد فيها الجانب الغربى من السائلة وعـمر بصنعاء الدور والحـمامات والمفارج وقـام بعده ابنه المعز إسمـاعيل وبطل بموت طغتكين ما أراده من تملك الأراضى وقال عند مـوته: ما أغنى عنى مالية هلك عنى سلطانية.

دعوة المنصور الثانية

وفى ذى القعدة سنة ثلاث وتسعين وخـمسمائة للهجرة جدد الإمام عـبدالله بن حمزة الدعوة من الجوف فاجتمع إليه أعيان علماء الهدوية وبايعوه بهجرة معين ببلاد صعدة، وأول من أجابه السلطان على بن حاتم اليامى الهمدانى وبعـث بيعته مع أخيه بشر بن حاتم إلى هجرة مـعين. ومن ألفاظ بيعة الإمـام قوله للمبايع له: أبايعـك على كتاب الله وسنة رسوله وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وموالاة ولِينا ومُعاداة عدونا والجهاد فى سبـيل الله. فإذا قال الرجل: نعم قال: عليك بذلك عهد الله ومـيثاقه، فيقول الرجل نعم فيقول الإمام: الله على مـا تقول وكيل. وفيها شرى السلطان على بن حاتم حصون كوكبان وبكر وظفر من ولاة طغتكين. ونهض الإمام إلى حصن ثلا فوفدت إليه العرب من كل جهة وبعث جنوده إلى بلاد حضور.

وفى سنة أربع وتسعين وخمسمائة للهجرة نهض المعز إسمعيل إلى صنعاء فقتل الأمير همام نائب والده على صنعاء وجعل عليهـا الشهاب الجزرى وكتب إلى السلطان على بن حاتم وحلف له أنه سيعطـيه صنعاء، فبعث إليه أخاه بشـر بن حاتم وابنه عمر بن على فقـبضهـما ونكث عهـده فثبت على بن حـاتم على موالاة الإمام. وسـار المعز والأمير جكر بن محـمد الكردى لمحاربة الإمام فوقع بينهمـا حرب ثم رجع المعز إلى صنعاء ثم إلى جبلة فأخرب دار العزب التى بناها المكرم الـصليحى، وفيها سار الإمام إلى صعدة وبعث عـماله إلى البلاد وسار إلى برط والظاهر ووصل إلـيه قوم من بنى بطين حجـة فبعث مـعهم صنوه الأمير يـحيى بن حمزة وفـيها وقع فـساد بعض يام ودهمة وقتلوا رجـلاً من وادعة فخرج إليهم الأمـير يحيى بن حمزة وقـبض ستة من

المفسدين إلى صعدة حتى وصل زعيمهم وكفل بما سلبوا. وبعد أن استقلت بلاد صعدة سار الإمام إلى الجوف ببراقش ومعين ووصلت إليه كتب السلاطين والأشراف من كل جهة يرجونه التفريج عنهم من سوء معاملة الدولة الأيوبية فخرج إلى أثافت ثم إلى بنى شاور وبنى قطيل ثم إلى مدع وكوكبان فتلقاه الأمير عمر بن على بن حاتم ومشى بين يديه حتى دخل كوكبان ثم نزل إلى شبام لما كثرت الوفود وخرج الإمام والأمير عمر إلى حصن الظفر فخرجت الغُز من صنعاء إلى شبام فوجدوه مرتباً فعادوا صنعاء ثم أجمع رأى السلاطين والأمراء على قصد بلاد حضور فأسعدهم الإمام وجعل قائدهم الأمير العفيف محمد بن المفضل وغيره فخرج إليهم الغز من صنعاء مع الشهاب الجزرى والأمير جكر ووقعت معركة بمتنه وعاد الغز إلى قرية بيت خولان فاخربوها ونهبوها. وفى سنة أربع وتسعين وخمسمائة للهجرة حصل الاختلاف بين الشهاب الجزرى والأمير جكر بن محمد الكردى فكتب جكر إلى الإمام بموالاته ومباينة الغز فبعث الإمام إليه الشريف على بن موسى العباسى إلى مغارب ذمار فأخذ منه البيعة للإمام وسار جكر إلى ذمار.

فأرسل المعز إسمعيل طائفة من جنده لقبضه فانسل عنهم مع خاصته إلى جبل كتن وأمر الإمام أهل سنحان باستقباله ففعلوا وسار بمن معه إلى حصن لاحج فاستولى عليه وقتل رتبة الغز وأخذ ما فيه ثم سار إلى بريان نهد وقتل الغز فيه.

وفى خلال ذلك أرسل المعز إلى الشهاب الجزرى بصنعاء خزانة عظيمة ومعها مسافرون ببضاعة كثيرة فاعترضهم جكر واستولى على جميع ما معهم وأسر بعض المماليك وأمر الإمام عامله على مذحج أن يمد جكر فزادت محبته للإمام وسار إلى السلطان على بن حاتم بذى مرمر ومكث لديه أياماً يُغير على البلاد الموالية للغز، ثم ترك أثقاله بذى مرمر وسار إلى حضرة الإمام بشبام فقابله بالإكرام وبايعه مع أصحابه، وأمر الإمام الجند بالركوب معه ويحمل الغاشية بين يديه وأرسله إلى الجنات عمران لمناجزة من بها من الغز. وأمر الأمير عمر بن على بن حاتم بالمسير معه وكتب الإمام إلى الأمير محمد بن إبراهيم أن يلقاهم بحاشد وبكيل فلما علم الغز بهم

ارتفعوا إلى صنعاء فتقدم الأمير جكر إلى ريعان قاصداً محاصرة صنعاء وفى هذه المدة أصلح الإمام الخلل فى سور مدينة شبام ورتب حصن ثلا طوعاً ووصل المعز بن طغتكين إلى صنعاء وهمّ بالمسير إلى الإمام بشبام لمحاربته فخالف عليه من رجاله شمس الخواص وخرج إلى عصر فى ستمائة فارس وراجل فرجع المعز إلى تعز، وأرسل شمس الخواص إلى الإمام أن يلقاه إلى عصر فتوكل على الله واجتمع به فى عصر، ثم نهض إلى صنعاء فى سبعة أفراس وفيها من بقية الغز سبعمائة فارس فقصد الإمام الجامع الكبير ولما علمت الغز أحاطت بالجامع فلبث فيه إلى المغرب وصلى ثم أشرف عليه فلم ينطق أحد منهم بكلمة ثم أخرج أهل صنعاء الإمام من الجامع فى جملتهم ووقاه الله شر الغز وبقى فى بعض دور اهل صنعاء واعتنى أهل صنعاء فى تخذيل الغز فلم يصبح الصباح حتى تم لأهل صنعاء ما يريدون من فتح أبواب صنعاء لجند الإمام وبايعه الخاص والعام وقال قصيدة منها:

رجعنا إلى ذكر الدخول وربما أتى عارض يحكى اللآلى مُنظماً

فجاءت أزال جمَّع الله شملها وأسدى إليها الصالحات وأنعما

فجادوا بفتح الباب وابتهجوا بنا وقالوا لنا أهلا وسهلاً ومغنما

وقالوا جهاد الظالمين فريضة فقد طال ما كنا نهاباً مقسَّماً

ستفديك أموالٌ عظامٌ وأنفسٌ كرامٌ وإن أضحى ذوو الفسق لومًا

فقلنا لهم خيراً ثناءً عليهم لكونهم فيما رجوناه سلما

.. إلخ.

وأهرق الإمام كلما وجده من الخمر فى الدور المشهورة به بصنعاء، وجعل ولاية صنعاء إلى الأمير على بن موسى وأمر القضاء إلى القاضى السرى بن إبراهيم من قضاة الغز وترك التعرض لحصن براش. وأما شمس الخواص فإنه استأذن الإمام فى مسيره إلى زبيد فلما وصل سجنه المعز فى دهلك حتى مات.

وفى سنة خمس وتعسين وخمسمائة للهجرة وقع اختلاف وفتن وحرب بين يام وشاكر وبني الحارث نجـران فخرج عليـهم عامل صعـدة الأمير على بن المحـسن فى ثمانين فارسا وسبعمائة راجل فهزم أهل الفساد وتفرق أصحابه للنهب فعطف المفسدون على العامل فـقتلوه ومن لديهم سـبعين نفـراً. ولما بلغ الإمام اغتم لذلك وهـم بالنهوض فعاقته عوائق فكتب إلى أعيان الجوف وصعدة وخولان فنهض منهم أربعة آلاف مقاتل تقدموا إلى نجران ففـر المفسدون إلى الجبال والغائط فأخربت من بـيوتهم سبعون داراً ونحو مائة بيـت شعر ثم أقبل أهل نجران إلى الطاعـة والامتثال والتـزموا بثلاثه آلاف دينار.

مسير الامام إلى ذمار

فى ربيع الأول سنة خمـس وتسعين وخمـسمائة للهـجرة سار الإمـام من صنعاء إلى ذمار، وكان قد تقدمه الأمير جكر بن محـمد الكردى فى بعض الجنود الإمامية فجهز المعز الأيوبى من اليـمن الأسفل العـساكر الكثـيرة مع الشهـاب الجزيري وغيـره وقد استولى الإمـام على ذمار بعد أن قتل وأسـر من أصحاب المعز واسـتولى الإمام على خزائنهم، وكان الشـهاب الجزرى قد خالف الطريق وقـصد صنعاء فمنعـه عنها أهلها وأصحـاب الإمام فقـصد حصن براش فلم يظفـر فبادر الإمـام من ذمار مغـيراً على صنعاء وأتى بالشهاب الجزرى أسيراً إليه مع أصحابه فاودعهم سجن صنعاء.

قتل الأمير جكر

ثم نهض المعز بنفسه من تعز فى جموع لا تُحصر فتلقاه الأمير جكر عن أمر الإمام إلى حقل يريم قريب نقيل صيْد (سمارة) فكانت معركة قتل فيها جكر وانهزم أصحابه إلى ذمار فبادر الإمام فى صنعاء لإمداده قبل قتله فـلما وصل الإمام جهران بلغه خبر قتله والهزيمة فرجح العودة إلى مركزه شبام فتقدم المعز بجيوشه إلى صنعاء وأخرج الشهاب الجزرى من الحبس واسـتعمله عليها، وتوجه الإمـام إلى أثافت بالظاهر وبعث دعوته

إلى الحجاز فخطب فى ينبع وخيبر والصفراء، ووصلته حقوقها وإلى الجبل والديلم فخطب لديها.

وفاة يحيى بن أحمد بن سليمان

فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة كتب الإمام إلى الأمير يحيى بن الإمام أحمد بن سليمان وأرسل له بحصان فقبله ووعد باللقاء ثم اختلف أولاً ثم سار إلى حضرة الإمام فأكرمه وولاه صعدة ولكنه عاد إلى الخلاف مرة ثانية وسار إلى صنعاء إلى الغز فاستبشروا بقدومه ثم عاد نحو صعدة فلَما كان بالهجر وقع حرب بينه وبين الأمير يحيى بن حمزة ثم نهض الإمام بنفسه فحاصر الهجر وقتل بعض المخالفين وأسر الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان فأودعه الإمام فى دار بأثافت ولم يضيق عليه فعمل بنجاً فى الطعام للحرس عليه فعرفوه، ثم لم يلبث أن مات. وفى سنة ست وتسعين وخمسمائة للهجرة سار الإمام إلى صعدة وكان قد أقبل أهل نجران مذعنين بالطاعة ثم عاد إلى الجوف فوصل إليه السلطان جحاف بن حميدان فى خمسين فارسا من بنى منبه وعزان بن فليته فى أصحابه.

جواب صاحب حضرموت

ووصل إليه فى صفر سنة ست وتسعين وخمسمائة للهجرة جواب صاحب حضرموت السلطان عبدالله بن راشد مهنئاً للإمام بالفتوح ومتعرضاً لخدمته مع قصيدة منها :

الآن قرت على الأساس أركان ... وطال للدين والإسلام بنيان

وقام بالشرف البذاخ صاحبهُ ... وعز للدولة الغراء سلطان

من جدُّه الأقدم الأعلى نبى هدىً ... وجده الأقرب الأدنى سليمان

ذاك ابن حمزة عبدالله نور هدىً ... به المكارم والعلياءُ تزدان

وبعد وصول السلاطين إلى الإمام حثهم على الصلح واجتماع الكلمة وترك الاختلاف وبإشارةٍ وتحيُّلٍ من الشهاب الجزرى سار بشر بن حاتم اليامى إلى المعز ثم اغرى به الجزرى فحبسه المعز بحصن التعكر. ثم نهض الإمام الى شوابه فأقبل الناس إليه من كل جهة وسار إلى جنات عمران وسلم أهلها ثلاثة آلاف دينار عما لديهم من الحقوق وقبض الإمام رهائنهم. ثم نهض إلى حلملم ووصل إليه أهلُ المغارب والقضاه آل نشوان بن سعيد الحميرى من صعدة فى عسكر نحو سبعمائة فارس فأمرهم بالمسير إلى بنى عشب وعفار ونهض إلى بلاد حجة وبقى فى حصن مبين وقبض أصحابه الحقوق الواجبة.

ثم غزا المعز إلى شبام وأخرب دوراً وجعل جامعها اصطبلاً ونصب الحصار على كوكبان، وأخذ أبواب وأخشاب شبام وعملها زحّافة وطال الحصار وبعث الإمام أخاه يحيى إلى ثلا وأخاه الحسن بن حمزة إلى ذى مرمر فما زال يكرر الغارات على صنعاء حتى وصل إلى شعوب، وأقبل إليه أهل الرحبة بما عندهم من الواجبات ومال أهل سنحان إلى أصحاب الإمام، وقطعوا على المعز طريق اليمن الأسفل وطال الحصار على كوكبان فسعى جماعة فى الصلح بأن يكون كوكبان للمعز مقابل إطلاقه للسلطان بشر بن حاتم اليامى من سجن التعكر، فتم ذلك وحصل خلاف فى نجران فتوجه إليهم الأمير يحيى بن حمزة فاستولى على خيل البدو وسلاحهم وأما إبلهم وكانت نحوخمسة آلاف فصاحوا عليها فنفرت كالسيل المنحدر وتفرقوا فى الجبال والأودية ثم رجعوا وطلبوا الأمان طائعين.

ونهض الإمام نحو صعدة، ولما وصل العمشية بنى بها مسجداً وشارك فى حمل الحجارة والعمل، ولم يبرح حتى صلى فيه جماعة. ثم سار إلى هجرة معين وبها أهله وأولاده ودخل صعدة ثم سار إلى محل فساد بالمغرب فاهرق الخمر ونفى البغايا وأخرب بيوت المفسدين وأقبل أهل تلك الجهات مذعنين. وفيها سار المعز إلى صبيا فتفرق أهلها فراسلهم بالأمان فلما رجعوا ضرب أعناق بعض رجالهم وأباح النساء لعسكره ولنفسه وكذلك فعل بأهل الضحى.

وفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة استقـر الإمام ببراقش الجوف وصنف شرح السيلقية ووصل إليه جمـاعة من الأشراف القاسـميين يشكون من ولاية ابن جعفـر بن القاسم العيـانى على بنى عبـد وظليمة وحـجور فعـزله الإمام فغـضب وكتب إلى الشـهاب الجزرى، ثم سار إليه ورغـبه فى أن يتقدم على بلاد الإمام فلم يُجبـه، وجهز الإمام أخاه سليمان بن حمزة إلى بلاد مأرب وبيحـان، ثم سار الإمام بنفسه إلى بيحان بعد أن كرر إليهم الكتابَة بالطاعـة وإقامة الجمعة والجماعة فلم يمتـثلوا ففرق شملهم وقطع من نخيلهم وأعنابهم فـأذعنوا وعاد إلى براقش ووصل إليه القاضى أبـو القاسم راشد بن شبيب السليمانى طائفاً وأعطاه الإمام حصاناً.

رساله الإمام إلى أمير مكة

فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة للهجرة بعث الإمام مع القاضى أبى القاسم راشد بن شبيب المذكور رسالةً إلى شريف مكة قتادة بن إدريس الحسنى مع قصيدة منها :

إلى السادات من سلفى على	لباب اللب من سلفى نزار
إلى حسن نداء من إمام	يناديكم على نائى المزار
إمام من بنى حسن أبوه	أبوكم فالنجار من النجار
فصل حبلا بحبل وابن مجداً	على مجد ونادِ على المنار
فنحن الطالبون بثأر دين الإله	وأهل ألْوية الفخار
وليس لنا على البلوى معين	سوى نفر قليل كالدرارى
وما يوم القيام نظرت منكم	مؤازرة وقد طال انتظارى
وليس الموت يدفع بالتوقى	وليس الربح إلا بالخسار

وثأركم ببغداد فقوموا معى جمعاً وإن الثأر ثاري

هم قتلوا جدودكم وجدى وهم هدموا دياركم ودارى

وأيام الحسين ببطن فخ فقاتله شبيه بالقدار

ألا يا ليت شعرى هل أراها معقدة السباسب للمغار

. . . الخ.

وقصيدة منها:

فشمر وصمم يا ابن إدريس واثقاً بربك إن النصر إن غبت كاسد

فإن تنصرونى تنصروا ذا قرابة له ولكن أصل النبوة واحد

وفيها نهض الإمام إلى حوث وتفقد أحوال بلاد الظاهر وبلاد حجة وأقام الحدود وأمر بالصلوات والواجبات. وفيها نهض الشهاب الجزرى لمحاربة كوكبان والظاهر فبلغه خلاف وردسار الكردى على الغز فرجع إلى صنعاء وفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة للهجرة توفى بحصن ذى مرمر السلطان على بن حاتم اليامى الهمدانى وقد تملك صنعاء وغيرها مدة بعد والده وقد تقدم ذكره كثيراً مع ذكر والده.

موالاة وردسار الكردي للإمام

وفى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة للهجرة وصل إلى الإمام كتاب الأمير وردسار بن يامى الكردى فيه مباينته للغز وخروجه من بندر عدن ووصوله إلى مغارب ذمار، فأجابه الإمام وبعث بعض أصحابه إليه فخرج الشهاب الجزرى من صنعاء إلى إلهان آنس لمنع رسل الإمام إلى وردسار، فأرسل الإمام آخرين عن طريق ريمة وأمرهم بمرافقة وردسار إليه فتلقاهم أهل ريمة بالإكرام وبايعوا الإمام وخطبوا له ورافقوا وردسار مع شيخهم إلى الإمام عن طريق حراز ولما وصل إلى الإمام بصعدة خرج

لاستقباله فدخل صعدة دخولاً مُعظماً وقابله بالإنعام.

قتل المعز

فى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة للهجرة دعا المعزإسمعيل الأيوبى إلى نفسه بالخلافة وأظهر دعواه الكاذبة فى نسبه، فوردت عليه كتب من مصر ينكرون ذلك عليه أشد الإنكار وساءت سيرته وقتل كبار أصحابه وأولع بأكل لحوم الآدميين فأنكر عليه الأتابك سنقر وأكثر الجند، وسار إلى المهجم فاستولى عليها وما فيها فتبعه المعز فكانت الدائرة على المعز فسار إلى الكدراء وفيها نساؤه ثم سار بهن إلى زبيد وأغلق أبوابها إلا واحداً فنهض سنقر خلقه واستولى على ما فى الكدراء وكتب إلى الإمام ومال إليه فأجابه الإمام ورغبه. ثم وثب الأكراد على المعز فقتلوه عند مسجد شاشة على نحو ميلين من زبيد واحتزوا رأسه. وقيل إنه ثار عليه عرب تهامة ومدة ملكه خمس سنوات، ثم انتهب الأكراد زبيد. وجهز الإمام الأمير وردسار والأمير محمد بن إبراهيم نحو صنعاء وسار منها الشهاب الجزرى إلى الإمام وعاد ومعه أخو الإمام الأمير يحيى بن حمزة إلى صنعاء فطارت الأخبار بموالاة الجزرى للإمام لما له من الشهرة. وأرسل الإمام للقضا بصنعا القاضى مفرح بن مسعود ونفذت الأحكام الشرعية والحدود على الغز وغيرهم وأقام الإمام فى بيت مِساك وكان يهبط لصلاة الجمعة بمدينة ريدة وأبقى بريدة الأمير محمد بن إبراهيم الحَمزى . وقدم إلى الإمام الفقيه محمد بن سليمان العبسى وجماعته من نواحى الكدراء. ووصل جواب الشريف يحيى بن على السليمانى وكان وردسار يتظاهر بطاعة الإمام ويكتم خلافها وسار إلى سنقر بالجند فخلع عليه وأعطاه المال والعبيد وكان فى حضرة الإمام لم يتمكن وأصحابه من اللذات ونيل الشهوات فنكث العهود ونهض نحو صنعاء وأقام بها والبلدان حولها مخالفة عليه وأمر الإمام بقطع المواد عليه فضاق به الحال وقصد حصن عضدان فكافحوه وعقروا من خيله.

وفى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة للهجرة نهض الإمام إلى حصن ذى مرمر وتزوج

بابنه الأمير فضل بن على بن حاتم بن أحمد اليامى الهمدانى ولبث فى داره سبعة أشهر.

وفى محرم سنة تسع وتسعين وخمسمائة للهجرة ماجت النجوم وتطايرت إلى طلوع الفجر واشتد القحط ولم يزل وردساريكر بالغارات على مخاليف صنعاء فاستنجد أهل تنعم بالإمام فأوقعوا ومعهم عشرون من أصحاب الإمام بأصحاب وردسار وقتلوهم عن آخرهم وغنموا خيلهم وسلاحهم وكل ما معهم. ثم قصد وردسار بيت أنعم ومنع آل حاتم من أملاكهم فى المنظر (الروضة) ثم خالف عليه أهل صنعاء فوصل سنقر بجنود فأنزل وردسار بأهل صنعاء أنواع العذاب وملأ بهم السجون وباشرهم بالضرب والتعليق والتحريق حتى تم الصلح مع سنقر واستقر الإمام بحوث ثم بصعدة ووصل إليه الأمير المؤيد السليمانى صاحب أبى عريش فى تسعين راكباً وطلب من الإمام تجديد الولاية على مخلافه بعد قتل المعز فولاه وبعث معه الفقيه أبا القاسم بن الحسين للمعاونة على مطابقة الحق والصواب وأعطاه الإمام أربعاً من جياد الخيل وخلع عليه وعلى أصحابه، فسار من صعدة فى ذى القعدة ومعه حجاج اليمن فسار بهم أحسن سيرة وأقام بحرض فأزال المظالم والمكوس وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر. وفيها انتقض الصلح بين سنقر والأكراد بزبيد فسار وردسار لإمداد سنقر فانهزمت الأكراد ونهب أصحاب سنقر ووردسار مدينه زبيد.

آيات سماوية

وفى صفر سنة ستمائة للهجرة ظهرت بعد المغرب حمرة شديدة غلب ضوءها ضوء المصابيح فى مشارق اليمن وجبالها. وحصلت فى تهامة ظلمة شديدة ثلاثة أيام ونزل من السماء تراب كلون الرماد يسير إلى زبيد كالسيل ففزع الناس وأمر سنقر ووردسار بإخراج من فى سجونهما. وفى صفر أيضاً سمع أهل محل ماء رهين بالأهجر حطماً عظيماً تحت محلهم ففزعوا وخرجوا بأنفسهم وأنعامهم إلى الجبال التى حول محلهم، فسالت قريتهم وضياعهم نحو ميل ثم وقفت على ضياع قوم آخرين فى أسفل الوادى

ووقع التنازع بين الفريقين وترافعوا إلى الإمام فحكم بالأرض لأهل الضياع السفلى، وأن ينقل أهل الضياع العليا ما أمكنهم نقله من أخشابهم وأحجارهم وترابهم. وفيها وقعت صواعق مفزعة فى جهة المغارب، ودخان عظيم فأظهر الناس التوبة حتى رفع الله عنهم، ثم غفلوا فعادوا إلى ما كانوا عليه وخلق الإنسان ضعيفاً.

وفاة المنتصر محمد العفيف الوزير

فى صفر سنة ستمائة للهجرة توفى فى هجرة وقش من بنى مطر الأمير المجاهد المنتصر العفيف محمد بن المفضل بن الحجاج عبيد الله بن على بن يحيى بن القاسم بن يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادى يحيى بن الحسين .. إلخ. المعروف بالوزير وكان وزيراً للإمام المنصور عبدالله بن حمزة. وكان قد قام فى جهات صنعاء محتسباً لمقاتله الأكراد عسكر الدولة الأيوبية وعاصر آل حاتم وأقام مدة فى حصن بيت بوس جنوبى صنعاء لحرب الغز، ولما ظهرت دعوة الإمام عبد الله بن حمزة الثانية سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة للهجرة تابعه وكان من أعيان أعوانه وجهزه الإمام بأجناد إلى تهامة فاستفتح العمل منها وكتب إلى الإمام قصيدة منها:

لقد طاوعتنى فى رضاك تهامةٌ ... وكاتبنى فى الصلح أشياخ ريمةِ

ولكنما خيل الإمام وجنده ... أفادت جليلاً من طبع وقلتِ

ولو صبرت نالت غنائم جمةً ... تضيق بها الآفاق من كل وجهة

فإن يرسم المولى وصولى وصلته ... بخيل فأورى غزوة بعد غزوة

ولما مات رثاه الإمام المنصور بقصيدة منها:

لعمرى لئن مات العفيف محمدٌ ... لدينا فصبر ما علمت جميل

فتى من بنى بنت النبى محمد ... أعز كنصل السيف وهو صقيل

.. الخ.

وعرف بالوزير بعد مؤازرته للإمام المنصور، وإليه يُنسب السادة آل الوزير جميعاً وسموا باسمه، وهو تلميذ المتوكل أحمد بن سليمان وشيخ المنصور عبدالله بن حمزه وكتب سيرة للمنصور.

ولما قام المنتصر محمد العفيف بالاحتساب لجهاد الغز بايعه وناصره السلطان محمد بن إسمعيل الشهابى والشيخ ناصر بن على القرشى والأمير أبو الفتح بن محمد العباسى والفقيه أحمد بن محمد مداعس الجنبى والفقيه العلامة على بن يحيى بن عبدالله البحرى الواقف للجربة التى تسمى مهرة من مزارع وقش. واستمر الناس طوع أمره باقين على موالاته وامتثال إشاراته لما كان عليه من الاحتساب والاشتغال بالجهاد وجمع العساكر وتجنيد الأجناد. وكان من أهل التقدم والسبق فى مدارج الكمال عالماً فاضلاً خطيراً مشتهر الذكر والصيت حجه عند الأنام مجاب الدعوة مسموع الكلمة عظيم الجاه علمه نافع ومعروفه واسع جاهد طغتكين وابنه المعز حق الجهاد وشن عليهم الغارات من بيت بوس ومن أطراف البلاد قبل قيام الإمام المنصور وبعده، ومن جملة غزواته أيام المنصور غزوة العمد فى حدود تهامة، وكان مقصده بقاء الجند معه وأن يلحق الغز إلى تهامة ولكن الجند قفلوا بغنائم واسعة فكتب للإمام قصيدة منها الأربعة الأبيات السابقة ومنها أيضاً:

عليك سلام الله يا نجل حمزة	ويا ابن رسول الله وابن الأئمة
كتبتُ على بعد المزار الوكةً	تعبُر عن فتحٍ قريب ونصرة
أغرت وقد جمَّعت شملاً مشتتاً	فرُحت بهم فى أوج عز وقوة
فسرت أمام القوم لله طاعةً	بفتيان صدقٍ من قبيلى وإخوتى
فلمّا أتينا ساحة العهد التى	بها يُكفَرالرحمن فى كل ليلة
فكلّ له هم بأخذ غنيمة	وهمى رؤُس المفُسدين غنيمتى
فإن لم يقولوا إننى يا ابن حمزةٍ	أمدٌ يمينى فى رضاك فشلت

وفى طاعة الله الكريم وطاعة الامام أُصالى كل جهدٍ بمهجتى

. . إلخ.

وفى سنة ستمائة للهجرة وصل إلى المنصور الشيخ الورع على بن سليمان الحرازى السهيلى يطلب من الإمام إعفاءه عن قبض الواجبات من بلاد الطرف وبنى شاور وحلملم فساعده الإمام وولاها القاضى العلامة يحيى بن القاضى جعفر بن أبى يحيى بن عبد السلام فوق ولايته للقضاء بها مع القضاء فى شبام.

وصول حقوق من الحجاز إلى الإمام

وفيها وصل كتاب من بعض أمراء الحجاز أنه قد سلم ما لديه من حقوق بيت المال ونذور إلى مأمور الإمام الشريف حسن بن ضاعن ووصل الحُجاج من مكة ومعهم من الخيل أربع ثلاث مشتراة لبيت المال من الحقوق وحصان عظيم للإمام أرسله الأمير على بن عطية بن يعقوب صاحب حلى بن يعقوب عن حقوق لزمته.

قضية الحشيشيين

فيها وصل إلى الإمام كتاب من مكة بأن ملك العراق العباسى بعث برجلين من الحشيشيين الفدائيين لاغتيال الإمام. ورجلين لاغتيال شريف مكة قتادة بن إدريس، وأنهم يُقدمون على قتل من أُمروا بقتله ولا يُبالون لزعمهم الفوز بذلك؛ فلم تمض مدة يسيرة حتى قدم صعدة أعجميان أنكرهما الناس فحبسهما الإمام ثم نفاهما عن صعدة إلى تهامة وأباح دمهما إن وُجِدا بعد ذلك فى بلاده. وسيأتى بترجمة المهدي أحمد بن الحسين محاولة حشيشيين قتله.

استيلاء الإمام على كوكبان وقتل أخيه إبراهيم

فى سنة ستمائة للهجـرة استولى الإمام المنصور على حصن كوكبـان شبام وكان عامله للغز أراد بيـعه للإمام بخمـسة آلاف دينار فلم يلتفـت إليه الإمام فأراد بيـعه من بنى الزواحى فلم يتم له فمـال إلى طاعة الإمام وخطب له على المنابر فـوصل الإمام إلى كوكبان وشبام. وفيها عـاد وردسار من اليمن الأسفل إلى صنعاء بخيل ورجال وأخذ فى التجهيز إلى بلاد الظاهر وأطلق عساكـره فى بلاد بنى حاتم فدمروها وانتقل أهلها إلى بلاد الجوف وغـيرها من بلاد الإمام ولم يزل وردسار يغـزو بلاد الإمام، وأرسل الإمام أخاه إبراهيم لدفع عدوان أصحاب وردسـار على أهل مطره وعذر فوقع القتال ووصل وردسار فى جيش عظـيم مُغيراً على أصحـابه فاشتد القتـال وقتل إبراهيم بن حمزة أخو الإمام فى شعبان وعظمت المحنة على الإمام فقال:

روّعنى الدهرُ بأحداثه ... وليس مثلى من شباها يُراعْ

يروم إنزالى على حكمه ... وإنما يفعل ذاك المُراع

فَصُدَّ عنا والتمس غيرنا ... وخُصّ بالرعب قلوب الرعاع

فصبر للموت وروعاته ... إذا نفوس الضد طارت شعاع

وجعل الإمـام ولاية الجوف إلى صنوه الأمير الحـسن بن حمزة خلفًـا لأخيه الشهـيد إبراهيم.

عمارة ظفار

فى شوال سنة سـتمائة للهجرة ابتدأ الإمـام بعمارة حصن ظفار وسمـاه بظفار، وكان يُعرف قـبل ذلك بأكمـة الإمام أبى الفتح الديلمي، وبالغ الإمـام فى عمـارته وجعله مستقر عزه وعُرف بظفار داوود وظُفار الظاهر وجـامعه وجامع الصومعة شمالى مدينة حوث من أوسع وأعظم مـساجد الإمـام المنصور. وفى محـرم سنة إحدى وسـتمائة

للهجرة عُقد الصلح بين الإمام ووردسار مدة سنتين لتسكين الفتنة وأخذ الإمام على وردسار العهود الغليظة المؤكدة بطلاق زوجاته وعتق عبيده، ثم نقض الغز الصلح فأمر الإمام بالغارة على من بصعدة وأثافت من الغز فخرج وردسار بغارة ثم انهزم الغز إلى صنعاء ثم جهز وردسار جيشاً جراراً مع خمسمائة فارس وعساكر وصلت من اليمن الأسفل وقصد بلاد الظاهر ووقع الحرب بينه وبين الأمير الحسن بن حمزة صنو الإمام.

الدراهم المنصورية والسيل العظيم

فى سنة إحدى وستمائة للهجرة أمر الإمام بضرب الدراهم والسكة المنصورية بزنة كل درهم نصف قفلة وبعضها ثمن قفلة وفى اليوم السابع من ذى الحجة سنة إحدى وستمائة للهجرة وصل سيل عظيم إلى صنعاء لم يعهد مثله إلا السيل الأول فى الإسلام أيام الخليفة أبى بكر الصديق وهو السيل الذى كشف ما تحت مسجد النهرين من قبور قديمة جداً قبل الإسلام. ثم السيل الثانى النازل فى ذى الحجة سنة اثنتين وستين ومائتين للهجرة الذى أخرب نحو ستة آلاف دار بصنعاء وأتلف الأموال الجزيلة. ثم هذا السيل وهو الثالث فى الإسلام وكان وردسار قد عمر لنفسه داراً فى بستان السلطان (طغتكين) بالجانب الغربى الجنوبى من صنعاء ونقل إلى داره أمواله وذخائره وجعل فى بستانها حماماً وأجرى إليه الماء من غيل البركى وكان خندق السيل مُشبكًا بشبابيك حديد مقفلة فإذا جاء المطر رفعت تلك الشبابيك فوصل هذا السيل العظيم قبل رفع الشبابيك فرجع إلى قرة العين جنوبى السور ثم دفع دفعة واحده فأخرب دار وردسار وأذهب جميع ما فيها، وكان وردسار فى الحمام فدخل عليه السيل من باب الحمام ففر بنفسه إلى باب السبحة وكاد أن يهلك وأخرب السيل الدور التى على جانبى السائلة وأهلك ما فيها من نفوس وأموال ولما وصل إلى الخندق الشمالى لم تسعه المخارج فهاج كالبحر المتلاطم وأخرب قرية بنى غانم ومساكن بنى الطماح غربى السائلة وهلك عالم من الناس والدواب وبلغ ارتفاعه فى مسجد ابن

الحسين قدر القامة وأحاط به حتى صار كالسفينة وسط البحر وأخذ ماحوله وأخرب سور صنعاء الشمالى وخرج إلى شعوب.

وفى سنة ثلاث وستمائة للهجرة نقض وردسار الصلح وسار إلى البون فتلقاه الإمام بجمع عظيم فكانت الدائرة على وردسار وانهزم إلى صنعاء بعد أن قاسى مشقة. وفيها وصلت إلى صعدة طائفة من قبائل حرب أجلاهم الشريف قتادة عن منازلهم بين المدينتين. وفيها وقعت المراسلة بين الإمام والمطرفية من الزيدية الذين كانوا فى قاعة البون ووقش بنى مطر وسناع، وحكم الإمام بتكفيرهم إن لم يتركوا مبتدعاتهم فرجع إليه من رجع منهم. وقال قصيدة منها:

لستُ ابن حمزة إن تركت جماعةً   يتجمعون بقاعة للمنكر

فلأُوردنَّ البيض فى أعناقهم   وسنابك الخيل الجياد الضمَّر

وفيها جهز الإمام أخاه يحيى إلى المهجم بتهام.

وفى سنة خمسٍ وستمائة للهجرة وصل كتاب من الشهاب الجزرى إلى الإمام يطلب منه الإذن له بالوصول إليه ووافى الإمام فى حلملم من الأشمور.

الأمير يحيى بن أحمد

وفى صفر سنة ست وستمائة للهجرة توفى بهجرة قطابر خولان صعدة من أعظم أعوان الإمام الأمير الشهير الكبير الحافظ شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن الناصر أحمد بن الإمام الهادى يحيى بن الحسين عن تسع وسبعين سنة قال ناظم ذلك:

ألا أن شمس الدين يحيى بن أحمد   تقضت لياليه عقيب المحرم

لست مئين قد تقضت عديدُها   وست سنينٍ بعد ذلك فاعلم

وعاش من الدينا ثمانين حجةً سوى حجة والمرءُ غيرُ مُسَلَمّ

وقد كان شيخ آل الرسول وإمام فروعهم والأصول، ولما فيه من الفضائل قال فيه القائل:

يحيى بن أحمد لولا أن والده محمداً خاتم الأنبياء كان بني

وفيه يقول الإمام عبدالله بن حمزة:

أخو العلم شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى حميد الفضل شيخ الفواطم.

ورثاه بقصيدة منه:

عهدنا مغيب الشمس فى الغرب دائماً فغابت ضُحى شامية فى قطابر

. . الخ.

وقصيدة أخرى منها:

فلو كان يُفدى بالنفيس فديته بنفسى وما أحوى من المال والوفر

. . إلخ.

وفضائله لا يُطاق لها حصر ولا يحويها سفر.

وفى سنة ثمان وستمائة للهجرة سار الأمير الحسن بن حمزة والأمير يحيى بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى وغيرهم إلى المهجم والمحالب بتهامة، فكانت بينهم وبين عسكر الغز ملحمة قُتل فيها الأمير يحيى وجُرح الأمير الحسن وحُملا إلى هجرة الحموس بحاشد حيث دفن الأمير يحيى. ورثاه الإمام بقصدة منها:

أمَرّ الوجد ما أجرى الدموعا واضلع من فضاضته الضليعا

أيحيى ليت عَيْنَك أبصرتنا لفقدك ليس عن ذل خضوعاً

فقدنا منك بحر جدىً وعلمٍ وليث شجاعة وندىً ربيعا

. . الخ.

هلاك سنقر والجزرى ووردسار

فى سنة ثمان وستمائة للهجرة نهض سُنقر إلى صنعاء وخرج إلى بنى شهاب وثلا وأحزب من فيها وحصلت المراسلة بينه وبين الإمام على صُلح سنتين وسار سنقر إلى تهامة ثم تعز فمات بها. واستقل بعده بالملك «الناصر أيوب بن طغتكين بن أيوب» على صِغره، وكان القائم بأمره أستاذه غازى بن جبريل فساءَ ظنٌّ الناصر بوجوه دولة الغز فقتل أكثرهم بالسُم وطلب وردسار من صنعاء فاشترط تسليم الشهاب الجزرى إليه ليقتله فسلمه إليه فقتله خنقًا.

وفى سنة تسع وستمائة للهجرة سار الناصر وردسار من المهجم إلى طريق حجه وعادا إلى زبيد فسقى الناصر وردسار سُماً خفيه فهلك وقد طالت ولايته على صنعاء وفى سنة عشر وستمائة للهجرة أنكر السيد محمد بن منصور بن المفضل بن الحجاج تكفير المنصور للمطرفية أهل وقش وقام معهم وخرج على الإمام المنصور. وهو الملقب بالمشرقي.

هلاك أيوب ثم وزيره

وفى سنه إحدى عشر وستمائة للهجرة طلع أيوب بن طغتكين ووزيره غاز بن جبريل لمحاربة الإمام فمرض أيوب ومات بصنعاء وعمره خمس عشرة سنة. ويُقال إن وزيره سمَّه وانتهب المماليك جميع ما فى داره حتى نزعوا الفراش من تحته وسقط إلى الأرض، وجمع غازى الأمراء وفرق فيهم الأموال التى أخذها قبل موت أيوب واستحلفهم لنفسه وتلقب بالظافر، ورجع إلى اليمن الأسفل وسار إلى الشِعب ثم إلى نقيل قيضان فاجتمع القبائل وانتهبوا أمواله، ولما وصل إلى السحول قتل ثلاثة من أهلها فثبتوا أعلى الوادى وانتهبوا بقية ما معه من الخيل والسلاح وهتكوا النساء وقطعوا آذانهن للحلية وأخذوا على إحدى نساء وردسار ما قيمته أربعون ألف دينار ذهباً، ثم قتلوه فى مدينة أب تقربًا منهم إلى أم أيوب.

دخول الإمام صنعاء

بعد قتل غازى بن جبريل اضطرب أمر الغز باليمن وبعث الإمام أخويه يحيى والحسن وغيرهما بجنود القتال بقية الغز ومال أكثر أهل صنعاء إلى الإمام وأدخلوا أصحابه صنعاء فارتفع الغز إلى حصن براش وقبض أصحاب الإمام على بقية مماليك وردسار وغيرهم وأرسلوهم إلى الإمام بظفارة. ثم دخل الإمام صنعاء فى ثالث ربيع الأول سنة إحدى عشر وستمائة للهجرة فاستقر فى الدار السلطانية ووصل إليه الأشراف والأمراء يهنئونه ثم استخلف على صنعاء وسار إلى ذمار فالتجأ الغز إلى هران ودار خولان ثم طلبوا الأمان من الإمام فأمنهم.

تنكيل الإمام بالمطرفين ورسالة ابن النسّاخ

ثم رجع الإمام من ذمار إلى صنعاء وأخرب مساجد المطرفية بسناع ودروهم ومساجدهم بوقش وغيرها، وسار أهلها إلى بلاد آنس وخولان وذهبوا كل مذهب، مع أنهم زيدية يقولون بإمامته وافترقت الزيدية فرقتين: المخترعة ومنهم الإمام يقولون إن الله يخلق كل شئ بجزئياته ويخترعه ببنت القصة والسنبلة ويخلق كل فرد فرداً. والمطرفية نسبة إلى مطرف بن الشهابى يقولون بالعناصر وأن الله خلق فيها الأسباب ووكلها إليها وإلى خواصها، ولقولهم وجه لا يبلغ إلى حد التكفير وخراب الدور والمساجد واستباحة دمائهم لاسيما وهم لم يحاربوا الإمام، وإنما اعتقدوا عقيدة هداهم إليها تفكيرهم وصمموا عليها فلو استفاد منهم ومن فكرتهم الإمام فلربما نشأت فوائد طبيعية من خواصات الأشياء. ويقال إن فى كتبهم ما يدل على كفرهم بكذا كذا آية من القرآن. والله أعلم ويتأولون الآيات فى إسناد خلق الجزئيات لله أنه مجاز لأنه خالق السبب وهى العناصر الطبيعية. ويقولون إن العالم يَحيل ويستحيل بالطبع، وأن الله مكن الإنسأن من العناصر وخواصات الأشياء الطبيعية ليخلق الجزئيات باختياره من الإنبات والولادة والإختراع. . ومما أنشأ منهم الفقيه البليغ حسن بن محمد بن النساخ المُطرفى اليمنى رسالته المشهورة نثراً ونظماً إلى ملك بغداد أحمد الناصر

العباسى يحثه على إرسال عسكره إلى اليمن وهى:

السلام عليكِ أيـها المعالم المقـدسة بالأكيـاس، المطهرة من الأدناس، المحـلاة بأفضل لباس، المنتـخبـة لخلفاء بنى العبـاس، المتأرج عـرفها ونشـرها، والسائر مع الأمـثال ذكرها، وطن العزة الرضية، ومغرس الشجرة النبوية،

ومغنى أمير المؤمنين وداره وفيها عماد الملك قر قراره

تخيرها المنصور قدمًا فحلها وأوطنها من طاب حقاً نجاره

هى الروضة الغناء والربوة التى تخيرها قدمًا فطاب خياره

عقوة العز والتحصين، والحـرم المحرم الأمين، مسقط رأس الخلفاء الراشدين، والربوة ذات القرار المعين، وعند استلامك للباب الأعظم، والمعاينة لذلك الحرم المحرم، تقبّل مواضع القدم، وتعفر خدك بالسجود للواحد المعبود، حين بلّغك المرام، باستهلال بدر التمام، ملك الإسلام، جـمال الدنيا والدين، واسطة عقد الهاشمـيين، أحمد الناصر للدين، أمير المؤمنين،

فيكتحلُ الطرفُ المحاسن كلها ويرتاح إذ نال المُنى والأمانيا

خليفة أزكى العالمين أرومةً ومن لم يدع للعدل ضداً مناويا

تشعشع نور الأفق من نور عدله فيُخجل فى الأفق الهلال اليمانيا

وبعد ذلك تحضـه على الاستعداد لإطفاء نار تأججت باليـمن، أذكى وقودها قائم من بنى الحسن، تمالىء أهل اليمن على نصرته، وسارعوا إلى جمـاعته وجمعته، وعقدوا له الألوية والبنود. وأطاعوا أمـره كطاعة المعبـود، وحشروا له الرعيـة والجنود، ولقد قدر علينا واستظهر، فعند ذلك اصدع بما تؤمر، فقد أعذر من أنذر،

وقبّل ثرى أرض الخليفة واسجد وسلم سلام العارض المتردد

وسائل بنى عم النبى محمد وأنشد بملء الشدق فيهم وغرد

أما بلغتكم دعوة المتهجد وإيعاده فيكم يروح ويغتدى

يُسائل بنى عمه الأخيار، من أهل البادية والقرار، فى إعارة يوم من الأعمار، ليبتك منكم الأوتار، ويغنم منكم بالثار، وعند استيلائه على المحرمين، والتقاء أولاد البطنين، ينهض إلى الشام والعراقين، وعيد لا يفند واعده، ومنهل لا يصدر عنه وارده، هى والله إحدى الكبَر، التى لا تُبقى ولا تذر، وأين منه المفر، ولا ملجأ ولا وزر. شعرًا:

ويجرى إليكم بالمغاوير ضمراً دلاص الدروع السابرى ثيابها

ببيض مواض لا تفل غروبها وسمر دقاق يطردن كعابها

ويم نرى أيام صفين دونه بمعترك ما إن يطير عقابها

اللهم إلا أن تنهضوا إليه جيلاً بعد جيل، ورعيلا فى إثر رعيل، وتُعِدُّوا للجلاد، السواعد الشداد، والسيوف الحداد، فعسى أن تحمى بحماها بغداد، وكوفان وخراسان، وتملك ما سواها من البلدان، هيهات من ذلك هيهات، لإدراك ما فات، وقد هيأ لضرب الدينار والدرهم دارين وملأ بهيبته ومملكته كل قلب وعين،

وساعده المقدور حتى جرت له بما يشتهى أفلاكها ونجومها

ونادى أنا ابن المصطفى وابن عمه على أنا ترب العلى ونديمها

أما أحمد جدى وحيدر والدى وأنى للعلياء حقا أقيمها

يستنزل العصم، ويزلزل الشم، أحلى من العسل، وأمضى من البيض والأسل، وقد بلغت دعوته جيلان وديلمان وطنجة وأصفهان فماذا، يسد اشتهاره بالقيام تنتظرون، كأنى والله بما أمله فيكم يكون،

وتصهل فى أكناف دجلة خيله وتُضْرَبُ فوق الشط منها مضاربهَ

ويُمسى قضيب الملك ملكًا لكفه وخاتمه فى خنصر هو صاحبه

ويدخل بغداد فيقتل أهلها ... ويغنى بسلب الملك من هو سالبه

ويطلع فوق المنبر الأسمر الذى ... خليفتنا للأمر والنهى راكبه

مقالة حق إن وفيتم رأيتمُ ... بداركمُ ما الكف بالطرق كاتبه

ومن لم يخف من غائلات عدوه ... فرت نحره أنيابه ومخالبه

ومن جعل التفريط والعجز دأبه ... وجانب رأى الحزم أعيت مطالبه

على مَلِك الإسلام ألف تحية ... إذا بلغتنا خيله وكتائبه

ومع الرسالة هذه القصيدة:

لمنشى الخلق ذى الملكوت حمدى ... ثياب الحمد أفضل ما تردى

حملت على البريد بسعد جدى ... نظامًا ناظماً تبديد عقدى

يروح إلى خراسان ومصر ... وبغداد وكوفان بقصْدِ

ينادى فى دمشق بفرد صوت ... فيسمع كل فلاّح وجندى

ق . وافيها أزمتها بكفى ... سأرسلها بخدمتها تؤدى

إلى حرم الخلافة مُنتهاها ... لتلثم أرضها بثناء حمد

تخصكم رسالة ذى وداد ... يحثكم بحزمٍ بعد رشدِ

سأنتزع القوافى من فؤادى ... شباها يستطير بأرض نجد

لها غرب شباه تشيب منه ... نواصى القوم من قرب وبعد

نيام يا بنى العباس أنتم ... وملكُكم المعظم فى تردى

أراكم غافلين وسوف عنها ... يباعدكم بحد أى حد

ويرميكم ببغداد بجيش ... أجش معقبًا برقًا برعد

ينادى بالثارات بفخٍ وباخَمْراً ووقعة يوم مهدى
ويد عو ابن إدريس ويحيى وعبد الله ابن أبي وجدي
أأنسى قتلكم لهم جميعاً معاذ الله أفردت وحدى
بأحشائى عليكم نار وجد تثير عليكمُ مكنون حقدى
علينا أن ننبئكم ونبدى بأن المرءَ همتُه التعدى
إمام هاشمى فاطمى معيد للنضال لكم ومُبدى
أشار إلى الخلافة فانتضاها ولكن لا تملاها بخلد
وسيماء الملوك عليه بادٍ بعيد صيته يعطى ويجدى
فصيحٌ لفظه عذب فرات يفض به صلابة كل صلد
يقود قبائل اليمن اللواتى تزوركم مكفرة بسرد
بكندة والذرى همدان يأتى ومذحج أسد حرب أى أسُد
وحيِّي حاشد وبكيل منهم وعنس والأولى من آل سعد
وسنحان وخولان ونهم وجنب والسّكون وحى نهد
وقومُ من بنى الملطوم شرس يحاكى بأسهم عمرو بن معدى
قبائل دعوة الداعى أجابوا وودوه وقد جاءوا بإد
كتائبه إليكم ذا لغاتُ بأرماح مثقفة وجُرْدِ
تشعشع ضوء نور بنى على سيطفئ نوركم من غير بدِ
ويترككم له خولاً عبيداً اذا ما قاد جنداً بعد جندِ
وينقم منكم بالثأر قدما يصار فكم به نقداً بنقد

وظنى أن داركم ستضحى ... ولا عهدا لها أبدا بفردِ

إذا لم تنهضوا بالخيل شعثًا ... نواصيها عليها كل صلدِ

من الأتراك أهل البأس حقًا ... يقودهم شريف من معدِ

إذا أبطأتم إبطاء فند ... ولم تجروا إليه بكل نهدِ

أصبتم قول ليت يجر ضيماً ... وما ليت مع التفريط تجدي

لكم إرث الخلافة من أبيكم ... لأنكم أولو رشد ومجدِ

وقد أقامت هذه الرسالة خليفة بغداد وأقعدته. وروى صاحب المستطاب فى تراجم الزيدية الأطياب أن ابن النساخ اعتذر للإمام المنصور بعد إرسالها وامتدحه بشعر بليغ.

ولاشك أن انقسام الزيدية إلى مخترعة ومُطرفية أضعفهم وأن مطرف بن هشام الشهابى كان علامة كبيراً وفيلسوفًا قديراً، ولذا تابعه كثيرون من العلماء والأدباء ولو عاش فى العصور المتأخرة لكان له شأن. وقد استمروا أيام المتوكل أحمد بن سليمان والمنصور عبدالله بن حمزه ثم فترة بعده، ثم اضمحلوا مع كتبهم ومساجدهم ومدارسهم ودورهم، وتغلبت عليهم المخترعة بقسوة الذين يقولون إن الله يخترع الجزئيات كالعناصر، وأن القول بعدم اختراع الله للجزئيات كفر بكذا كذا آية من القرآن، والمطرفية يقولون إن الله خلق العناصر ثم وكَّل إليها الجزئيات وإلى الإنسان. ولو اطلعنا على شئ من كتبهم لوضحت الحقيقة. وترجم فى (المستطاب) لعلماء من المطرفية ونُسب إليهم القول بأن الحوادث اليومية كالنباتات والمولودات والموت والآلام ونحوها حادثة من الطبائع فى الأجسام، ولا تأثير للصانع القديم فيها أصلاً. وكان شيخهم مُطرف بن شهاب الشهابى العبادى علامة كبيراً زاهداً يلبس مدرعة صوف شيعيًا ترجم له مسلم اللحجى الزيدى المطرفى وملأ بفضائله الأوراق وأعظم مشائخه العلامة على بن حرب الزيدى أخذ العقيدة عنه. وأكثر المخترعة لا يُكفِّرون المطرفية لعدم تكفيرهم باللازم، والمكفرون باللازم هم الأقل القليل من المخترعة كالمنصور وخالفه آل الوزير ويحيى وحمزة والمهدى أحمد بن يحيى، والأغلبية الساحقة لأنهم

ملتزمون بالإسلام فى كل شئ.

رسالة الإمام إلى خليفة بغداد

كتب الإمام المنصور رسالة إلى خليفة بغداد الناصر أحمد بن المستنصر العباسى ومعها هذه القصيدة :

يا أهل بغداد إني سائِلكُم — عن ملة الدين اذ غيرتمُ فيها

أنتم عيون بنى الأيام قاطبةً — فى النائبات ولكن القذا فيها

قد اشتملتم على عمياء مظلمة — لا يهتدى بنجوم الحق هاديها

إن الخلافة أمر هائل خطر — صعب مسالكها صعب مراقيها

لو كان ما أنتم فيه على سنن — قام المريض إلى المرضى يداويها

أيلزم الحد محدود بحكم إلاه الناس أم يرشد الضُلاَّل مغويها

جعلتم حجة الدعوى مطهمة — جرداً ومطرودة تصمى نواحيها

إن الخليفة من يهدى بسنته — حتي تضيء به الظلما لساريها

ويقتفى سنة المختار معتمداً — حتى يضم إلى الأدنى قواصيها

ولا يميلُ إلى لهو ولا لعب — إلا بسمر العوالى فى مجاريها

يجرى الشريعة مجراها الذى وضعت — عليه حتى يحل الدار بانيها

خليفة الله ترضى الله سيرته — وتطهر الأرض طراً من مخازيها

القوم منا ولكن أين فاطمة — وزوجها وسليلاها وواليها

وأين سيرتنا المشهور طهرتها — باسم المهيمن مجريها ومرسيها

نقفو بها جدنا المختار لا عوج | فيها ولا أمت يلقى فى معانيها

لا نعرف الخمر إلا حين نهرقها | ولا الفواحش إلا حين ننفيها

إن الخلافة حكم الله فانتظروا | حكم المهيمن فيها فهو معطيها

أيستقل بها من لا تقوم له | شهادة فى حقير إذ يؤديها؟

وكم فتى سملت عيناه قام بها | وبكتتأذن ثان فى تعاطيها

أى الإمامين أولى بالقيام بها | يا قوم أولها أم ذاك ثانيها

نعوذ بالله من قول تقوم له | سوق من الخزى لا تخبى نواديها

أنا ابن أحمد إن فتشت عن نسبى | القائد الخيل منكويًا حوافيها

المانع النفس ما تهواه من عرض | عمداً لتسمو وتعلو عن مساميها

وسائل عن فنون العلم ملتهف | همى عليه بماء العلم هاميها

وطالب جاء والآفاق قاتمة | غبراء نال أموراً وهو راجيها

من ذا يكون كآل الطهر فاطمة | من ذا يقارنها أم من يساويها

خلافةُ الله دينُ الله فانتقدوا | ربَّ السرير ليعطى القوس باريها

يا أهل بغداد خافوا الله إن له | بأسا يحس القرى جمعاً وما فيها

فارعوا حقوق رسول الله والتزموا | بعروة لا يخاف الفصم راعيها

وراقبوا الله فى سر وفى علن | فنحن مهديها منا وهاديها

ونحن فى غمرات الشك فلك هدىً | تنجى وتهلك عند الموج قاليها

نحمى حمى الدين بالجرد العتاق والبيض الرفاق رؤس الضد نغشيها

وكم فتى يلتقى الابطال مبتسماً | منا ويطعنها شزراً ويرديها

يحميه منصبه الزاكى الفرار إذا　　　دقت من السمر فى الأحشا عواليها

إن الحجاب لربات الحجاب فلا　　　تقبل لنفسك تلبيساً فتصميها

إن الإمام الذى يبدو لطالبه　　　كالشمس لا يستطيع الغيم يخفيها

إذا دجت ظلمات الخطب قام لها　　　مشمراً فتجلى إذ يجليها

صخم الدسيعة محمود الشريعة لا　　　يرضى لنحلته كبراً يدانيها

وفى سنة إحدى عشرة وستمائة للهجرة أغار الأمير سلمان بن موسى عامل الإمام على بلاد ذمار إلى لحج وأبين وعدن فحصلت حروب بينه وبين نائب الغز ظغتكين بن محمد الملقب بالمجنون.

وصول المسعود الأيوبى

وفى سنة اثنتي عشرة وستمائة للهجرة وصل الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل محمد الأيوبى المصرى إلى زبيد عاملاً لأبيه على اليمن وهو فى سن البلوغ ومعه أتابكه جمال الدين، وبعد وصول خزائنه من البحر نهض إلى تعز، ثم جمع أتابكُه الجيوش الجرارة ونهض إلى ذمار فوفدت إليه الوفود من كل جهة ومنهم رؤساء سنحان بيت الهرش وبنى شهاب ثم توجه إلى صنعاء فخرج الإمام إلى بيت أنعم ثم كوكبان فدخل المسعود صنعاء فى ربيع الثانى سنة اثنتي عشرة وستمائة للهجرة بستمائة فارس وغيرهم، ثم تقدم إلى بيت أنعم وشبام فحاربه من فيها ووقعت المراسلة بينه وبين الإمام فى الصُلح فتقرر لمدة ستة عشر شهراً وأطلق الأسارى والإمام أطلق محمود العجمى وعاد الأتابك تعز بعد أن استخلف على صنعاء وفى سنة ثلاث عشرة وستمائة للهجرة خالف أهل سنحان على الغز وعسكروا فى جبل كنن، وقطعوا طريق اليمن الأسفل وطلبوا المدد من الإمام فأمدهم بابنه محمد بن المنصور، فحاربوا الغز بقيادته.

استشهاد أمير حضرموت

فى سنة ثلاث عشرة وستمائة للهجرة قُتل السلطان عبدالله بن أبى قحطان الحميرى صاحب حضرموت عن ستين سنة من مولده، وكان أميراً عادلاً نبيهًا له مشاركة فى علم الحديث، وصحب جماعةً من أهل العلم والزهد، وسالمته الأيام أعوام إمارته فكان عصره أحسن العصور بحضرموت وكان يقول: فى بلادى ثلاث خصال افتخر بها على السلاطين: لايوجد فيها خراج ولا سارق ولا محتاج. ثم ترك الإمارة فى آخر عمره، ومال إلى الطاعة فعوتب على ترك الإمارة فقال: لم أجد من يوالينى على الحق. وخرج ليُصلح بين قبيلتين فقُتل ظلماً. وهو الذى سار إليه الشيخ نشوان بن سعيد الحميرى.

وفاة الإمام المنصور

فى ذى الحجة سنة ثلاث عشرة وستمائة للهجرة خرج الإمام من ظفار يريد كوكبان ولما وصل إلى قاع البون ابتدأه المرض فسار واشتد به المرض فى كوكبان وهو يصبر ويتجلد ويقوم بأمور الناس حتى توفى بكوكبان يوم الخميس الثانى عشر من محرم سنة أربع عشرة وستمائة للهجرة عن اثنتين وخمسين سنةً وثمانية أشهر من مولده وعن تسع وعشرين سنة من دعوته، ودفن بكوكبان، ثم نقل إلى حصن بكر ثم إلى حصن ظفار الظاهر، وقبره مشهور به. قال صاحب البسامة:

وفى ابن حمزة عبد الله قائمنا ... وخير داع دعا منا ومفتخر

جاءت بمعضلة نكداء رائعة ... وحاولت من غدا بالمُكرمات حرى

وقادت العجم من أقصى ممالكها ... إليه تركض خيل البغى والأشر

وحاصرت كوكبانا وهو ساكنه ... وصنوه فارس الهيجاء فى بكر

حتى قضى نحبه والسيف منصلت ... فى كفه ومضى فى معشر صبر

وكان للمال فى كفيه أجنحة ... فإن يقع منه شيء فيهما يطر

وشيبتا الحمد شيخانا له نصرا		وفرّقا هما في الضم للبشر

وما رعى المشرقي الندب حرمته		بعد العفيف عفيف الثوب والأزر

والمشرقي هو الأمير محمد بن منصور بن المفضل بن الحجاج . .إلخ الذى خرج على الإمام. لما اوقع بالمطرفيـة كما سبق، وهو ابن أخ الأميـر المُنتصر العفيف مـحمد بن المفضل وزير المنصور

وقلت في تحفة المسترشدين:

ثم الإمام الحافظ المشهور الحجـة العلامة المنصور، طود علوم آلال عبدالله نجل الكرام حمزة الأواه، مجدد الأحكام للقرآن، في قرنه بالعلم والسنان.

مولده في (٥٦١) في عيشانا		الجبل المعروف من همدانا

ثم دعا محتسباً في (٥٨٣)		والدعوة العظمى له في ثصج (٥٩٣)

وموته في أربع وعشر		من بعد ست مائةٍ فاستقر

بكوكبان وهو فيه مُنحصر		ونقلوه بعده إلى بكر

وعمره نج(٥٣) من الحصار		ودفنه الآخر في ظفار

صلى عليه الله من مجدد		بعلمه وسيفه المجرد

وقام شمس الدين في الجمهور		مع صنوه بدعوة المنصور

وموت شمس الدين عام (٦٠٦)		وصنوه محمد في (٦٢٤)

ودفنا بالشام في قطابر		• مهاجر الأعلام والأكابر

وكان قد قام الأمير المنتصر		من وقش وعاد فيه مصطبر

وموته كان به في فئة		في صفر من عام ستمائة

وبعده قام الامير المشرقي		من وقش في أهله وفيلق

قيامه فى أعشر والست مائة　　　بزعمه يذب عن تلك الفئة

وقد أشرنا إلى شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى وأخيه بدر الدين محمد، وإلى الوزير العفيف المنتصر محمد وأخيه الأمير المشرفى محمد بن منصور بن المفضل.

أشهر أولاد المنصور

منهم الأمير المحتسب الأديب محمد بن المنصور عبد الله المتوفى بظفار سنة ثلاث وعشرين وستمائة للهجرة والأمير أحمد بن المنصور المتوفى بصعدة سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة والأمير داوود بن المنصور المتوفى بظفار سنة تسع وثمانين وستمائة للهجرة وسيأتى لهم ذكر. ومنهم على وإبراهيم وسليمان والحسن وموسى ويحيى والقاسم أبناء المنصور، وعشر بنات كما حقق ذلك تلميذه الفقيه حميد الشهير فى الحدائق الوردية وغيره. وذريته الحمزات كثيرون فى الجوف وبلاد الشام ونجران ومأرب وغيرها ولهم تاريخ طويل.

يحى بن المحسِّن

دعوته ٦١٤هـ　　　وفاته ٦٣٦هـ

هو الإمام المعتضد يحيى بن المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبدالله بن القاسم بن الناصر أحمد بن الإمام الهادى يحيى بن الحسين. الداعى المجتبى، نجل المحسن صاحب المُقْنع الشافى لذى النظر، سلالة الصيد سادات الجبال مصابيح الليالى جمال العلم والسير. أخذ العلم بصعدة عن الفقيه سليمان بن عبدالله السفيانى ومحمد بن الحسن النجرانى والأمير على بن الحسين الحسنى وغيرهم وتبحر فى العلوم.

قال المنصور عبدالله بن حمزة إن لصاحب الترجمة علم أربعة أئمة وإن ربع علمه

شهد المنصور عبدالله لى بظفار وبصنعا وحكم

أن لى علمًا غزيراً ربعه عندنا يكفى الإمام المحترم

وكان شاعراً شجاعاً وله مؤلفات نافعة منها المُقِنْع فى أصول الفقه قال فيه:

هذا الكتاب كتاب المقنع الشافى أربى على الكتب فى مجموع أوصاف

أدلة كسيوف الهند قاطعة صقلتها بصقيل الفكرة الصافى

وما أحتذيت مثالا فيه من أحد إلا طريقة آبائى وأسلافى

وعاقه الحمام عن التمام فأكلمه الأمير محمد بن الهادى بن تاج الدين أحمد بن بدر الدين محمد بن يحيى بن يحيى المتوفى سنة عشرين وسبعمائة للهجرة.

دعوته ومجمل حوادث أعوامه

بعد وفاة الإمام عبدالله بن حمزة قام داعياً ببلاد صعدة فى صفر سنة أربع عشرة وستمائة للهجرة الإمام المعتضد بالله يحيى بن المحسن، وخرج واستنصر بقوم من بنى شريف ومن جهات عسير وغيرهم، وأعانوه بثلاثمائة فارس فتوجه إلى صعدة ووقع بينه وبين الحمزات مناوشة فسار إلى الحموس قبلى الهنوم وقاموا معه وحصل مع الحمزات معارك. وكان الأمير محمد بن المنصور عبد الله قد قام محتسباً فى جبل كتن سنحان بعد موت والده فبايعه أشراف ومشايخ سنحان حتى نهض المسعود يوسف الأيوبى فاستولى على كنن وعقد الصلح بينه وبين الأشراف.

ثعبان عظيم

فى سنة أربع عشرة وستمائة للهجرة ظهر ثعبان عظيم فى مخلاف جعفر قريب جبلة

له صوت كنباح الكلاب فأفزع الناس وانقطعوا عن أعـمالهم فالتجأوا إلى الله فانقض عليه طائر أبيض الريش أصـفر المنقار والمخـالب وجعل ينقر رأس الثعـبان وهو ينفخ فيخرج من فيه مثل لهب النار يحرق ما قابله فيرتفع الطائر حتى ينقضى نفس الثعبان وما زالا يعتركان حتى ضعف الثـعبان واضطرب فأمسكه الطائر حتى هلك، ثم ذهب الطائر وحفـر أهل القرية حـفرة عظيـمة وألقوا الثـعبان فـيهـا. ذكر هذا الأهدل فى تاريخه.

وذكر المؤرخ الجندى أن رجلاً من ذى أشـرق خرج إلى محتطب ملتف الشـجر فوثب عليه ثعبان عظيم فالتقمه وجره إلى حجره ولم يقدر الناس على تخليصه.

وفى سنة خمس عـشرة وستـمائة للهـجرة جرى بين يحـيى بن المحسّن ومحـمد بن المنصور حروب كما قال فى البسامة:

وأضرمت بين داعينا وصاحبه محمد نار حرب جزلة الشرر

جدت ظفار وحوث فى عداوته وقام فيها أبو فتح مع العذرى

وكتب الإمام يحيى إلى الأميرالمؤيد أحمد بن القاسم قصيدة منها:

أترضى بهدم الدين يا نسل قاسم وكشف حريم جدهن محمد

وما كان إلا نشر أيمن دعوة ومالوا إلى الشتوى جهلاً وقلدوا

هُمُ حسدونا إرثنا من جدودنا ضلالاً وأرباب الرياسة تُحْسدُ

ومن شعره:

أنا كنز الله فى الأرض وما قلت فى دعواى هذا كذبا

وأمين الله فى الخلق فهل بعد هذا أبتغى لى مكسباً

وإذا صَدَّتْ معدٌ لم نلم أن دعونا للعلى ابنا سبا

حمير الشم وكهلان الأولى كرموا فرعاً وطابوا منصبا

ومن قصيدة إلى بعض أقاربه

وفى مكة قام الخطيب لجدنا ... وأدت عمان خرجها وهى تسأم

وكان لكم سبعون حصناً مشيدة ... ذمرمر منها دونه الطير حوم

ومنها ذخارمع ثلا وشهارة ... ومسور منها بالسحاب معمم

وفى بكرقد كان منكم عصابة ... لهم دون أسباب السماوات سلم

فما بالنا يا آل يحيى وقاسم ... نُهان ونرمى بالصَّغار ونهضم

وفى سنة ست عشرة وستمائة للهجرة وقع الصلح بين الحمزات والملك المسعود، واستولت الغز على حرض.

وفى سنة ثمان عشرة وستمائة للهجرة شرى المسعود حصن بكر ببلاد كوكبان من الأشراف بعشرة آلاف دينار.

ابتداء تولى نور الدين الرسولى

وفى سنة تسع عشرة وستمائة للهجرة سار المسعود إلى مصر وأناب باليمن الأمير نور الدين عمر بن على بن رسول.

مرغم الصوفى

وفى سنة تسع عشرة وستمائة للهجرة ثار بحقل يريم مرغم الصوفى زعم أنه داع إلى إمام، وأنه منصور حمير الذى يخرج كنوزهم ويناصر المهدى الذى يخرج آخرالزمان فأطاعه قبائل جنب وعنس، فسار إليه نور الدين فهزمه ثم اضحمل. وفيها وجد فى مدينة سبار بحراز حجراً مكتوب عليها ما معناه: طلبنا البرَّ بالدُّرِّ فما وجدناه. وقيل إنه كان بهذه المدينة ثلاثمائة بئر على كل بئر حجر مكتوب عليها: لا إله إلا الله موسى كليم الله.

معركة بين محمد بن المنصور وبنى رسول ثم وفاته

فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة للهجرة نهض الأمير المحتسب محمد بن المنصور عبدالله وإخوته إلى صنعاء بسبعمائة فارس وألفى راجل وكان بصنعاء جماعة من أصحاب الأمير الحسن بن على بن رسول، وأقبل الحسن من ذمار وأخوه عمر بن على فدخلا صنعاء والحرب قائمة بعصر، فتقدما بخيلهما وجيشهما وحملوا حملة رجل واحد فانهزم الأشراف وقتل منهم نحو ألف، فساروا إلى ثلا ثم سار المحتسب محمد إلى حوث فمات به فى سابع ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة للهجرة عن ثلاث وثلاثين سنة من مولده ببراقش، ونُقل إلى ظفار فدفن به وهو شاعر بليغ وله سيرة وقال فى مرضه:

لعمرى لأنه ضاقت بنفسى فرائص　　لعفو الذى سوى السموات واسع

جزعت وأعيتنى ذنوب لمثلها　　يراع أخو العلم اللبيب ويفزع

وكيف اعتذارى يوم ألقى صحيفتى　　مضمنة ما كنت بالأمس اصنع

حنانيك رب الناس من أن تصيبنى　　بدينى وهل إلا إلى الله أفزع

وله :

هل لعين تأبى الكرى من هجوع　　أو لهم ملازم من نزوع

ولقلب للدهر فيه صدوع　　وكلام يدمين كل صدوع

وليالى عرقن جسمى فغاوين سجودى مطابقاً لركوعى

ونفين الرقاد عنى فأمسيت وبالنيرات أرعى ربوعى

من لنفس أليمة فى رضى الله أميتت فزايلت ممنوعى

ستر الله ذو الجلال عليها　　أى ستر يعطى وأى منيع

إن أكن واثقا بها فى رضى الله فمن لى بقلب سوء جزوع

هذه من عطية الله أعطانى وذو الفضل ذو عطاء وسيع

وفاة بدر الدين بقطابر

فى نصف رجب سنة أربع وعشرين وستمائة للهجرة توفى بهجرة قطابر بجهات صعدة الأمير العلامة الكبير بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى . . إلخ. عن خمس وثمانين سنة وهو من مشائخ الإمام عبدالله بن حمزة. وأخذ عنه أيضاً ابنه العلامة الأمير الحسين بن محمد صاحب «شفاء الأوام» وغيرهما كثير، وكان المنصور عبد الله قد حاول قبل دعوته قيامه أوصنوه الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بأمر الإمامة فامتنعا وبايعاه.

وفيها عاد الملك المسعود من مصر إلى اليمن فحبس بتعز أبا بكر بن على بن رسول وأخاه موسى بن على ونهض إلى بلد بنى سيف ببلاد يريم فأخربه لقيامهم مع مرغم الصونى وفى سنة خمس وعشرين وستمائة للهجرة تجهز الملك المسعود إلى مصر بما جمعه من أموال ذهب وفضة وجواهر وغلمان وجوارٍ واستخلف باليمن السلطان عمر بن على بن رسول ومات المسعود بمكة.

ابتداء دولة بني رسول

وفى سنة ثمان وعشرين وستمائة للهجرة استقل السلطان عمر بن على بن رسول محمد بن هارون بن أبى الفتح من ذرية جبلة بن الأيهم الغسانى وولى من يعتمده وعزل من يخافه ونهض من زبيد إلى تعز وأقطع ابن أخيه الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن على صنعاء وبلادها، وفى رمضان نهض السلطان إلى صنعاء فصالح الحمزات على يد آل حاتم وخلع عليهم الخلع العظيمة وحباهم بالمال الجزيل وأقرهم على بلادهم واستلم حصن براش صنعاء من أحمد بن زكريا نائب المسعود الأيوبى وأحسن إليه وزوجه بأخته وأعلن خلع بنى أيوب وتلقب بالملك المنصور وكاتب

الخليفة العباسى فجعل له مُلك اليمن وحارب عمال بنى أيوب على مكة.

وفى سنة تسع وعشرين وستمائة للهجرة نهض السلطان عمر إلى اليمن الأعلى فتسلم كوكبان وبكر وغيرهما وجهز جيشاً إلى مكة مع الشريف راجح بن قتادة الحسينى وابن عبدان فنزلوا بالأبطح وحصروا أمير مكة الذى قبل الملك الكامل الأيوبى فخرج إلى ينبع فجهز الملك الكامل جيشاً كثيفاً. فى سنة ثلاثين وستمائة للهجرة ضرب السلطان عمر نور الدين السكة باسمه، وأمر بأن يخطب له على منابر اليمن.

وفى سنة أربع وثلاثين وستمائة للهجرة سار الأمير محمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان إلى زبيد فأكرمه السلطان وأقطعه المحالب، فلما رجع أطمعته نفسه فأخذ كوكبان وأخذ والده يحيى من حمزة حصن منابر فوق تهامة فغضب السلطان فجهز العساكر وأنفق الخزائن والذخائر، فكانت تصب أكياس الدراهم بين يديه كما يصب الطعام، وجعل على مقدمته الأمير أحمد بن زكريا صهره فى ستين ألف راجل فأخذ حصن منابر وغيره وحصون حجة والمخلافة، فخاف الأمير محمد بن يحيى، وبعد رجوع السلطان إلى تهامة راسله الأمير يحيى بن حمزة وأولاده واعتذروا فقبل عذرهم وأرجع لهم حصون حجة والمخلافة.

وفاة يحيى بن المحسّن ويحيى بن حمزة

فى رجب سنة ست وثلاثين وستمائة للهجرة توفى بهجرة ساقين الإمام يحيى بن المحسّن من سادات الجبال. قال ابن مظفر فى الترجمان: سادات الجبال آل يحيى بن يحيى سادات السادات وقادات القادات وبحور العلم، ومن ذريته آل الداعى بجهات صعدة وآل الشامى بجهات صنعاء وخولان وخبان وآل الأخفش.

وفيها مات بكحلان تاج الدين الأمير الكبير يحيى بن حمزة بن سليمان أخو الإمام المنصور وإليه ينسب السادة بيت الأمير وغيرهم.

عبرة موقظة

فى الخامس والعشرين من رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة للهجرة كانت آية عظيمة وهى أن بنى منبه وبنى معين من جهات رازح التقوا للقتال فأصيب رجل من بنى معين يُسمى مسعود بن على بسهم فَحُمل فمات فى الطريق فلما وصلوا به إلى بيته ميتاً وضعوه ليحفروا له فخرج إليهم أخوه وقال: ادخلوا لتنظروا الميت. فإذا هو قد صار كقطعة من جبل وقد تلع لسانه واسود وجهه، فهدموا جانب البيت وألقوه فى حفرة كبيرة جداً، فلم يلبث أن بدت رجله من الحفرة فأزالت جميع ما وضعوه عليه من التراب والأحجار والأخشاب وسمعوا صراخاً أربعة أيام، ثم انقطع ففتحوا جانباً من الحفرة فلم يجدوه فيها، وقد اسودْت جوانبها نعوذ بالله من عذاب القبر والنار، ونسأله التوفيق وحسن الخاتمة قال صاحب أبناء الزمن وفى هذا دليل على وقوع عذاب القبر كما وردت به الأحاديث ومثلها قصة محلّم بن جثامة فى السيرة النبوية.

أحمد بن الحسين الشهيد

مولده ٦١٢هـ دعوته ٦٤٦هـ استشهاده ٦٥٦هـ

الإمام الأعظم الشهيد المهدى أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم بن عبد الله بن القاسم بن أحمد بن أبى البركات إسماعيل بن أحمد بن القاسم بن أحمد بن محمد بن الإمام القاسم الرسى بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، المقبور بذيبين، مولده بهجرة كومة الظاهر فى ذى القعدة سنة اثنتي عشرة وستمائة للهجرة، وأخذ عن الشيخ أحمد بن محمد الرصاص الحوثى والشيخ أبى الحسن الكنانى والفقيه قاسم بن أحمد الشاكرى والفقيه صالح بن أحمد عريق والفقيه أحمد بن محمد الأكوع وغيرهم حتى صار من محدثى الزيدية وأكابر أعلامهم وكرمائهم وانتشر فضله ومن أجل تلامذته القاضى محمد بن أحمد أبى

الرجال، والفقيه أحمد بن نسر العنسى وغيرهما، وله رسائل عديدة وأبحاث مفيدة، وترجمه الشيخ على بن حسن الخزرجى الشافعى المؤرخ بالقرن التاسع فى كتابه (طراز أعلام الزمن فى طبقات أعلام اليمن) فقال : «كان إماماً فاضلاً كاملاً سيداً، حسن السيرة، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، حليماً كريماً جواداً، أمثل الأئمة الزيدية فى عصره، أجابته بعد دعوته كافة الشيعة وعلماء الزيدية، ومدحه عدة من الشعراء بجملة من القصائد الطنانة. . »إلخ.

وكان لطيف الشمائل شديد الشكيمة سريع النهضة عالى الهمة كثير العبادة والصلوات واتسعت رقعة نفوذه فى أقرب وقت ولكنه ابتلى بالحمزات من أول دعوته إلى استشهاده. وله فى الجود والكرم أحاديث تهتز لها القلوب وترتاح لسماعها الأرواح حتى قيل إنه كان يحثو المال حثواً وأنه حصر ما وهب من الخيل فبلغت ألفاً وستمائة وسبعين فرساً، وأنه أعطى ابن هتيمل الشاعر التهامى من الدراهم والخيل والثياب ما قيمته مع الدراهم نحو عشرة آلاف. وله سيرة خاصة جمعها السيد شرف الدين يحيى بن قاسم بن يحيى بن حمزة بن أبى هاشم الحسنى المعاصر له، وفيها وفى «اللألى المضيئة» و«أبناء الزمن» و«العقود اللؤلؤية» و«قرة العيون» ما خلاصته:

دعوته وحوادث أيامه

دعا فى صفر سنة ست وأربعين وستمائة للهجرة من ثلا بعد تمكن الدولة الرسولية من عموم اليمن فى غرة شبابها أيام الملك المنصور عمر بن على بن رسول فى اليمن الأسفل وابن أخيه الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن على فى صنعاء وأعمالها والحمزات فى البون إلى بلاد بنى شريف شمال صعدة، فبعث دعوته فى عرض البلاد وطولها فكتب إلى السادة الأعلام آل يحيى بن يحيى فى الشام، وإلى السادات الحمزات، وإلى عموم العلماء والأعيان، وإلى الملك عمر بن على بن رسول، وإلى السلطان إدريس صاحب ظفار الحبوضى على البحر الهندى، وإلى أشراف مكة، وبلاد الزيدية بالعراق وغيره فأصبح الملك الرسولى فى أمر مريج.

وفى يوم سابع دعوته جهز عساكره إلى كثير من الجهات وقد التف حوله السادة آل يحيى بن يحيى والحمزات وقبائل حمير والمغارب فكانت معركة مع بقية الباطنية حول أسوار شبام فاحتلتها عساكره فاهتزت الدولة الرسولية، وطلع السلطان عمر من تعز واجتمع بابن أخيه أسد الدين، وتقدما إلى بلاد كوكبان للتنفيس عن الحصون المحاصرة فحالت القبائل عن ذلك، وكان الأمير على الحصون للرسولى هو القاضى عمارة الأصفهاني، وقد احتل أصحاب الإمام حصن قراضة وشددوا الحصار على حصن موقر، وقتل الشريف علي بن عبدالله الحمزى ونحو خمسة وعشرين من أصحاب الإمام، ثم سلم القاضى عمارة حصين عزان وغيره، فعدل القاضى إلى الحيلة فطلب الأمان واجتماعه بالإمام، وكان قد تعذر عليه الإجتماع بالسلطان قبل الأمان، ولما اجتمع بالسلطان أشار عليه أن جميع الحصون على وشك السقوط وأن الأولى أن يعطيها لولدى الأمير يحيى بن حمزة ليوقع الخلاف بين الحمزات والإمام وأظهر للإمام الإخلاص فأذن له بالعود إلى حصن عزان. ووفد إلى الإمام الأميران محمد وعبد الله ابنا يحيى بن حمزه واستأذناه بملاقاة السلطان فأذن لهما فتمما الكلام مع السلطان فى الحصون والتزما بحرب الإمام، ثم حاصر أصحاب الإمام فى حصن الموقر، ثم وفد إلى الإمام الأمير أحمد بن المنصور وأظهر الطاعة. وتقدم السلطان على قرية حضور الشيخ فانهزم إلى قاع حوشان ثم انهزم إلى صنعاء وجهز الإمام فى إثره الأمير عبدالله بن الحسين الحمزى فى عسكر عظيم إلى سنحان وبلاد ذمار والمشارق، واستمرت الغارات من سناع على صنعاء ثلاثة أشهر وقطعت قبائل مذحج صلتها بالدولة الرسولية واضطربت عليها سائر البلاد المجاورة لصنعاء.

وفى سنة سبع وأربعين وستمائة للهجرة أرسل السلطان قوة إلى مخلاف بنى شهاب، وأرسل الإمام جنداً إلى بيت شعيب فدامت المعارك فى بلاد البستان.

وسار الأمير أحمد بن يحيى بن حمزة إلى السلطان فأعطاه حصن بكر، ثم سار السلطان إلى جهران فى طريقه إلى اليمن الأسفل فتألب عليه أهل البلاد نحو عشرة آلاف مقاتل فهزمهم وأخرب قرية عاثين آنس وسار إلى ذمار وأرجع أسد الدين إلى

صنعاء فحالفت عليه البلاد ونهض الإمام إلى بيت حبنص حول صنعاء فاجتمعت إليه القبائل من كل جهة وكانت معركة فى أرتل انتصر فيها أسد الدين وتحقق الإمام أن الحمزات يتربصون به الغوائل فأمر الأمير الحسن بن وهاس وجماعة بالوقوف فى سناع وعاد إلى ثلا لتدارك خطر الأشراف.

وقعة قارن بين أصحاب الإمام والحمزات

كان الإمام قد صارح الحمزات بما بلغه عنهم فى وقعة أرتل فانفرجوا عنه إلى بلادهم الظاهر، وعاثوا فى بلاد الإمام فنهض إلى الجنات عمران واجتمع أصحاب الحمزات وهم الظاهر وسفيان ومرهبة والصيد وبنو صريم بقيادة محمد بن أحمد بن المنصور وتقدموا إلى قرية يشيع واستدعى عبدالله بن يحيى بن حمزة بعض جنود الرسوليين، وساروا زهاء ألف وسبعمائة مقاتل إلى قرية قارن غربى البون فاستغاث أهلها بالإمام فخف لنصرتهم. وفى «قارن» اشتد القتال وانتهى بهزيمة الحمزات بعد قتل ثلاثمائة وثمانين منهم وجرح كثيرين منهم وفرار الباقين وقال ابن هتيمل قصيدة كبيرة منها:

إذا جزت الفضا ولك السلامة | فطارح بالتحية ريم رامة

وقل للوائلية هل لروحي | وما أتلفت من جسدى غرامه

حللتِ تهامة وحللتُ نجداً | وأين وأين نجد من تهامة

تكلفنى العواذل نقل طبعى | لا حباً لهن ولا كرامة

على مَ وفيم أمنح خيرعمرى | أضاليل المنى سفهاً على مه

عليك بأحزم الأمرين تسلم | فكم أمر عواقبه ندامة

ولا ترأم محل الضيم واشمخ | بأنف لا تذلله الخزامة

إلى المهدى أحمد أرقنت بى | مراق العدو تحسبها نعامة

الى من لو وزنت الخلق طراً ... بظفر منه ما بلغوا قلامة
شبيه سميه خلقاً وخلقاً ... وهدياً فى الطريقة واستقامة
تواضع عن لباس التاج زُهداً ... فصار التاج من خدم العمامة
قرنت بأهل (قارن) يوم سوء ... أرحت به الزعيم من الزعامة
خذ الحمزات بالألطاف واخفض ... جناحك للقرابة والرحامة
ولا تعمل فرب حمى أنفٍ ... يمكِّن بعد نفرته زمامه
فهم عين وأنت لها سواد ... وهم بيت وأنت له دعامة

. . إلخ.

وأورد المؤرخ الخزرجى قصيدة أخرى لابن هتيمل منها:

أغلقت فضلة قلبك المرهون ... وجهلت فاستأمنت غير أمين
قمر يعاتبنى بما يشوى به ... كبدى فيغضبنى ولا يرضينى
أزف الرحيل فضمنى بشماله ... متودعا وضممته بيمينى
فدموعه كمدامعى مرفضة ... فى خده وأنينه كأنينى
إياك والطمع الردى وأن يُرى ... أبداً قرينك فهو شرٌّ قرين
الفقر يبلى والغنى يطغى فعذ ... من فقر عيسى أوغنى قارون
الحزن بعد الحزن ليلك والسرى ... بأناقتى والبين بعد البين
من فاته نظر النبى بيثرب ... فعليه بالمهدى فى ذيبين
هذا ابن ذاك وفى أبيه وجده ... ما كان من موسى إلى هارون
هدىٌ كهدى المرسلين كأنه ... وحى من الرحمن عن جبرين

وكأن أحمد أحمد وكأنه بين الصفوف على فى صفين

وأرى النبوة بالإمامة أصبحت مقرونة كالحاجب المقرون

يهنى بنى حسن المثنى أنهم قد عوضوا المحقوق بالمظنون

رجعت خلافتهم إليهم بعدما ألقى الأمين بها إلى المأمون

ملك تقمصه ابن هند فاغتدى بعد ابن هند فى بنى ميسون

وغدت بنو العباس تزعم مثله بالفتح والفضلين والأفشين

خلعوهم بالطائر المسعود من مبديهم والطائر الميمون

بأعزِّ أعلم هاشمى قائم فى الله بالمفروض والمسنون

خذ فى علاج ذوي النهى بفظاظة فى رحمة وبقسوة فى لين

فلقلما اعتدل القنا ما لم يكن تثقيفه بالنار والتسخين

واشدد قواك بآل حمزة واعتضد بالشمس طالعة على الشاهين

واترك جيادك تغز من صنعا إلى مصر إلى حلب إلى جيرون

فعلى العراق وأهلها لك غزوة لحقت معرتها بصين الصين

ثم نهض الإمام إلى حلملم الأشمور وأقبلت إليه قبائل حمير ومسور، ثم سار إلى بلاد الظاهر فحاصر الحمزات حتى أذعنوا، واستولى الإمام على حصن ذروه المنبع القديم.

قتل السلطان الرسولي

فى ذى القعـدة سنة سبع وأربعين وستمـائة للهجرة وثب جمـاعة من مماليك السلطان نور الدين عمر بن على بن رسول فقتلوه فى قصر الجند من اليمن الأسفل، وكان قد استكثر من المماليك حتى بلغ عدد البحرية ألف فارس عدا المماليك المصرية وغيرهم، وكان قد اعتـزم عزل ابن أخيه أسد الدين بن الحسن بن على عن ولايـة صنعاء فأسَرَّ أسد الدين إلى المـماليك بقتله قبل أن يتـمكن من عزله. فلم ير أسد الدين بعـد قتله لعمه يومًا سعيداً، ونقل إلى تعز ودفن بها وهو مؤسس الدوله الرسولية.

وفى سنة ثمانٍ وأربعين وستمائة للهجـرة سار الإمام من الجوف إلى صـعدة فى عدد كبيـر فاستقبله بدرب الحناجـر الأمير الحسن بن بدر الدين مـؤلف أنوار اليقين وأخوه الأمير الحـسين بن بدر الدين مؤلف شفاء الأوام فـى جماعة من بني عمـهم وأقاربهم وقبائل خـولان، وأقبلت قبائل صـعدة والمخلاف بثمـانمائة عنان من الخيل، ولما علم الأميـر أحمد بن المنصـور أنه لا قدرة له على مناوأة الإمام طلـب الصلح وتقرر على تسليـمه حصـن تلمَّص بالشام وحـصن القفل بالظاهر وحـصن مدع والمكرام بميـتك والجاهلى والظفـر بحجة، وعلى إخـراج أسرى حاشد وبكيل من لدن الحـمزات وأن تكون بلاد الشـرف للإمام وبلاد البـون بين الإمام والحـمزات، وبعـد الصلح هدأت الأحوال ثم نهض الإمام نحو صنعاء وبصحبـته الأمير أحمد بن المنصور، ونزل الإمام بالدار السلطانيـة بصنعاء وحط الأمـير أحمـد بالقرب من باب اليـمن، وأنزل الإمام الشيخ أحمـد بن محمد الرصـاص فى دار فخمة مـزخرفة وأعطاه ضيـاعًا وحوانيت وصوافى مـا قيمـته ثلاثون ألف دينار لما يعرفـه من ميله إلى الدنيا. وأجـابت الإمام البـلاد من صعـدة إلى ذمـار، وضرب الدراهم باسـمه وجـعلهـا أرجح من الدرهم المنصورى ومن درهم الغز ، واستمر أسـد الدين ببراش وتوسط بالأمير أحمد للصلح وخدع الأميـر أحمد الإمام بتـجهيز أسـد الدين على المظفر الرسولى فـانخدع الإمام وجهزه على رأس قوة فيها الأميـر علوان بن بشر بن حاتم اليامى فلما كانوا بالشوافى خرج المظفر من تعز لاستقبالهم فانضم أسد الدين بقوته إلى المظفر.

سقوط الإمام عن جواده المحيا

فيها سقط الإمام يوم الجمعة إذ عثر به جواده المحيا فأصيب فى وجهه وأنفه ورضت رجله، ولم يرجع إلى داره إلا على أعناق الرجال، فقال الشاعر مفضل بن يحيى الصنعانى البهمة قصيدته التى فيها حسن التعليل ومنها:

هو الشط من صنعا الذى كنت تعهد ... وغمدان والقصر المنيف المشيَّدُ

وذا المنظر النضر الذى فى رياضه ... أفانين من وشى السحاب منضَّدُ

رياض يروح الروح منها ويغتدى ... بروح وريحان يصوب ويصعد

وكم بين (عضدان) (وغضران والحمى) ... و(ريمة) عيش بارد الظل أرغد

(فحدين) من تلقا (سناع)و(حدة) ... إلى (العشة) القصوى وحبك معهد

مبادين خيل كالسراحين ضُمَّرٍ ... وساحات خير ذكره ليس ينفد

نعم هذه الدنيا وهذا نعيمها ... وذا القائم المهدى ذو الجود أحمد

وذا ابن الحسين القاسمى الذى له ... عزائم منها الأسد فى الروع ترعد

أقام ملوك الأرض حول رواقه ... عكوفاً ومنهم ركَّعون وسجد

ولما توسمت النهوض (لطيبة) ... وثغرك بسام وسيفك مغمد

دنوت وفى قلب (المحيا) استطارة ... وقد راعه بالأمس منك التهدد

وخالطه زهو وكبر وهيبة ... وعين كمال دائماً تتردد

وأقبلت فاعروريت فوق سراته ... فخر ولم تحمله رجل ولا يد

ولم يستقم جأش المحيا وطالما ... له الصافنات الجرد بالفضل تشهدُ

ولكن دنا منه ثبير وراءه ... جلال تكاد الشم منه تأود

.. إلخ.

عودة أسد الدين لمحاربة الإمام

لم يقتنع أسد الدين من الغدر بأصحاب الإمام وانضمامه إلى المظفر، بل زحف على صنعاء بجموع كثيرة، وكان جند الإمام قد نفرت عنه وتحول الأمير أحمد إلى ظفار يرتقب ما تنتجه الأيام فجهز الإمام الحسن بن وهاس فى جماعة من الفرسان والمشاة إلى حصن المكيم بالحداء، وأمره بحفظ الطريق ومنع طلوع أسد الدين، فداهمهم أسد الدين بقوة كبيرة وتغلب عليهم وأمّ صنعاء فخرج الإمام إلى سناع، وكانت مدة إقامته بصنعاء سبعة أشهر وخرج بخروجه خلق كثير من أهل صنعاء. وقبض أسد الدين الحسن بن وهاس وأخاه وغيرهما وسجنهم فى حصن براش. وفى ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وستمائة للهجرة طلع المظفر إلى صنعاء.

وفى محرم سنة تسع وأربعين وستمائة للهجرة عاد المظفر إلي اليمن الأسفل، وترك بصنعاء وبلادها الأمير أسد الدين، وتسلَّم حصن التعكر ووافقه إلى تعز الأبناء بقدوم عميه حسن وأبى بكر ابنى على بن رسول من الديار المصرية إلى زبيد، فأمر بإكرامهما واستقبلهما بنفسه إلى حيس مع شدة خوفه من وصولهما وبعد وصولهما إلى تعز أمر بقيدهما ونقلهما إلى القلعة فلما دخلاها قالا: قبحك الله من قلعة خرجنا منك مقيدين وعدنا مقيدين.

صلح الإمام والمظفر وشراء الإمام لحصن براش

فيها جنح المظفر لمصالحة الإمام على أن للمظفر اليمن الأسفل والتهائم ،وللإمام اليمن الأعلى وثمانون ألفاً محمولة إلى خزائن الإمام، وتسليم حصن حلب فيما بين ثلا ومدع وحصن كوكبان للإمام.

وفيها شرى الإمام من الأمير أسد الدين حصن براش صنعاء بخمسائة ألف وعشرين ألف درهم مهدوية كل درهم ثلثا قفلة إسلامية غير الخلع والحلل للوسائط، واستعان الإمام بجميع أهل بلاده من صعدة إلى ذمار على تسليم هذا المبلغ لمصلحة رآها. ولما

قبض نائب الإمام الحصن وجد فيه بعد المستثنى من المنجنيقات والألات الحربية ما يقارب القيمة المذكورة. وأمر الإمام بنقل أنواع الحبوب والزبيب والجلجلان والملح إلى براش.

وفيها تسلم الإمام حصن حرام ببلاد الشرف، وما زال يتردد فى جهات صنعاء وذمار ولبث فى خدار شهراً، وقد عرف أسد الدين أنه لا طاقة له بحرب الإمام فخرج عن صنعاء وبلادها. وفى آخر شعبان سنة تسع وأربعين وستمائة للهجرة رجع الإمام إلى صنعاء فأقام بها وبسناع أياماً، ثم رجع إلى ثلا ووصل إليه الحمزات تائبين فعفا عنهم واستولى الإمام على مسور لاعة.

وفيها بعث المظفر رسولاً إلى خليفة بغداد العباسى لتقرير ولايته على اليمن فسلك الرسول طريق براقش ثم اتخذ منها الأدلة ومر بالرمل على الرواحل فوصل العراق بعد أربعة عشر يوماً وكتب المستعصم الولاية للمظفر على اليمن وأمره بمحاربة الإمام المهدى وحرضه على استئصاله.

وفى المحرم سنة خمسين وستمائة للهجرة نهض الإمام إلى مأرب وبيحان، ووقع الصلح بينه وبين الأمير أسد الدين ودخل فى طاعة الإمام بسبب قبض المظفر على أبيه الحسن بن على بن رسول وأقاربه وسجنهم بقلعة تعز كما سبق.

وفى سنة خمسين وستمائة للهجرة انتقض الصلح بين المظفر والإمام فجهز الإمام أسد الدين وأحمد بن المنصور وغيرهما بجيوش كثيرة وجهز المظفر الأمير الطواشى وغيره بجيوش كثيرة، ثم أمد الإمام أصحابه بعسكر، ولما رأى أسد الدين تكاثر أصحاب الإمام على أصحاب المظفر أخذته الحمية الرسولية فسار إلى رداع والمشرق ولم ير بدأ من قصد عدوه علوان الجحدرى فتلقاه بالإكرام وطلب له الأمان من المظفر فأمنه ونزل إليه.

وفى سنة خمسين وستمائة للهجرة أمرالإمام نائبه على بلاد ذمار بالتقدم إلى يريم وإرياب وكحلان خبان وفيها قوم من الباطنية فحاربهم أصحاب الإمام واستولوا على مساكنهم

وأخربوها. وحصن كحلان يريم من المعاقل المشهورة القديمة، وكان أهله زيدية هدوية لا يعرفون مذهب الباطنية حتى استفزهم بعض الباطنية فدس إليهم مذهبه.

نهوض المظفر إلى صنعا

وفى سنة إحدى وخمسين وستمائة للهجرة نهض المظفر ومعه الأمير على بن وهاس وغيره إلى صنعاء بقوة كبيرة فخرج الإمام إلى سناع ثم بيت رجال فخرج المظفر إلى سناع فأخربها وقطع أشجارها ورجع اليمن الأسفل.

مخالفة الحمزات للإمام

وفيها خالف أحمد بن المنصور وأقاربه على الإمام، وكاتب المظفر إلى يريم، وكان فى حرب الباطنية بكحلان، وطلب من المظفر النصرة على الإمام ففرح المظفر وأمره مع أسد الدين بحرب الإمام، فسارا مع بقية الحمزات إلى ذيبان أرحب فدمروها مع بلاد الصيد، وتحول الإمام إلى حوث، ثم غزا إلى الجوف لمطاردة أحمد بن المنصور فالتجأ مع بقية الحمزات إلى مصالحة الإمام، ولما عرف فشله أمام الإمام كتب إلى المظفر أن أسد الدين ترك المحطة إلى صنعاء فكتب المظفر إلى أسد الدين فخرج إلى الجوف وحاول مع الأمير أحمد أخذ براقش فامتنعت عليها فسارا إلى الزاهر وأحرقاه. فسار الإمام نحو صعدة ورتب بها الأمير الحسن بن وهاس وتقدم الأمير داوود بن المنصور والحمزات على صعدة فدافعهم أهل صعدة وقتلوا رجلاً من أصحاب داوود وفقئت عين الأمير على بن عبدالله بن الحسن بن حمزة، وكاد أهل صعدة يستظهرون على الحمزات لولا أن الأمير أحمد أمدهم. وفى اليوم الثانى نهض الأمير أحمد والأمير أسد الدين إلى غربى صعدة فصدهم أهلها لولا أنهم استمالوا بعض الخونة من أهلها فأدخلهم ليلاً من درب الحدادين، ولم ينتبه أهل صعدة إلا والسيوف تعمل فيهم، والجنود تزحف إليهم ينهبون ويقتلون ويهتكون، وقتلوا شيوخاً أعلاماً كالقاضى يحيى بن عطية بن أبى النجم والشيخ يحيى بن محمد بن خالد وقد طعن فى السن

وأخرجت بعض المخدرات مكشفات الرؤوس. وكان أسد الدين أحسن حالاً من الحمزات فكان يأمر بإدخال النساء وراء جدران لسترهن ومنع مماليكه من القتل والنهب، وأقام القوم بصعدة يجاهرون بشرب الخمور وارتكاب الفواحش، وكان الشريف المرتضى بن مفضل بن منصور الحسنى من علماء آنس قد قصد الإمام يومًا وكان يصلى فابطأ عليه الإذن فغضب وسار إلى المظفر، فأعطاه واسعًا وخرج فى جيش المظفر ثم ندم وسار إلى صعدة وربط نفسه بسارية بمسجد الهادى حتى يعفو عنه الإمام فأمر الإمام بحل وثاقه وعفا عنه. ثم جهز الإمام عسكراً إلى الجوف فأسروا الأمير موسى بن المنصور وغيره وسار الإمام نحو صنعاء وجهز أخاه سليمان بن الحسين والأمير محمد بن فليته فى عسكر إلى صعدة فهزموا رتبة الحمزات وأسد الدين ودخلوا صعدة وأدبوا الخائنين.

وفى سنة اثنتين وخمسين وستمائة للهجرة نهض الإمام من حوث إلى بلاد حمير وكان المظفر قد أمد الأمير بن أسد الدين وأحمد بن المنصور بأموال عظيمة لمحاربة الإمام فخرجا إلى حاشد وأخربا عدة محلات ثم توجها إلى البون والظاهر فاخذا الأبرق وقصد الإمام إلى هجرة بنى قطيل من بلاد حمير، وكان الإمام قد جمع جموعاً وجهزها إلى نقيل الحصبات فغشيهم عسكرالأميرين من جوانب النقيل وقتلوا منهم مقتلة عظيمة من أعيانهم الفقية العلامة حميد الشهيد، وأسروا الشريف أحمد بن يحيى بن حمزة، وكان مع الإمام على أبناء عمه الحمزات. ثم رجع الأميران إلى الظاهر وقد استفحل أمرهما ولكنهما انهزما عن حوث ورجعا إلى صنعاء.

حميد الشيهد

من الشهداء من علماء أصحاب الإمام، استشهد فى رمضان سنة اثنتين وخمسين وستمائة للهجرة الفقيه الإمام شيخ الإسلام حميد الشهيد بن أحمد بن محمد المحلى الهمدانى الوادعى الصنعانى عن سبعين سنة من مولده، وكان من أكابر العلماء المفيدين المصنفين أخذ عن الإمام عبدالله بن حمزة، والشيخ محمد بن أحمد الوليد

القرشى، والشيخ أحمد بن الحسن الرصاص، والفقيه على بن أحمد الأكوع والشيخ عمران بن الحسين، والشيخ زيد بن أحمد البيهقى الواصل إلى اليمن سنة عشر وستمائة للهجرة وغيرهم. قتله غلام تركى من مماليك أسد الدين فى نقيل الحصبات بقرب وادى عفار. ومن أجَلِّ مؤلفاته: (الحدائق الوردية فى مناقب وتراجم الأئمة الزيدية) فى مجلدين ضخمين اشتملا على مقدمة فى بعض ما ورد فى العترة النبوية ثم تراجم مفيدة للإمام على بن أبى طالب والحسنين والحسن بن الحسن والإمام زيد بن على وابنه يحيى والإمام محمد بن عبدالله بن الحسن وإخوته إبراهيم ويحيى وإدريس والحسين بن على الفخى والقاسم الرسى وصنوه محمد بن إبراهيم والإمام الهادى بن يحيى بن الحسين وولديه المرتضى محمد والناصر أحمد والناصر الأطروش الحسن والداعى الحسن بن القاسم وابنه محمد والقاسم بن على العيانى وابنه الحسين والمؤيد أحمد بن الحسين الهارونى وصنوه أبى طالب يحيى وأبى هاشم الحسن بن عبدالرحمن وابنه حمزة بن أبى هاشم وأبى الفتح الديلمى والناصر الحسين الهوسمى والهادى على الحقينى وأبى الرضى الكيسمى وأبى طالب الصغير يحيى بن أحمد الهارونى والإمام أحمد بن سليمان والمنصور عبدالله بن حمزة ثم خاتمة مفيدة فى موضوع الكتاب.

ومن مؤلفات الفقيه حميد الشهيد (محاسن الأزهار فى مناقب إمام الأئمة الأبرار) على بن أبى طالب، وهو شرح قصيدة الإمام عبدالله بن حمزة التى يخاطب بها الملك العباسى ببغداد فى زمنه وأولها:

نشدتك الله بآلائه وبالنبى المصطفى والوصى

وكتاب (العمدة فى أصول الدين) مجلدان وكتاب (النصيحة) فى مجلد، وكتاب (عقيدة آلال)، و(الوسيط)، و(الحسام)، و(الرد على الباطنية). وغيرذلك من الرسائل المفيدة. ولما وصل الإمام شرف الدين يحيى لزيارة قبر الفقيه حميد الشهيد بقرية رحبة بلاد السود قال:

وقفت بمشهد الشهم الشهيد حميد نجل أحمد الحميد

فتى شاد الهدى وبنى المعالى وأسس سامى الشرف المشيد

وظفر بالشهادة يوم حانت منيته فقدس من شهيد

أما حذر الذى أسقى حميداً كؤوس الموت من نار الوقود

لقى من قاتليه بغير جرم كما لاقى ابن حيدر من يزيد

وشابهه ابن ملجم من مراد وضاهاه قدار من ثمود

وما نقم الخوارج من حميد سوى الإيمان بالله الحميد

ونشر العلم فى يمن وشام وطمس رسوم إبليس المريد

وتعظيم الأئمة من على ونشرعلومهم نشر البنود

أقام قناة مذهبهم وجلَّى دجى شبه من الأقوال سود

ونسب الفقيه حميد الشهيد هكذا: حميد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالواحد بن عبدالرزاق بن إبراهيم بن أبى القاسم بن على بن الحسن بن إبراهيم بن محمد بن يزيد بن يعيش المحلى الوادعى الصنعانى الهمدانى، وجميع بيت حميد ينسبون إليه وهم كثيرون فيهم العلماء والرؤساء والفضلاء، وبلغ أن لهم مشجر نسب إذا وَصَلَنا فسيكون فى «مشجر الأنساب» المعد للطبع -إن شاء الله- فى مجلدين.

وقال المؤرخ الطيب بن مخرمة الحضرمى الشافعى فى تاريخه (قلادة البحر فى وفيات أهل العصر) فى ترجمة الفقيه حميد بن أحمد: إنه كان من علماء الزيدية وأفاضلهم، وله التصانيف الحسنة، والرسائل الدقيقة، قتله الحمزات فى حربهم مع الإمام أحمد بن الحسين بالبون، وفى الليلة التى قبل قتله رأى الإمام قائلاً يقول: يقتل الصباح نظير الحسين بن على فقتل الفقيه حميد. انتهى.

وفى مطلع البدور لأبى الرجال أن من كرامات الفقيه حميد الشهيد أنه سمع الأذان بألفاظه من رأسه بعد قطعه، ولقبته نذور واسعة وأموال للتدريس بها والإطعام. وكان من أعظم أنصار الإمام عبد الله بن حمزة ثم الإمام أحمد بن الحسين، وكان من أعيان أهل الطريقة والزهد مع كمال الرياسة والصدارة والرجوع إليه فى مهمات الإسلام. وهوالذى تولى تربية الإمام المهدى وتهذيبه وكان المهدى يعتبره كوالده ويكتب إليه الوالد ولم يتحول عن الزهد إلى وفاته فكان المهدى يعطى الناس العطاءات وهو لايقبل ولايريد شيئاً.

نزول أحمد بن المنصور وجماعته إلى المظفر

بعد رجوع الأمير بن أسد الدين وأحمد بن المنصور إلى صنعاء عزم أحمد وأخوه داوود مع حمزات إلى المظفر بزبيد فبالغ فى إكرامهم ولكنهم أصيبوا بأمراض مات جماعة منهم الأمير جعفر بن عبدالله بن الحسن بن حمزة وأحمد بن جعفر بن الحسين. وأمر المظفر لأحمد بنيف وأربعين ألف دينار وبالملابس الفاخرة وأقطعه مدينة القحمة، وجهز معه مائة فارس من المماليك، ومدحه أحمد بقصيدته التى أولها:

لعل الليالى الماضيات تعود وتبدو نجوم الدهر وهى سعود

ورجع إلى الجوف فاستباحه بوقعات عديدة أعظمها وقعة البيضاء بمعين أسفل الخارد وقد خربت.

وثُوب الحشيشى على الإمام

فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة للهجرة سار الإمام المهدى إلى بلاد الظاهر ثم حوث. وفيها كتب المظفر إلى الملك العباسى ببغداد يشكو ميل الناس إلى الإمام وطاعتهم له فبعث إليه رجلين من الحشيشيين، وهم من جهات خراسان والديلم

عجم، شأنهم المخاطرة بنفوسهم والإقدام على من أمروا بقتله غيلة، ولو هلكوا، فأرسلهما المظفر إلى الإمام فى هيئة المصلحين وأغراهما بقتله فوصلا إلى الإمام فى ربيع الثانى إلى قرب ثلا فأكرمهما أيامًا، ثم دخلا لموادعته وليس عنده إلا الفقيه قاسم بن أحمد الشاكري والفقيه عبدالله البهلولى والشيخ عبد الله الصعدى فقال لهما الإمام: تكلما حاجتكما فتكلم أحدهما بكلام غير مستقيم وقال: مرادى ألقى إليك حديثاً سراً، ودنا من الإمام فاتهمه الفقيه قاسم الشاكرى، فجذب الحشيشى سكينًا من باطن ثيابه وطعن الإمام فى كتفه الأيسر حتى دخل السكين قدر إصبع وأراد أن يطعنه ثانية فقبض السكين الفقيه قاسم الشاكرى وأوثقه وضغطه إلى الجدر، ثم كان قتل الحشيشى وصاحبه وشفى الإمام بعد نحو شهرين لم يخرج فيهما للجمعة ومن التهانى بسلامته قصيدة منها:

هنيأً كلما مر الجديد ... بما أولاك ذو العرش المجيد

ولا زالت تصاحب كل يوم ... معاليك السعادة والسعود

..إلخ.

وقصيدة منها:

ألا تبت يمين فتى ترامت ... به من أرض بغداد الأكام

أراد السوء بالإسلام كفراً ... وطغياناً فعاجله انتقامُ

نار بالحجاز بالمدينة المنورة

فى يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة وقع صوت يشبه الرعد يومين وزلزلة عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان واضطرب المنبر النبوى ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة، وظهر من الحرة بقريظة نار عظيمة وسالت الجبال ناراً تأكل الأرض أكلاً ويخرج منها مثل النهر الأحمر الأزرق

لها دوى يأخذ الصخور بين يديه وانتـهت إلى قرب المدنية ورؤيت من مكة ومن جبال بصرى مدة ثلاثة أشهر وروى البخارى حـديث: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من الحجـاز تضيىء أعناق الإبل ببصرى». ذكـرها النووى والسمنهودى فى «و فـاء الوفا بأخبـار دار المصطفى» والقسطلانى وابن أبى شامـة والسيوطى فى «حسن المحـاضرة» وابن كثـير فى تاريخه وصـاحب أنباء الزمن. وفى الفتـوحات الإسلامـية. وفى ليلة الجمعة مستهل رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة احترق المسجد النبوى ابتدأ من زاويته الغربية الشمالية دخل أحد خدمة المسجد الى خزانة هنالك ومعه نار فعلقت فى الآلات واتصلت بالسقف بسرعـة، ثم دبت فى السقوف فما كان إلا سـاعة حتى احترقت سقوف المسجد أجمع وسقطت بعض أساطينه وذاب رصاصها.

دخان بحوث وصواعق بالمغارب

وفى سنة أربع وخمسين وسـتمائة للهجرة يوم الأحد نصف جـمادى الآخرة وقع فى مدينة حوث باليمن دخـان غشى الأبصار فأوحش الناس وتغير ضـوء الشمس والقمر حتى كـأنهما لا ضوء لهـما. ثم وقع من البروق والصـواعق ما لم يعرف مـثله حتى هرب الناس وأيقنوا بالهلاك، وكثر ذلك فى جهة مغارب اليمن، ولقد كانت الصاعقة تخطف روح الواحد من بين الجمـاعة من غير أثر فى بدنه، وتأخذ السـيف من غمده فتذيبه ويسلم الغمد، وتذيب ما على المرأة ،من حلى وتسلم المرأة وتأخذ من فى قعر البيوت ويسلم من فى أعلاها؛ فسبحان القادر الحكيم.

القحط والموت باليمن

فى سنة خمس وخمسين وستمائة للهجرة ابتدأ القحط والغلاء باليمن، ومات كثير من الناس جوعاً، وأكلوا الكلاب والحمير، وأكل بعـضهم بعضاً، ونضبت المياه، ودارت رحى الموت من ذمار إلى صـعدة والجـوف إلى مغارب بلاد حـجة وحجـور وخولان

الشام ونجـران والمشارق والتـهائم وما بين ذلك، وبلغ سـعر الصـاع النبوى من الذرة عشرة دارهم، والشـعير أربعة دراهم، وقـيمة الرأس البقر خـمسمائة درهم، وقـيمة الرطل السليط أو السـمن ستة دراهم، واسـتمرت هذه الشـدة من رجب سنة خمس وخمسين وستمائة للهجرة الى سنة ثمان وخمسين وستمائة للهجرة فحصد الموت نحو نصف من فى هذه البلدان، فسبحان القادر القاهر بعباده.

إعلان الرصّاص مخالفة الإمام

فى سنة خمس وخمـسين وستمائة للهجرة اجـتمع الشيخ أحمد بن محـمد الرصَّاص الحوثى ومـن إليه وطعنوا على الإمـام المهدى فى سـيرته، وسبب ذلـك أن الرصَّاص خطب ابنة أخ الإمام لابـنه إبراهيم بن يحيى فصـوبه الإمام، ووقع عـقد النكاح بين يدى الإمام بحـدة، وحضره عـدة من الأعلام والرؤسـاء وكأن الرصَّاص اسـتبطأ تمام ذلك. ومن الأسباب أن الرصَّاص طـلب من الإمام أن يوليه على بلاد الظاهر ويطلق يده فى الولاية عليـها فلم يسـاعده وكـان أول خلافه اعـتداؤه على شـريف من ولد العباس بن على كان يتـولى قبض معونة جهاد من أهل حوث فـهَّول الأمرَ الرصّاصُ فى العلماء والشيعـة، وأمرهم بالاستعداد بالسلاح، وطلب الشـريف فضربه بالسيف عدة ضـربات فى رأسه ونزع ما عليـه من الثياب وأحرقـها فخـرج الشريف من عند الرصاص على أسوأ حال مضرجـاً بدمائه إلى الإمام ببيت ردم فشق ذلك على الإمام وكتب إلى العـلماء والشيـعة أن الرصاص خـالف أحكام الكتاب والسنة. فـلما علم الرصاص أبرق وأرعد وأوهم أتباعه أنه لا يأمن أن يـقصدهم عسكر الإمام على حين غفلة وخـرج بهم إلى بطنة بلاد عذر ومنهـا إلى حصن الظفر بحـجور وهنالك أطلق عنان قلمه ولسانه بالانتقاد والاعـتراض فكاتبهم الإمام وألان لهم الخطاب فلم يزدهم ذلك إلا بعداً. ثم رجح الإمـام إرسال الشريف الحسن بن وهاس لمناظرتهم فـخادعوه وناظروه حتى صار من جملتهم. فاستبدله الإمام بآخرين منهم الأمير أحمد بن محمد بن حاتم العباسى فرجع إلى الإمام وحذره بأنه لا مطمع فى رجوعهم. ولما بلغ الأمير

أحمد بن المنصور كتب إليهم وقوى عزائمهم ثم خرج إليهم من صنعاء والتقوا بالبون واجتمعت كلمتهم على حرب الإمام.

استيلاؤهم على حصن الإمام ثم قتله
سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة

بعد أن رد الإمام على اعتراضاتهم برسالة بليغة هاجموا حصن ذروة معقل الإمام وانتهبوه وهتكوا الحريم، وكتبوا إلى السلطان المظفر يبشرونه بذلك فأمدهم بمائة ألف درهم مظفرية مع الشريف الحسن بن حمزة، والدرهم فضة خالصة مكتوب فيه بظاهره وباطنه: لا إله إلا إلله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، أبو بكر عمر عثمان على رضى الله عنهم، السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور، الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين ضرب بزبيد سنة خمسين وستمائة للهجرة فجهز الإمام الأمير أحمد بن محمد العباسى ونهض فى جنده من مدع فى النصف الأخير من شهر صفر سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة وخرج الرصَّاص وجماعته إلى شوابه فتبع الإمام القوم إلى شوابه، فاعترضته خيل الخمرات ووقع القتال فأحاطت بالإمام عساكر الأشراف الحمزات من كل ناحية وهم ثمانون فارساً وأربعمائة راجل، والإمام فى ثلاثمائة فارس وألفى راجل، فانهزم أصحاب الإمام وثبت الإمام وقاتل قتالاً شديداً حتى عقروا فرسه وأصيب بسهم فى وجهه فوقع على الأرض وتولى قتله رجال من أهل ظفار واحتزوا رأسه وأدخلوه إلى خيمة الرصاص ودفنوه مع جسده فى شوابة فى سلح صفر سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة ثم نقل إلى مشهده بذيبين. عن ثلاث وأربعين سنة وأربعة أشهر من مولده، وعن عشر سنين من دعوته.

وكتب أحمد بن المنصور إلى المظفر يبشره بقوله: تجدد السعادة أوجب شكر نعمة الله تعالى. ثم للمقام العالى خلد الله ملكه وتنهى صدورها من المصاف بشوابه ورأس أحمد بن الحسين بين يدى:

وأبيض ذى تاج أصابت رماحنا بمعترك بين الفوارس اقتما
هوى بين أيدى الخيل إذ فتكت به صدور العوالى تنضح المسك بالدما

وقال صارم الدين فى البسامة:

وزلزلت عضد المهدى أحمدنا بأحمد ورمته منه بالكبر
فخضبت شيبة لابن الحسين دماً وعفَّرت وجهه الوضاح بالعفر
وكلفت حسنا تحسين أقبح ما جرت به من صروف الدهر والغير
وسامت الشيخ بن حوث مهاجرة بعد الولاء على صاع من الفطر
دارت رحى حربهم للدين طاحنة فليت أن رحاهم تلك لم تدر
ضحوا بأبيض يستسقى الغمام به قد بايعوه فكانوا أخسر البشر
مالوا إلى أحمد عن أحمد وبغوا على الإمام وقالوا جار فى السير

مراثى الإمام

رثاه أدباء عصره منهم مؤلف سيرته السيد يحيى بن القاسم بن حمزة بقصيدة منها:

من لطرف العين من سهره ولمرفض بمنهمره
يالقومى إنه حدث ومصير الناس فى أكره
برزخ فى قعر مظلمة موحش لا بد من سفره
أين خير الناس من مضر من صميم العيص مفتخره
أحمد المهدى من خلقت هالة الإحسان من قمره
ملك تهمى أنامله كسجال الدلو فى مطره

ملك بزّ الملوك فما	أحد يرقى إلى خطره
حاز فضل السبق يوم جرى	وارتقى للمجد من صغره
لم يحل الوصم مئزره	عُمْرَه من مبتدا عُمُرِه
طالما أحيى العلوم وما	عبدالرحمن فى سحره
قسماً بالمشعرين وما	فى تلاع الخيف من جمره
مامشى فوق البسيطة فى	بَدْو هذا الخلق أو حَضَرِه
كسليل القاسمى ومن	ختم المعروف فى يسره
فابكه وأنغم وقل حسناً	كفريد الدر من درره
إنما الدينا أبو دلف	بين باديه محتضره
فإذا ولى أبو دلف	ولت الدنيا على أثره

ورثاه القاسم ابن هتيمل بقصيدة طويلة منها:

أقسمت أحلف صادقاً وأنا الذى	ما قط أحلف آثماً بيمينى
إن الشجاعة والسماحة والندى	حلت بقبر فى ربى ذيبين
حيث الإمام بن الحسين مخيم	ياحبذا من طاهر وأمين
حيث ابن فاطمة الإمام مضمخ	بدم الشهادة ثاوياً فى الطين
ذاك الذى أحيى شريعة جده	بحسامة وأذل كل قرين
ونفى الضلالة والجهالة وانثنى	لجهاد أهل البغى والتبطين
فبغت عليه أمة ضليلة	ظلماً بغير دلالة ويقين
ما كان يوم شوابة فى عصرنا	إلا كيوم الطف أو صفين

دعوة ابن هاس وموت ثلاثتهم

كان الرصَّاص وجماعته قد استمالوا الحسن بن وهاس بن أبى هاشم بن محمد بن الحسن بن قاسم بن حسين بن حمزة بن أبى هاشم. وفى اليوم الثالث من قتل الإمام بايعوا له مع الحمزات، فسار إلى صعدة وخوَّل الحمزات نصف البلاد، وكره الناس ابن وهاس ثم سجنه داوود بن المنصور عشر سنين بظفار، وخلع نفسه سنة ثمان وستين وستمائة للهجرة ومات بصعدة سنة ثلاث وثمانين وستمائة للهجرة. وأما أحمد بن المنصور فمات بعد المهدى بسبعين يوماً، وكان قد قام بأمر بلادهم من سنة أربع وعشرين وستمائة للهجرة وبعد دعوة المهدى سنة ست وأربعين وستمائة للهجرة بايعه وامتدحه بقصائد منها قصيدة أولها:

أضاء على الإسلام نورك وانجلى.. بوجهك ليل الهم وابتسم الدهر

وقد علمت آل النبى محمد.. بأنك أنت الفلك لما طغى البحر

وأنك لا وان ولا أنت طائش.. ولا مضمر سرا لحقود ولا وعر

... إلخ.

وبعد موته قام بأمر بلادهم صنوه موسى بن المنصور فلم يلبث أن مات، ثم مات أخوهما الحسن وجماعة من بنى وهاس. وبعد ستة أشهر من قتل الإمام مات الرصّاص، وكان من أكبر أعوان الإمام، ثم كان منه ما ليس فى الحسبان.

الحسن بن بدر الدين

مولده ٥٩٦هـ دعوته ٦٥٧هـ وفاته ٦٧٠هـ

هو الإمام المنصور الحسن بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن أحمد الناصر بن الإمام الهادى يحيى. نشأ بوطنة هجرة رغافة، وأخذ عن المنصور عبدالله بن حمزة، وعن الشيخ

على بن يحيى عطية، وعن أخيه الحسين بن بدر الدين وعن غيرهم. وكان من أكابر علماء العترة علماً ورجاحةً وكمالاً. ومن مؤلفاته (أنوار اليقين فى فضائل أمير المؤمنين) علي وهو شرح على أرجوزة له طويلة، وفيه جملة من مسائل أصول الدين، وفوائد جمة، وذكر فيه الأئمة إلى زمن، وأول أرجوزته:

الحمد للمهيمن القهار.. مكور الليل على النهار

ومنشى السحاب والامطار مع جميع النعم الغرار

ثم صلاة الله خصت أحمدا أبا البتول وأخاه السيدا

وفاطما وابنيهما سم العدى وآلهم سفن النجاة والهدى

حتى قال فى آ خرها:

فهذه أرجوزة الأنوار كأنها غزالة النهار

قد فصلت بالآى والآثار وعقد اجماع بنى المختار

فأى ريب بعد هذا يوجد لا ريب لولا البغض ثم الحسد

والانبياء قبلنا قد حسدوا وأى نقص وأبونا أحمد

صلى عليه منشىء السحاب من مرسل مكرم الأنساب

والد الشم ذوى الأحساب ينابع الحكمة والصواب

وكانت دعوته فى الخامس والعشرين من شوال سنة سبع وخمسين وستمائة للهجرة بهجرة رغافة. ومن أجل من تابعه القاضى عبدالله بن زيد العنسى والقاضى محمد بن معرف، وبث دعوته فى البلدان وهو من محرزى الشروط فى الإمام، وأجابه أهل المغارب وجبالها وسار إلى المصانع ووصل إليه بعض علماء جهتها، ثم رجع إلى جهات صعدة ومن جواب له قوله: وقد علم الناس أنا بعد نشر دعوتنا لم نبن البيوت ولم نؤثر السكوت، بل صدعنا بالحق ودعونا الناس إلى الصدق، وفارقنا الأهل

والأولاد والأحباب وخرجنا إلى الثغور لسدها، وتقدمنا على الفور إلى تهامة ثم عدنا إلى المراكز بنواحى صعدة، ونهضنا إلى جهات المغارب ثم إلى عفار، ومما عابه الناس علينا كثرة الرفق والرأفة بالخلق ونحن نعلمكم أنا قائمون بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى فيه: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ إلى آخر رسالته باللألى المضيئة.

ومن شعره:

إن الأمور إذا اشتدت مواقعها	فان شدتها تُدْنى إلى الفرج
أما نظرت إلى ما قيل من حكم	من النبوة شدى أزْمُ تنفرجى
وكل من سدت الدنيا مذاهبه	فما عليه إذا ما غم من حرج
لكنها حكم يقضى الحكيم بها	فاصبر عليها ولوسالت على المهج
إن الشدائد ما مرت على رجل	إلا وكانت له في الدهر كالسرج

وفى البسامة:

ولم تمد بإحسان إلى حسن	كفا وقد رام منها كف كل جرى

واستمر على دعوته إلى وفاته بهجرة رغامة فى محرم سنة سبعين وستمائة للهجرة.

مخالفة أسد الدين على المظفر ثم سجنه

فى محرم سنة ثمان وخمسين وستمائة للهجرة طلع المظفر إلى صنعاء وولاها على بن يحيى العنسى وعاد تعز، ثم شن أسد الدين الغارات على صنعاء فجهز المظفر لمطاردته سنجر الشعبى ففر ومازال يتردد من ظفار إلى ظفر وقد تنكرت له الأيام حتى باع ثيابه فكتب إلى المظفر:

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل	وإلا فأدركنى ولمّا أمزَّقِ

فأمر المظفر عامله العنسى أن يؤمنه ويصل معه إلى تعز ولما بلغ أحمد بن محمد حاتم العباسى كتب إلى أسد الدين يحذره ويذكره فعل المظفر بابنه وأبيه وعمه:

تأن ولا تعجل فقد مدح الورى ... فتى ذا آناة ثم ذم عجول

أتامن أضغان المظفر وهو لا ... يقيل ولكن بالحسام يصول

ألم تر فى موسى سليلك فعله ... على ذمة والعفو منه قليل

وأن ببدر الدين أعظم أسوة ... وبالفخر من غالته قبلك غول

أعد نظراً يا ابن الرسول فربما ... يوافيك من نصر الإله رسول

ولا تلقِ يا ابن الصيد نفسك فى الردى ... وفى الأرض ذات الطول حيث تجول

فإنك قد جربت يوسف قبل ذا ... مراراً بها فيمن يحب يصول

وجربته فى كل عهد وذمة ... حديثك فيها للأنام يطول

فلم يرعو أسد الدين إلى هذا النصح. ولما وصل إلى المظفر بكى من حبس المظفر لأبيه وعمه وولده وأسر إليه العنس لعلك بالقرب منهم انفع لهم ولعلنا ننتهز فرصة فنفعل كذا وكذا فبلغ المطهر فسجنهما مع الأولين إلى أن قضى كل واحد منهم نحبه فى السجن وأرسل المظفر لولاية صنعاء الطواشى نظام الدين ثم غيره. وفى سنة تسع وخمسين وستمائة للهجرة تسلم المظفر حصن عضدان جنوب غرب صنعاء وحصن براش من أحمد بن محمد العباسى وعوضه حصن المصنعة وعزان ببلاد حمير علاوة على ما أعطاه من مال.

وفى رمضان سنة تسع وخمسين وستمائة للهجرة وصل سنجر الشعبى عاملاً للمظفر على صنعاء.

يحيى بن محمد السراجى

دعوته ٦٥٩هـ   أسره ٦٦٠هـ   وفاته ٦٩٦هـ

الإمام يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن سراج الدين بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن على بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب السراجى نسبة إلى جده سراج الدين لقب به لجمال وجهه. أخذ بتهامة عن الفقيه الشهير أحمد بن موسى عجيل صاحب بيت الفقيه وعن أبى بكر بن عيسى اليقرمى الزبيدى الحنفى ابن حنكاش. وعن أحمد بن محمد الشاورى وسليمان بن أحمد المالهانى وغيرهم من علماء اليمن والحجاز وبرع فى فنون العلم، وتبحر فى الحديث وحفظ غيباً نحو ستين ألف حديث عن عبد الله بن يحيى بن المهدى وغيره. وممن روى عنه ابن أخته الإمام يحيى بن حمزة.

دعا بعد استشهاد الإمام أحمد بن الحسين ببلاد مسور المنتاب وأجابه الجموع من الناس وحاربه سنجر الشعبى عامل المظفر. ثم سار إلى بنى فاهم بحصن يناع حضور فغدروا به.

وترجمه المؤرخ الجندى الشافعى فقال: كان هذا الإمام السراجى إماما كبيراً أخذ الناس العلم عنه ودعا إلى الإمامة ونزل مع قوم بنى فاهم بيناع وأطبق معهم على إجابته خلق كثير من الناس فبذل الشعبى أمير صنعاء مالاً جزيلاً لبنى فاهم فقبضوه وسلموه إليه فكحله وأعماه وحبسه فأنزل الله بالذين غدروا به الجذام حتى كان الواحد منهم يعزل فى كهف لئلا يجذم الصحابة فلم يشعروا حتى يجذم آخرون منهم ثم يجيفوا جيفة عظيمة بحيث لا يستطيع أحد أن يقربهم لنتن روائحهم حتى هلكوا، ومازال الباقى منهم على ضر من قتل بعضهم بعضاً فى كل وقت إلى وقتنا. انتهى كلام الجندى. وكان كحله سنة ستين وستمائة للهجرة وبقى يدرس العلوم من حفظه إلى وفاته سنة ست وتسعين وستمائة للهجرة وقبر فى حمى مسجد الوشلى بصنعاء.

وفى البسامة:

وللسراجى والشعبى سنجرها قضية خطها الكتاب فى الزُبر

وذكر المؤرخ الخزرجى فى (طراز أعلام الزمن) أن سنجر الشعبى لم يشعر وهو فى قصره بصنعاء سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة إلا بدخول غبار عليه من شبابيك مكانه ثم انتشر التراب والغبار من السقف وانحطم السقف الذى تحته قبل الأعلى فحفروا فوجدوا سنجر ميتاً، ومات معه صهره محمد بن بدر الدين وأبو بكر بن عمار وعلى بن حاتم وممن كان لسنجر. ولم يخرج حياً من الهدم إلا الشيخ محمد بن حاتم مصنف كتاب (العقد الثمين) والقاضى عمر بن سعيد فقط. انتهى.

وفى تحفة المسترشدين:

ثم الإمام الحافظ السراجى إمام حق واضح المنهاج

كان إماماً حافظاً للسنة ستين ألفاً سنداً ومتنه

دعوته فى مسور المنتاب فى تاسع الخمسين فى صحاب

وقيل بل فى السبع والخمسينا وعام (٦٦٠) ستر أسره يقيناً

وسملوا عينيه بالشرار فعوجلوا بالأخذا والدمار

وبعده فى سادس التسعينا فى وشلى صنعا غدا دفينا

ومن شعره فى رثاء الأخوين بدر الدين محمد بن وهاس بن أبى هاشم، وعلم الدين على بن وهاس وكانا قد قتلا بنجران مع أولاد المنصور عبدالله:

مصاب همت بالحادثات غمائمه وخطب جرت بالمعضلات عظائمه

ورزء أصاب المسلمين بأسرهم وهدت من المجد الأثيل دعائمه

بصنوين من آل النبى وحيدر نوالهما قد طبق الأرض ساجمه

فهذا على العافين فاضت مكارمه | وهذا لخصم فى الجدال يقاومه
فقل للمنايا بعد قتل محمد | وهلك على أنفذ الحكم حاكمه
أصيب العلى والجود والعلم والتقى | وأصبح ركن المجد وهنًا عزائمه
فإن يك بدر الدين أصبح ثاويًا | فما دفنت أفعاله ومكارمه
تولى من الدنيا خميصاً وظهره | خفيف ولم تكتب عليه مآثمة
وكان بعين المقت ينظر نحوها | ويزرى بمن يدلى بها ويصارمه
مضى وهو محمود الطريقة سيد | وقد أمنت أحقاده وسخائمه
وقائلة عاد الرجال ولم يعد | على ولم يقدم ببشراه خادمه
وأقبل أهلوه وألفوه بعدهم | وأفراسه يندينه وصوارمه
وأمسى طريحاً فى بلاد بعيدة | وحيداً ولم تجمع عليه مآتمه
فقلت لها إن المنايا شواخص | إلى كل حى عن قريب تصادمه
أبى الله إلا أن يموت بغربة | شهيداً بسيف الكفر تدمى قسائمة
تظل سيوف الملحدين تنوشه | وراحته ترس لهم وبراجمه
وفتك ذوى الإلحاد فيه وبغيهم | دليل على أن المهيمن راحمه
وقد فاز إذ أعطى مقادة نفسه | ومهجته فليتق الله لائمه

انتهى.

شراء المظفر للحصون

فى سنة إحدى وستين وستمائة للهجرة اشترى المظفر حصن الجاهلى بحجة من الشريف أحمد بن قاسم القاسمى من أقارب المهدى أحمد بن الحسين. وفيها سار

سنجر الشعبى لحصار ذى مرمر ومن فيه من بنى حاتم، فأحاطت عساكره بجميع جوانب الحصن، وبذل المظفر لبنى حاتم فيه مائة ألف دينار وحصون براش وفده ووادى ضهر فلم يسعدوا، فأقام الحصار إلى سنة ثلاث وستين وستمائة للهجرة ونزلت الأمراض بأهله حتى هلك أكثرهم فطلب بقيتهم خروجهم فأعطاهم ستة وعشرين ألفًا وأبقى لهم حصن فده وفيها خالف أهل بيت أنعم على سنجر فخرج لحربهم، وكتب بنو حاتم إلى سنجر أن يكفَّ عن حربهم فلم يجبهم فأظهروا الخلاف. وفى سنة اثنتين وستين وستمائة للهجرة تسلم المظفر من الحصون الحميرية حصن مدع من بنى وهيب وعوضهم منه حصن بيت أنعم ومالاً اشترطوه، وفيها سار سنجر إلى براقش فاستولى عليها.

الأمير الحسين بن محمد

فى سنة اثنتين وستين وستمائة للهجرة توفى بهجرة رغافة الأمير الإمام الحافظ الكبير المحدث الحسين بن محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى صاحب الشفا عن ثمانين سنة من مولده سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة مؤلف الشفاء أربعة أجزاء فى مجلدين، ولم يكمله وله تتمتان يسيرتان لغيره بعده، وفيه تقرير لمذهب الهادى بالأدلة وقد خرج أحاديثه القاضى عبد العزيز بن محمد الضهرى بالقرن الحادى عشر وحرر عليه حاشية «وبل الغمام» القاضى محمد الشوكانى. ومن مؤلفاته «التقرير شرح التحرير» فى أربعة مجلدات فى الفقه والإرشاد إلى سوى الاعتقاد وينابيع النصيحة فى العقائد الصحيحة والعقد الثمين فى معرفة رب العالمين ودرر الأقوال النبوية. وثمرة الأفكار فى حكم الكفار. والرسالة المنقحة بالبراهين الموضحة، والضياء البادى والمدخل والذريعة وغيرها.

تسلم المظفر لحصون

فى سنة ثلاث وستين وستمائة للهجرة تسلم المظفر حصن ذى مرمر وحصن الفص الكبير وبراش وبراقش وعزان والمصنعة واللجام وذيفان والقفل وبيت دردم وشمان.

ابن حنكاش الزبيدى

فى ربيع الثانى سنة أربع وستين وستمائة للهجرة توفى عن أربع وسبعين سنة من مولده الشيخ العلامة المحقق أبو بكر بن عيسى بن عثمان اليقرمى الحنفى الزبيدى المعروف بابن حنكاش، وكان عالماً كبيراً ومدرساً على مذهب الشافعية والحنفية وغيرها، وفى الحديث وغيره وقد قصده إلى زبيد الإمام يحيى بن محمد السراجى وأخذ عنه. وله أتباع وأصحاب واليقرمى نسبة إلى اليقارم بطن من الأشاعر.

قتل الأمير يكتم

فى سنة خمس وستين وستمائة للهجرة قتل فى الجوف الأمير يكتم الغلاب، وكان المظفر قد أمره بعمارة الزاهر وأرسل معه مائة فارس وخمسمائة راجل، فقصدته الحمزات فقتلوه وجماعةً من أصحابه، وانحاز بقيتهم فى براقش وخرج سنجر إلى بلاد الظاهر. وطلعت الجنود من لدن المظفر من تعز إلى بلاد حجة ووقعت حروب عظيمة هنالك، ثم أرسل المظفر ولده الأشرف عمر بن يوسف على رأس قوة عظيمة إلى حجة فاستولى على حصن مبين والموقر وقراضة وكحلان وغيرها.

عطية النجرانى

فى جمادى الآخرة سنه خمس وستين وستمائة للهجرة توفى بصعدة من مفاخر علماء الزيدية ومفتيهم إمام المفرعين ورأس المذاكرين الشيخ عطية بن محيى الدين محمد بن

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الربيع بن على بن الربيع بن عبيد الله بن عبد الله بن يزيد بن الأشد بن الحارث الأصغر بن مالك ملاعب الأسنة بن ربيعة بن كعب بن الحارث الأكبر بن كعب بن عمرو بن علية بن خالد بن مذحج. ويشاركهم فى نسبهم المنيف آل أبى الحسين القضاة بخبان وبأضرعة عنس وبنو القفر وبنوكحيل بذمار وبنو عز الدين وبنو السمان النجرانى الصعدى عن اثنتين وستين سنة من مولده، ومن أنفع مؤلفاته (البيان الكاشف عن معانى القرآن) فى سبعة مجلدات، وكتاب المذاكرة وغيرهما، وترجمه ووالده صاحب مطلع البدور وصاحب المستطاب ولأهل بيته عدة مصنفات.

أحمد بن علوان

وفى رجب سنة خمس وستين وستمائة للهجرة توفى بقرية يفرس الشيخ الصوفى الشهير أحمد بن علوان ترجمه الخزرجي فى العقود اللؤلوية والشيخ أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجى الزبيدى الحنفى فى طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص فقال أبو العباس أحمد بن علوان الصوفى الشيخ الكبير المشهور: كان والده يخدم الملوك فنشأ على طريقته من الاشتغال بالكتابة، وقرأ فى النحو واللغة وغير ذلك، ثم قصد باب السلطان ليخدم مكان والده وذكر قصة أشبه بالأساطير عن وقوع طائر عليه حتى قال ثم ألقى الله له المحبة والقبول فى قلوب العالم، وتبعه خلق كثير من الناس، وظهرت كراماته وتواترت مكاشفاته، وله فى التصوف فصول كثيرة يتكلم فيها على لغات شتى ومن كلامه: العلم دعوى والعالم مدعٍ والعمل شاهد؛ فمن ثبتت بينة دعواه صحت للمسلمين فتواه. وله ديوان شعر فى أيدى الناس، غالبه فى التصوف منه:

جزت الصفوف إلى الحروف إلى الهجا ... حتى انتهيت مراتب الإبداع

لا باسم ليلى استعين على السرى ... كلا ولا لبنى تقل شراعى

وقبره فى يفرس معـروف مقصود للزيارة من الأماكن البعيدة لا سيمـا فى آخر جمعة من رجب فإن أهل بلاد تعز وغـيرهم يقصدونه ويخـرجون بالنساء والأولاد. . . إلى آخر كلام الشرجى. لابن علوان نصيحة للسلطان عمر الرسولى منها:

ياثالث العمرين افعل كفعلهما وليتفق فيه منك السر والعلن

واستبق ملكاً يقول الناظرون له نعم المليك ونعم البلدة اليمنُ

عار عليك قصورات مشيدة وللرعية دور كلها دِمَنُ

وكان قد عـمر على قبره قـبة عالية وبنايات وزخارف فـخمة السلطان عامـر بن عبد الوهاب الطاهرى وغيره من جهلة الملوك الذين هدمـوا القرى والمدن وشادوا الأضرحة والقباب وقد دام الافتـتان بقبره القرون العديدة حتى أمر ولى العـهد أحمد بن الإمام يحـيى فى نحـو سنة ثلاث وستين وثـلاثمائة وألف للـهجـرة بهـدم تلك الأضرحـة والأقفاص وما عليـها من سبح وتعاويذ وأعلام ورماح وخناجـر ودرق مما كان يضعه المشعوذون لاصطيـاد ضعفاء العقـول، وزال بذلك اعتقاد الجهـلاء الذين كانوا يظنون ارتياح الشيخ بما يـصنعون. كما أمر ولى العـهد بإصلاح الجامع بيـفرس وفتح أبوابه للمصلين بدلاً عن الزاوية التى كـان يأوى إليها المجاذيب والمخبَّـلون وغيرهم من أهل الخرافـات التى أضلت المسلمين، ونقل ولى العـهد عظام ابن علون وتـراب لحده إلى مقبرة مجـهولة دفن بها لئلا يضلوا به مرة أخرى، ومدحـه الشعراء على فعله ومنهم القاضى يحيى بن محمد الإريانى والسيد محمد بن يحيى الذارى والقاضى محمد بن محمود الزبيرى والسيد زيد الموشكى، وقد أنشـد الزبيري قصيدته أمام ولى العهد فى ميدان تعز فى حفل كبير وهى:

كذلك المجد إما رافعا علما أو باعثاً أمما اوهادما صنما

يا من يجدد من آثار والده المختار ما لو رأى المختار لابتسما

بنيت ما كان يبنيه لأمته كما هدمت لها بالسيف ما هدما

قد اقتلعت قباب الشرك متخذاً مكانه البيض والهندية الخذما

حطمت قبرًا عظيم الشأن جانبه لولا عزيمتك الشماء ما انحطما

جرح على كبد الإسلام متسع وضعت فيه شعاع الشمس فالتأما

كاد ابن علوان إذ برَّدت مضجعه يسعى بأكفانه للعرش مستلما

يشكو إليه أناسًا أحدثوا بدعًا ما كان وصَّاهم فيها ولا علما

عرش الخلافة يأبى أن يجاوره قبر به لجأ الإلحاد واعتصما

هذا يفيض على الدنيا أشعته وذاك يدفن فى ديجوره الأمما

خزيٌ على مسرح التاريخ يحسبه الجهَّال مجداً بعين الله محترما

يرنو إليه الملوك السابقون فما كأنهم قط إلا شاهدوا الحرما

خديعة للجماهير التى زعمت بأن من دينها أن تعبد الوهما

من كان يملك حد السيف في يده فكيف لا يعلن الحق الذى علما

فذرهمٌ يا ولى العهد في نفق التاريخ واذهب إلى آفاقه قدما

ودع ضميرك يهفو نحو غايته إن الضمائر تدنى غاية العظما

يا ناصر الدين قد أنقذت ملته من معضل طالما قد أعجز القدما

كم كابدوا كل مكروه فما فطنوا ولا اشتكوا منه لا همًا ولا سقما

وقدّسوا جيفةً فى القبر منتنة حتى إذا ما تلاشت قدسوا الرمما

وألّهوا منه ميتًا كان قد ألفته الدود من طول ما عانت به التُخَما

فهان عندى عُبّاد النجوم به وكدت أعذر قوماً ألّهوا الصنما

بقية من بقايا الشرك حطمها سيف الإله فما أكدى ولا انثلما

ساد الضلال وأعمتهم غشاوته وما دروا أن فى تلك العيون عمى

مرَّت قرون طوال فى جهالتهم فلم يغير لهم طول المدى حلماً

وفى الجماهير طبع لا يقوم له المؤدبون ولا يأسو له الحُكَمَا

لا يفهمون لغير الجيش مزدحماً والحرب محتدما والموت مصطلما

السيف يعطيهم الرشد الذى فقدوا ويقتنى لهم العقل الذى عُدِمَا

يموت عائلهم بالفقر وهو يرى التابوت بنكاً لمال الشعب ملتهما

يقول فى الليل بباهوت متخذاً له ملاذاً ومعبوداً ومعتصماً

ويستعين به فى عثرة عرضت فى السير أو شوكةً أدمت له قدماً

ويتقيه إذا ما جاء ساحره بأمره ينهب الأموال مغتنما

إن لم يكن ذاك إشراك بخالقه فأىُّ شئ ترون الشرك يا عُلَما

قالوا له كتب فى القبر يكتبها ينهى ويأمر أنَّى شاء محتكما

يا ليت شعرى أسحر ذاك يزعمه أم أنه يخلق القرطاس والقلما

أم أنها أمة ضلت وضل بها ملوكها حينما ألقوا لها السلما

حتى تمخضت الدنيا بواحدها وأنجبته زعيماً يفضح الزعما

فجاء قلباً إلى الإصلاح متجها لا يشتكى تعباً منه ولا سأماً

يرى ويسمع ما يجرى وليس له عين تنام إذا ما طارق دهما

ما واجهته الليالى فى حوادثها إلاَّ رأت فى حنايا صدره هرما

يستقبل الهول فى نفس قد التحمت أعصابها بجيوش الدهر فانهزما

ويستجن بقلب لو تصارعه مناكب الأرض ما استخذى ولا وجما

يلقى الخطوب ويصلى من حرارتها ونحن فى ظله نستبرد النعما

إن الزعامة روح الشعب تشعره بدائه وتحس الضر والألما

والشعب من دون سلطان يدبره ميت تبعثر فى أكفانه رمما

صاغ الإله لنا ملكاً يلاحظنا بناظر يسع الأقطار والأمما

أما محيًّا كثغر العيد مبتسماً أوصارمًا كلسان النار مضطرما

سطا على ظلم الإلحاد فانصدعت وأشرق الدين والتوحيد وابتسما

وقلت فى تتمة البسامة عند ذكر ولى العهد:

وهدّ ما عمرت فى يفرس وحمى بيت الفقيه على الأجداث والحفر

من المبانى التى كانت زخارفها ذكرى يسوع ونسر دائم العصر

ومن خط السيد عثمان بن على الوزير أن نسب ابن علوان هكذا: أحمد بن علوان بن عطاف بن يوسف بن مطاعن بن عبد الكريم بن عبد الأكرم بن حسن بن إبراهيم بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب.

وفى ترجمة السيد على بن محمد بن عبد الله العباسى العلوى بكتاب مطلع البدور لأبى الرجال أن أهل حيفة ثلا من ذرية العباس بن على بن أبى طالب، وأنه يقال أن الشيخ أحمد بن علوان المشهور منهم والله أعلم.

حروب صعدة وقتل حمزة بن الحسن

فى سنة ست وستين وستمائة للهجرة سار سنجر فى خمسمائة فارس وثلاثة آلاف راجل إلى صعدة فجمع الأمير داوود بن المنصور الحمزات وعسكراً عظيماً وثبتو للشعبى فى رأس نقيل العجلة فوصل سنجر الشعبى إلى وادى مذاب تحت النقيل،

وترك فى محطته أميراً فى مائة فارس وألف راجل وسار بباقى عسكره عن طريق أخرى فلم يشعر الحمزات إلا وقد خالطهم سنجر بعساكره وكان أول قتيل من الحمزات الأمير حمزة بن الحسن بن حمزة وهو فارس بنى حمزة، فانكشف عسكرهم بعد معركة عظيمة، والتجأ الأمير داوود إلى براش صعدة وسار سنجر إلى صعدة ورأس حمزة بين يديه، فاستولى عليها وأخرب عدة بيوت، ثم خرج إلى مخاليفها وانتهب ما وجده بها ورجع صعدة مدة ثم عاد صنعاء وبعد سنة تسلم المظفر حصن براش صعدة من الأمير محمد بن أحمد بن المنصور.

انهزام سنجر عن ثلا

فى سنة سبع وستين وستمائة للهجرة خرج سنجر من صنعاء لمحاصرة ثلا فاستولى على المدينة وأقام الحصار على الحصن فضاق الخناق بالمحصورين وفزعوا إلى الله فوصل جماعة من مشائخ البلاد إلى سنجر فأغلظ لهم القول وقال: والله ما ارتقب إلاَّ أخذ هذا الحصن ثم اتفرغ للعرب حتى أطأهم. فانتشر كلامه وأنكره العرب وأخذتهم الحمية فرجعوا مغاضبين وأمر بقية عسكره أن يزحفوا على الحصن فتوهموا أنه يريد الفرار ففشلوا وتولوا هاربين، ولما رأى من فى الحصن أن خيامهم تقوض وجمالهم تشد هبطوا من الحصن وكان أقرب القوم فى عسكر سنجر قوم من ذمار فقتلوا منهم جماعة ونهبوا ما وجدوه من محطة سنجر وكفاهم الله شره وانهزم الى صنعاء.

وفى خلال ذلك حاصر جند للمظفر حصن تلمُّص بصعدة، وسار الشريف على بن عبد الله الحمزى من ظفار إلى حصنه الميفاع وجمع الجنود وقصد جند المظفر المحاصرين لتلمص حتى انهزموا إلى فللة واستجاروا بأهلها وبخولان فاجاروهم وسيروهم عن طريق تهامة، واستجار الأمير موسى الرسولى بقوم من نجران فعلم به الحمزات فطلبوه وقتلوه، ثم ساروا إلى التعبرة بثلا فاخرجوا منها من بقى من عسكر سنجر.

وفى شعبان سنة سبع وستين وستمائة للهجرة توفى بحصن كحلان تاج الدين القاضى العلامة الشهير عبد الله بن زيد بن أحمد بن أبى الخير العنسى المذحجى الزيدى صاحب المؤلفات العديدة النافعة منها: «الإرشاد إلى نجاة العباد» و«اللفظة البديعة» و«المحجه البيضاء» أربعة أجزاء و«السراج الوهاج» و«الشهاب الثاقب» و«التحرير» فى أصول الفقه. ويحكى أن مؤلفاته مائة كتاب وخمسة كتب، وكان جيد العبادة حسن السبك، وكان من أعظم المناصرين للإمام أحمد بن الحسين وبعثه إلى بلاد صعدة سنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة مهيمناً على عماله بها وبنجران، وأمرهم أن يقفوا على راية فظهر حميد سعيه، وحاول الإصلاح بين الإمام والرصَّاص وجماعته وكتب إلى المخالفين رسالة بليغة وبعد قتل الإمام احتج عليهم فتهدده أحمد بن المنصور ولم يتمكن من قتله لظهور شيعته، ثم أقام بفللة ونشر العلم هناك، واجتمع بزبيد بعالمها ابن حنكاش وتذاكرا. وروى الهادى بن إبراهيم الوزير أن القاضى عبد الله بن زيد كان فى مقام التدريس بكحلان صحيحاً فاستدعى بدواة وقرطاس وكتب وصيته وفى آخرها كتب الحديث القدسى: «إنه من لم يرض بقضائى ويصبر على بلائى فليتخذ رباً سواى» وسقط القلم من يده ومات. وقبره بكحلان قبلى البركة التى تسمى رحبة.

ابراهيم بن تاج الدين

دعوته ٦٧٠هـ أسره ٦٧٤هـ وفاته ٦٨٣هـ

الإمام المهدى إبراهيم بن تاج الدين بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن الناصر أحمد بن الإمام الهادى يحيى، أخذ عن القاضى محمد بن أحمد بن أبى الرجال وغيره وبرع فى العلوم ودعا فى أول يوم من ذى الحجة سنة سبعين وستمائة للهجرة من حصن ظفار

الظاهر فبايعه العلماء، وسار إلى رحبة صنعـاء، ثم حَضور فأجابه أهلها وقبائل عنس وما إليها.

وفى سنة إحدى وسـبعين وسـتمائة للهجـرة أرسل الإمام الشريف على بن عـبد الله الحمزى إلى بلاد حضور فى سبعة رجال فـأجابوه، وما صلى الجمعة إلا بسبعة آلاف رجل، وفيها خالف الحمزات على المظفر، وكـان قد أقطعهم جهران، فساروا عن أمر الإمام إلى ذمـار فدخلوها ونهض الإمام والأمـير داوود بن المنصـور والجند إلى حدة فخرج من صنعاء سنجر وكانت معـركة فى قاع الباهم وانتقل الإمام إلى بيت حنبص ووصل المظفر إلى صنعاء بجنود كثيرة وخيم فى الميـدان عند مسجد السيدة بنت أحمد الصليحى على شاطى غيل البـرمكى. ولعله قد خُرِّب هذا المسجد فهو غـير معروف الآن.

وفى سنة اثنتين وسبعين وستمـائة للهجرة بعث المظفر عسكراً إلى بيت حنبص ورجع الإمام إلى حـدة فخرج المظفـر فأخربها وسـاع خراباً مجحـفاً وقطع أشجـارها وأمر بعمارة ظفار -قرن عنتر- فوق بيت سبطان. قال الخزرجى: ومن الأشجار التى قطعها المظفـر شجرة لوز ووجـد تحتـها لوح من رخـام مكتوب فـيه: (غـرست سنة أربعين للهجرة) ثم رجع المظفر إلـى تعز وسار سنجر إلى براقش الجوف فتسلمـها من الحسام بن فضل ووقع الصلح بين المظفر وبين الإمام والحمزات.

وفى سنة ثلاث وسبعين وستمائة للهجرة وقع قحط عظيم باليمن ومات كثيرون وفيها وثب الحواليون على كوكبان فتملكوه.

دخول الإمام صنعاء

وفى سنة أربع وسبعين وسـتمائة للهجرة سار سنجر من صنعـاء إلى ذمار واستخلف على صنعاء ابن الغلاب ومعه المماليك الأسدية فقتل أحدهم مع سنجر فقاموا وقعدوا وكانوا قـد أثروا واستطالوا فـقبضـوا على ابن الغلاب واسـتدعوا الإمـام إلى صنعاء

فأرسل الشريف على بن عبد الله الحمزى فى سبعة آلاف ثم نهض بعده الإمام والأمير داوود وبقية الأشراف إلى صنعاء فدخلها، وركب لصلاة الجمعة بجامعها.

اسر الإمام بأفق جهران

ثم خرج الإمام من صنعاء نحو بلاد ذمار، ووصل إلى قرية أفق جهران غربى ذمار وقد نهض المظفر من تعز بقوة كبيرة إلى ذمار، وأقبلت العساكر المظفرية مع سنجر فالتجأ الأمير داوود إلى أكمة وألزم الإمام بالتوقف فى الحصن وكافح داوود وجماعته عن نفوسهم ولم يخلصوا إلا بشدة وتفرقوا فى الأودية والشعاب وأحاطت الجنود المظفرية بالإمام وقتلوا طائفة ممن بقى معه منهم وزيره أحمد بن محمد بن حاتم وإسماعيل بن عبد الله بن أبى النجم، واستمر القتال حتى تم أسر الإمام وجماعة معه يوم الجمعة نصف جمادى الأولى سنة أربع وسبعين وستمائة للهجرة وساروا به إلى المظفر بذمار فهنأه بالسلامة، وهنأ الإمام المظفر بالظفر، ثم أركبه المظفر على بغلة محترماً مسائراً له فى الطريق إلى تعز ودام بها فى الاعتقال تسعة أعوام حتى مات بها فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة للهجرة وقبره بها مشهور مزور، وهو أول مقبور بمقبرة الأجيناد التى وقفتها زوجته بنت الملك المظفر.

وذكر المؤرخ الجندى الشافعى فى ترجمته للفقيه الزاهد أبى بكر بن آدم الجبرتى أنه أقفل شبابيك بيته بتعز فى اليوم الذى أوصل فيه الإمام أسيراً فسئل عن ذلك فقال: رأيت النبى صلى الله عليه وسلم كئيباً حزيناً فسئل فقال: هو حزين لأسر ولده الإمام إبراهيم. انتهى.

قصيدة إبراهيم بن تاج الدين

وللإمام إبراهيم قصيدة فى حادثة أسره، وما كان من خذلان أخواله الحمزات له، وما قابله المظفر به من الإكرام وهى:

نوائب الدهر فى أفعاله العجب | والحرب لفظ ومعنى لفظه الحربُ
والدهر إن سَرّ يوماً فى تصرفه | فعن قليل إذا ما سر ينقلبُ
وقد رمتنى صروف الدهر عن كثب | بأسهم ماضيات عندها العطبُ
فلم تجدنى جباناً حين تطرقنى | ولا جزوعاً لدى البأساء انتحبُ
بل صادفتنى قوىَّ القلب أن طحنت | رحى الهياج فإنى للرحا طنبُ
ورب يوم يغيب الشمس قسطله | فتظلم الشمس حتى ينقضى العصبُ
صبرت فيه على البأساء محتسباً | لله إذ كان مثلى فيه يحتسبُ
كيوم «حدة» والأبطال عابسة | من الهزاهز والشعبى مضطربُ
حتى إذا خان بعض الأهل موثقه | وغره فضة السلطان والذهبُ
أبدى شقاقاً وأخفى منه أعظمه | وجاء بالغدر لا من حيث يحتسبُ
فملت بالكره لاجبنًا ولاجزعًا | إلا لإحياء ما جاءت به الكتبُ
كيوم «أفقٍ» وقد جاء المظفر فى | عساكر جلها الأتراك والعرب
فلم أجم عن لقاء الأسد إذ نزلوا | ولا هربت مع الأبطال إذ هربوا
بل صلت فيهم على الآساد منتضياً | عزما كعزم هزب الغيل إذ يثبُ
وتحت سرجى وقاح حين أحفرها | تخالها كوكبا فى الجو ينقضب
فما أطاقوا لقائى إذ ذلقت لهم | بعاسل كرشاء البئر يضطرب
حتى إذا صرت مشغولا بجمعهم | وجاء من خلف ظهرى عسكر لجب
نالوا بأيدهم رمحى على غرر | فأمسكوه وسيفى بعده جذبوا
ولم أجد عنهم منأى ومتسعاً | فأحفز الطرفَ عنهم ثم أنقلب

لكنهم رصدوا لى كل ناحية — فحين حق اشتغالى عنهم وثبوا

ولو يكون قتال القوم من جهة — وكان للخلق فى أفعالى العجب

فان غلبت فما هذا بمبتدع — فكم بهاليل غلاَّبون قد غلبوا

وبعد ذلك جاؤا بى إلى ملك — له المفاخر والعلياء تكتسب

أبو الهزبر نقى العرض من دنس — وباذل المال لا زور ولا كذب

فكان منه من الإحسان ما شهدت — بفعله فيه عجم الناس والعرب

فمن يبلغ عنى كل من سكنت — قلبى محبته أو بيننا نسب

أنى على خفض عيش فى منازله — لا يسكن الضيم فى قلبى ولا التعب

فليشكروه فإنى اليوم شاكره — سراً وجهراً وهذا بعض ما يجب

وكان المظفر يحمل إلى إبراهيم فى كل يوم أربعين درهما والطعام بكرة وعشية والكسوة له ولمن معه بقدر حاجتهم وكفايتهم فقال: لقد كان لنا فى سلم السلطان غنى عن حربه. وكتب الإمام على باب دار ضيافته:

هذى منازل سادة أجواد — ومحل جود شامل وأيادى

قصر الخورنق والسدير مقصر — عنه ذوو الشرفات من شداد

ولم يزل على الإعزاز والإكرام إلى وفاته.

وكان المظفر قد بذل مالاً جزيلاً لبعض أصحاب الإمام فى المعركة فخدعوه وخذلوه. ومن قصيدة كتبها الإمام إلى القضاة آل أبى النجم بصعدة من تعز:

لآل أبى النجم الكرام مكارم — تحل محل النيرات الثواقب

ونشر فنون العلم فى كل مشهد — إليهم له تحدو قلاص الركائب

وإخلاص دين للإله وعفة — وفعل وقول صادق غير كاذب

الى قوله:

وإنى إليكم للمظفر شاكر عفا وحبانى بَعْدُ كُلَّ المواهب

فكل هوى أهواه غير مؤجل من الدين والدنيا وكل مطالب

سوى رؤية الأحباب والعذر بيّن له ما جرى من أسرتى وأقاربى

فلا لوم إن أمسى بنا غير واثق ولا عتب فى هذا عليه لعاتب

وإن كنت عن قومى وأهلى بمعزل ولست إلى ما يذهبون بذاهب

ولكن لقد قدمت كل إساءة إليه لتصديق الظنون الكواذب

وللإمام إبراهيم قصيدة ورثى بها من استشهد معه:

خطب ألم فأنسانى الخطوب معا وصير القلب فى إشغافه قطعا

إلى قوله:

وذاك قتل شجاع الدين أحمد من أمسى لكل خصال الفضل قد جمعا

حاز السماحة والعلياء من قدم والحلم والعلم والإقدام والورعا

ذو همة لم تزل قعساء سامية لوضمها صدر هذا الدهر ما اتسعا

وعزمة مثل حد السيف ماضية لو لاقت الصخر يوما لان وانصدعا

وقتل قاضى أمير المؤمنين صلاح الدين من لم يزل للحق متبعا

سمح اليدين كريم الوالدين له كف تفرق فى العافين ما جمعا

الصادق الثقة المأمون جانبه والحافظ الود إن دانى وإن شسعا

وقتل نجل سعيد صارمى بيدى إذا نبا السيف واستعملته قطعا

لهفى عليهم جميعاً لوشهدتهم لكنت أول من نحو الحمام سعى

وإنما الكل فى بحر نعوم به	من البلاء وطير الموت قد وقعا

ولم يولوا ولا وليت منهزمًا	وكلهم ذاق من كأس الردى جرعا

ولم أضن بنفسى عن مصادمة الموت الزؤام ولكن القضا دفعا

وأمسكوا الرمح من خلفى مغادرة	والسيف قد أمسكوه والجواد معا

لم تبق لى حيلة فى الدفع عن أحد	منهم وأُلقِيْتُ فوق الأرض منصرعا

ثم انتهيت إلى سوح به ملك	يحل بيتاً من العلياء مرتفعا

فجاد بالعفو والإحسان شيمته	وكان للخير والمعروف مصطنعا

إنى أقول ونار الحزن فى كبدى	سقيًا ورعيًا لعهد منهم ولعا

ورحمة الله لا تفتأ مكررة	عليهم ما خفى برقٌ وما لمعا

هذا عزائى لكل المسلمين فمن	يبلغه عنى فربى حاطه ورعى

فتواردت الجوابات إلى الإمام فمن جـواب الأمير شرف الدين الحسن بن يحيى الأشل وهو طويل جداً:

نظم ألم فهاج الوجد والجزعا	وجرع النفس من ماء الأسى جرعا

إلى قوله:

إمام حق دليل الخير قائده	على الشريعة إن أعطى وإن منعا

العالم العلم المحمود من علقت	به الأمانى والآمال مذ رضعا

إنا لنعرف فيه كل مكرمة	شماء فهو كريم الخيم مذ يفعا

مولاى مولاى حقا لا أفوه بها	زوراً ولا ملقًا يوماً ولا طمعا

يا درة التاج يا ابن التاج من شهدت: بفضله فضلاء العالمين معا

لو كان يُقْبل منِّى الروح جدت به : والآل والمال والأصحاب والشفعا

ولا أراجع حينًا فى الرجوع إذا ذو فدية جاد يوم السوم أو رجعا

أما الإسار فأمر لا يعاب فلو رمت الفرار وجدت النهج متسعا

لكن عملت بما جاء الكتاب به حقاً وأحببت ما أحيا وما شرعا

فجدت بالنفس يوم الروع محتسباً فى (أفق) لم تهب الأعداء والفزعا

فدافع الله عنك الموت تكرمة ولا فوات لأمر عنه قد دفعا

وكان من لطف ربى أن أسرت الى من لم يزل للخصال الغر متبعا

الفاضل الكامل المحمود شيمته الأوحد الأكرم الوهاب ما جمعا

مازال يولى ذوى الآمال منه ندى جماً وما زال للإحسان مدرعا

من آل غسان أرباب الملوك فلو تلقى إليه أمور الناس لاتسعا

إن قسته بملوك الأرض فاقهم فضلاً وكانوا لأدنى فضله تبعا

أولاك ما كان من عفو ومن كرم تقبل الله ما أولى وما صنعا

سارت بذاك له فى الأرض مكرمة ومفخراً ما بدا نجم وما طلعا

ومن جواب للقضاة آل أبى النجم:

أهلاً بطرس علينا نوره طلعا نظماً ونثراً بطرس واحد جمعا

من أفضل الناس من عرب ومن عجم وخير داع إلى الدين الحنيف دعا

خليفة الله من أحيا لنا سننا ومن أمات لدينا سعيه بدعا

مهدينا نجل تاج الدين أشرف من أغنى وأقنى ومن أعطى ومن منعا

كهف الطريد إمام العصر سيدنا وصارم الدين من بالهدى قد سطعا

رثى رجالاً أصيبوا فالقلوب على ... ما نالهم ذهبت من أجله قطعا

باعوا من الله أوراحاً فأسكنهم ... فى الخلد أشرفها مرئى ومستمعا

سلوا السيوف ولم يخشوا ولا وهنوا ... فى حومة الموت لا هولاً ولا فزعا

ما لى وللدهر ما تنفك نائبة ... منه تنوب فهلا ارتد وارتدعا

وفى سلامة مولانا لنا عوض ... عمن مضى إن تناسى الدهر أو قرعا

وهكذا الحرب ما زال الكمى بها ... يغشى المهالك صراعاً ومنصرعا

جاءت إليك من الرحمن عارفة ... كستك أمناً وثوب الأمن قد رفعا

لله ملك أفاد المسلمين معاً ... بعفوه عنك مجداً طال وارتفعا

أبو الهزبر الذى فى ظل دولته ... أضحى نطاق العلى والفخر متسعا

خير الملوك وأعلاهم وأحسنهم ... تصرفاً فى الورى أن ضر أو نفعا

يا ليت شعرى والأوهام طامحة ... تشاور اليأس والآمال والطمعا

هل نشتفى من أمير المؤمنين ولو ... بنظرة تذهب الأوصاب والوجعا

للدين عبرة وجد قط ما رقأت ... وللمكارم طرف قط ما هجعا

وبارق للندى ما انفك مؤتلقاً ... فمذ أسرت خفى نوراً وما طلعا

عليك منا سلام الله ما ودقت ... وطفا وما انهل شؤبوب وما همعا

وفى البسامة وفى ابن تاج :

الهدى المهدى قد حكمت ... فى يوم أفق بما يهوى أبو عمر

وخانه من إليه كان مرتكنا ... حتى المظفر منه فاز بالظفر

وفى تحفة المسترشدين:

ثم ابن تاج الدين إبراهيم دعا وان شكله معدوم
دعوته فى آخر السبعينا وأسره فى (٦٧٤) يقينا
ولم يزل معتقلاً سنينا حتى توفى (٦٨٣) دفينا
مشهده المعمور فى تعز وقد حباه الله أى فوز

المطهر بن يحيى

مولده ٦١٤هـ دعوته ٦٧٤هـ وفاته ٦٩٧هـ

الإمام المتوكل المطهر بن يحيى بن المرتضى بن المطهر بن القاسم بن المطهر بن محمد بن المطهر بن على بن الناصر أحمد بن الإمام الهادى يحيى المعروف بالمظلل بالغمام لخروجه من الأعداء بين السحاب والغمام الذى طبق الأفق فى تنعم بجبل اللوز من خولان فسلمه الله منهم. أخذ عن القاضى محمد بن على أبى الرجال وروى عن الأمير الحسين بن محمد صاحب الشفاء تفسير الحاكم. وشمس الأخبار وجميع فقه الزيدية. وعن الشيخ المعمر إبراهيم بن على الأكوع والقاضى سليمان بن أحمد أبى الرجال وعمران بن الحسين وغيرهم. وعنه ولده الإمام محمد بن المطهر والسيد أحمد بن محمد بن الهادى والسيد صلاح بن إبراهيم بن تاج الدين وغيرهم وكان من أعيان أعوان المهدى أحمد بن الحسين ثم المهدى إبراهيم بن تاج الدين، وقد دعا بعد أسره فى جمادى الأولى سنة أربع وسبعين وستمائة للهجرة وأجابه الأعلام والأفاضل والأعيان، وبعث دعاته فى اليمن وفى الجبل والديلم ومن رسالة دعوته:

«ولما رأيت أهل العصر قد ظهرت فيهم البدع، ونزل عليهم الخوف واتسع، وامتلأت قلوبهم بالجزع، بعد أسر أمير المؤمنين المهدى لدين الله إبراهيم بن تاج الدين سلام الله عليه وعلى آبائه الأكرمين؛ خشيت استئصال شأفة المسلمين بعلو كلمة الظالمين، فشمرت لطلب القائم من أهل البيت عن ساق حين أرجف الظالمون على المسلمين

بإرعاد وإبراق، وعقدت للقائم بالإذعان منى مجتهداً، وأن أكون ما بقيت من ورثة الكتاب مقتصداً، فلم أجد منهم قائماً بذلك أبداً، وانضم إلى ذلك وجود الناصر من ذوى النجدة والبصائر، فتعينت الحجة حينئذ على وانتهت نصرة الدين إلىَّ فاستخرت الله وفزعت إليه واستعنت به وتوكلت عليه، ونشرت هذه الدعوة الجامعة إن شاء الله داعياً إلى ربى بالحكمة والموعظة الحسنة . هاجراً فى حماية الدين لذيذ النوم والسنة ﴿تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ . . . إلخ. هلموا إلى العمل بالكتاب الكريم، وسنة نبينا عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم:

شيخ شرى مهجته بالجنة   وسن ما كان أبوه سنه

ولم يزل علم الكتاب فنه   يقاتل الكفار والأظنه

بالمشرفيات وبالأسنه

﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله. . .﴾ إلخ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من سمع داعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه فى نار جهنم» فإن أجبتمونى حملتكم -إن شاء الله- على المحجة البيضاء ألا أعدو بكم السنة النبوية قيد شعرة عادلاً فى الرعية قاسماً بالسوية كافلاً لليتيم حائطاً للارامل متخذاً الكبير أخاً والصغير ولداً، القريب عندى بعيد حتى يؤدى ما عليه، والبعيد عندى قريب حتى يصل حقه إليه . فلا تميلن بكم الأهواء ولا تتفرق بكم الآراء ولا تغرنكم الحياة الدنيا فإن زينتها تزول وتفنى؛ آمالها سراب وأمانيها كذاب وعمرانها خراب وحلالها حساب وحرامها عقاب ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة. . .﴾ إلخ. فشمروا فى الجهاد بالجد والاجتهاد فإنه أفضل أعمال العباد ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم. . .﴾ إلخ. وقال صلى الله عليه وآله وسلم «لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها». انفروا خفافاً وثقالا، وأقبلوا إلى إمامكم إرسالاً، منتقمين لإمامكم المهدى بثاره، ناعشين دينكم بعد عثاره، موضحين من مذهبكم طامس آثاره، كائلين لعدوكم بصاعه، ذارعين له ما بلغ من ذراعه، فأنتم حزب الله وحزب الله هم الغالبون؛ أنتم إن شاء الله أنجد منهم وأصبر وأشرف وأفخر، وهم أذل وأحقر، وإن كانوا وأوفر ،

فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ﴿كم من فئه قليلة غلبت فئةً كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ فاصبروا على منابذة الأشرار، واجأروا إلى ربكم بالدعاء والاستغفار؛ يمدكم بالنصر والاستظهار ﴿ قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وما أنا من المشركين﴾.

وقد بذلت خزائن من الأموال المظفرية له ليترك القيام بالجهاد فامتنع وقال: يأبى الله ورسوله أن أبيع الآخرة بالدنيا. ولما اشتد فى بعض مواقفه الطعن والضرب كان يتخلل الصفوف على بغلته والنشاب تظلله فقيل له: لو بعدت فقال: إنما أطلب الشهادة. وكانت له سبعون وقعة، وأجمع على بيعته زيدية اليمن وبعض العراق. وقيل له يوصى فقال: ما تركت بيضاء ولا صفراء ولامن الأرض شبراً. وكان يأكل الجشب ويلبس الخشن وفد إليه رجل ليتعشى من عشائه فقال له: تعشى مع الضيوف خبزاً ولحماً فقال: لا. وكان الإمام صائماً فأفطر بلحوح ودجره، وكان يخرج بجماعة ممن يقرأون عليه العلم فيحتطب معهم ويحمل الحطب معهم. وفى البسامة:

وفى مطهر لم تعدل وقد علمت	أن المطهر زاكى الأصل والثمر
من ظللته الغمام الغر حائلةً	من دونه وغدت ستراً لمستتر
بيوم تنعم والأبطال عابسة	وقد تقدم والضلال فى الأثر

وفى تحفة المسترشدين:

وقام يدعو رابع السبعينا : وقيل فى الست مع السبعينا

سليل يحيى العالم المطهر : ومن له الفخر العظيم يذكر

إذ ظللته السحب والغمامة : في تنعم ويا لها كرامة

وموته فى السبع والتسعينا : وقيل فى التسع مع التسعينا

وكان فى الأعلام أى حجه : وقبره فى دروان حجه

وفى سنة ست وسبعين وستمائة للهجرة رجح الأميرعلى بن عبد الله الحمزى تسليم حصونه بحضور للمظفر مقابل ألف دينار. وفى سنة سبع وسبعين وستمائة للهجرة توفى الأمير أسد الدين محمد بن حسن بن على بن رسول بسجن قاهرة تعز، وكان من أكمل الأمراء وأشجعهم وتقلبت به الأحوال كما تقدم.

استيلاء المظفر على حضرموت وظفار

فى سنة ثمان وسبعين وستمائة للهجرة أصاب أهل حضرموت مجاعة فطلبوا من أميرها سالم بن إدريس الحضرمى ما يدفعون به شدة الزمان وسلموا له أموالهم فأعطاهم ما طلبوا. وصادف أن المظفر أرسل وفداً بهدية إلى فارس وبينما هم فى البحر سائرون إذ عصفت بهم الرياح ورمتهم فى ساحل ظفار فصادر الهدية الأمير سالم حاسباً أن الأقدار ساقتها إليه عوضاً عما وقع من المجاعة بحضرموت، وكان قد انتقل إلى ظفار الحبوظى. فكتب إليه المظفر يعاتبه ويتوعده على تعرضه للهدية وقطع السبيل، فلم يكترث واستمال إليه صاحب الشحر راشد بن شجيه فأجابه هرباً من الخراج الذى عليه للمظفر. فأمر المظفر عامله بعدن بالتقدم إلى ساحل ظفار فسار إليه ورجع، فسولت للأمير سالم نفسه أن يغزو إلى عدن فنهض المظفر بنفسه إلى عدن وأمر بإصلاح المراكب وغيرها وجهز العساكر والأمراء بالعدة الوافرة براً وبحراً فدخلوا إلى بندر سوت دخولاً عظيماً، فبادرهم سالم بخيله ورجله فانهزم وانجلت المعركة عن قتله وثلاثمائة من أصحابه، وأسر مثلهم وضرب الجند المظفرى خيامهم على أبواب ظفار وكفوا عن أهله وتم للمظفر الاستيلاء على حضرموت وظفار. وفى سنة تسع وسبعين وستمائة للهجرة استعاد المظفر حصن كوكبان من بنى الحوالى وعوضهم عن حصن ردمان واثنين وعشرين الفاً.

وفيها صنع المظفر وليمة عظيمة واستدعى إليها الأشراف الحمزات فسار منهم الأمير علي بن عبدالله بن حمزة والأمير محمد بن أحمد بن المنصور فوثب الأمير داوود بن المنصور على حصونها فأمدهما المظفر حتى تم استرجاعهما لها.

محمد بن أبى السعود

فى سنة ثمانين وستمائة للهجرة توفى الشيخ العلامة الكبير النحوى محمد بن على بن أحمد بن أسعد بن أبى السعود الزبيدى صاحب التصانيف المفيدة منها: «التهذيب» و«الياقوته» و«المحيط» و«البيان في إعرب القرآن» وكان قد سمع تفسير الحاكم من الإمام عبد الله بن حمزة.

المفضل بن منصور

وفى سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة توفى السيد العلامة المفضل بن منصور بن محمد العفيف الوزير من أعيان أصحاب المهدى إبراهيم بن تاج الدين. وكان قد احتسب قبل قيام المهدى ثم بايعه وجاهد معه وكان على حد عظيم فى الورع والعلم والعمل والكرم وهو جد السادة آل المفضل من بنى الوزير.

حوادث

وفى سنة ثلاث وثمانين وستمائة للهجرة وصل إلى صنعاء، الأمير الواثق بن المظفر وتسلم حصن براش صنعاء وفيها أقام الأمير داوود بن المنصور ابن أخيه يوسف بن إبراهيم بن المنصور إماماً وهو لا يملك شروط الإمامة المعتبرة فاجتمع له بثلا عسكر كثير ونهض بهم إلى الظاهر ثم المنقل والمناذرة وتوجه إلى صعدة فاستنجد الأمير على بن عبد الله بن حمزة بالواثق بن المظفر فأمده بالفهد بن حاتم بخيل ورجل، وكان داوود ويوسف حول تلمص فوقعت حرب نحو شهرين والمظفر يواصل الإمداد لعلى بن عبد الله حتى ضعف داوود وعاد من بلاد صعدة إلى ثلا وبعث الواثق بن المظفر عسكراً لمحاصرته، ثم كان الصلح على أن يطلق المظفر بن الأمير داوود من حصن الدملوه ويرهن داوود حصن القفل بظفار لدن المظفر.

على بن عبد الله إلى المظفر فأقطعه بلاد الظاهر والبون والخشب والخرد ومطرة وذيفان. وفيها استرد داوود حصنه القفل وتصالح مع ابن أخيه موسى بن أحمد. وكتب للإمام المطهر يحثه على النهوض إلى صعدة فنهض بجموع وجاءته قبائل خولان الشام طائعة فأخذ درب صعدة، وأسر والى المظفر، وقتل من جماعته، ثم سار الإمام والحمزات إلى الجوف.

وفى سنة خمس وثمانين وستمائة للهجرة ساروا إلى الظاهر فجهز الواثق بن المظفر على بن الهمام وعلى بن عبد الله الحمزى على الزاهر بالجوف.

وصول الأشرف إلى صنعاء

واضطربت البلاد فأسرع المظفر بإرسال ابنه الأشرف وطلب الواثق إليه، فسار الأشرف إلى ذيفان والظاهر، وشدد الوطأة وأخرب معظم البلاد ونفذت جنوده إلى عيان وخيوان وعمر حصن الكولة وشدد الحصار على الأمير داوود وأخرب بلاد عبد الله بن علي بن وهّاس وقطع أشجارها وهدم فيها دروباً قديمة حميرية، ثم رجع صنعاء فدخلها دخول الفاتح المنصور، وخرجت لاستقباله الجنود والجموع، وفرش لحصانه ثياب الحرير الململعة بالذهب. وكان الإمام والحمزات قد نهضوا إلى بنى شهاب غرب صنعاء وحاصروا قرن عنتر -ظفار- وفيه نحو مائتين من جند المظفر، وكان فيهم على بابه رجل منع برميه الوصول إلى الباب فرماه محمد بن المرتضى، ثم دخلوا، وقد قتل من أصحاب المظفر نحو مائة وأسر الباقون، ثم سار الإمام إلى تنعم خولان.

وفى سنة سبع وثمانين وستمائة للهجرة كان الصلح بين الإمام والأشرف والحمزات وعاد الأشرف إلى تعز ووصل أخوه المؤيد وفى سنة ثمان وثمانين وستمائة للهجرة وثب أهل جشم همدان على حصن بيت نعم غرب وادى ضهر فحاصرهم المؤيد وانتقض الصلح.

داود بن المنصور

وفى تاسع صفر سنة تسع وثمـانين وستمائة للهجرة توفى بحـصن ظفار الأمير داوود بن المنصور عبد الله بن حمزة، وكان شجاعاً فصيحاً من وجوه الحمزات، ومن شعره إلى السلطان المظفر يرجوه إطلاق ابنه الرهينة بحصن الدملوه:

أعاتبه فى الهجر أم لا أعاتبه　　وأصبر حتى يرعوى أم أجانبه

فمن مبلغ عنى إلى الملك يوسف　　أبى عمر معطى الجزيل وواهبه

وما لى قول مسخط غير أننى　　أذكره الخط الذى هو كاتبه

فشفع أبانا فى بنيه فإنه　　شفيعك فى الذنب الذى أنت كاسبه

فقرأها المظفر وبكى وقال: أطلقه كرامة لجده صلى الله عليه وآله وسلم

ويقال: إن الأميـر داوود غزا إلى البصرة عن طريق الرمل القديمة التى كـانت مسلوكة في أيام حميـر، وأنه عند عودته دفن آبارها خشية أن يلحق فـانقطعت الطريق، وبعد موته قويت شوكة الأمير سليـمان بن القاسم بن المنصور فملك حصن ظفار وتلمص، وشرع المؤيد بن المظفـر بالاستعـداد لمناجزة الإمـام والحمزات، فـتكاثرت على الإمام الجنود بتنعم جبل اللوز، واشـتد عليه الحصـار فخرج من طريق صـعبة غير مـسلوكة وتكاثف عليه الغمام فستـره عن الأعداء حتى خلص بمن معه إلى بلاد بنى وهاس ثم الظاهر إلى معقل دروان حجة وكان ممن معـه الإمام يحيى بن حمزة فرجع المؤيد إلى صنعاء فاشلاً.

أحمد بن عجيل الفقيه

فى ربيع الأول سنة تسعين وستمائة للهجرة توفى ببيت الفقيه تهامة فقيه تهامة وعالمها وفاضلهـا الشيخ المشهـور أبو العباس أحـمد بن موسـى بن على بن عمر بن عـجيل الصوفى الـتهامي؛ ترجـمه الشـيخ أحمد بن أحـمد الشـرجى الزبيدى فى (طبـقات

الخواص) ترجمة طويلة منها أنه كان إماماً من أئمة المسلمين المنتفع بهم أخذ عن عمه إبراهيم وغيره وكان له بحث ونظر حسن فى كثير من العلوم، وله اعتراضات على المهذب. وعلى «التنبيه» و«الكافى فى الفرائض»، وله كتاب جمع فيه مشائخه وأسانيده فى كل فن.

وأما زهده وصلاحه فمستفيض، وكان الملوك يعظمونه ويقصدونه للزيارة ويقبلون شفاعته، وكان لا يأتيهم ولا يواصلهم؛ بل يكتب إليهم بالشفاعة فلا يتأخرون عن قبولها».

وقد كان الافتتان بقبره كعادة العوام فأزال قبته وما عليها ولى العهد أحمد سنة ثمان عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة عند فتحه لبيت الفقيه والزرانيق.

حرب بين الحمزات والإمام وبين جند المظفر

فى سنة اثنتين وتسعين وستمائة للهجرة حصلت وحشة بين الأمير على بن عبد الله الحمزى وبين الأمير المؤيد بن المظفر فهرب الحمزى من صنعاء ليلاً بأهله فبلغ المظفر فلامه فأجابه أنه لم يأمن غائلة المؤيد الشاب الذى يغلب عليه رأى غيره، فأجاب المظفر أن المؤيد لا يخالف أباه. فلم يطمئن الحمزى ووالى الإمام المطهر وقصدوا قلعة الكولة، ثم اجتمع الحمزات وهدموا ما بينهم من القتول وتمالوا على حرب المظفر، فأرسل عساكره من تعز إلى ولده المؤيد، فخرج إلى الظاهر فى ألف فارس وعشرة آلاف راجل فوقف فى الماجلين وصالح على بن عبد الله الحمزى وحلف له المؤيد بالوفاء، ثم قصد الإمام وبقية الحمزات إلى ماجل الصعدى فالتجأ الإمام وأصحابه إلى الأكمة الحمراء ونفر من محطة المؤيد قبائل حضور مغاضبين للمؤيد ثم عطفوا على محطته فهزموها أقبح هزيمة وقتلوا كثيراً من رجاله، فرجع المؤيد إلى صنعاء مغلوباً مقهوراً. ثم فسد الصلح بينه وبين الحمزى. وفيها أقطع المظفر ابنه الواثق إبراهيم ظفار الحبوظى فسار إليها من عدن فى رمضان سنة اثنتين وتسعين وستمائة للهجرة.

فيهـا خرج المؤيد إلى حضور وبنى شهـاب وأخرب عدة قرى منها قـرية بيت شعيب وقتل جـماعة من أهـلها. وسار على بن عـبد الله الحمـزى إلى ظفار واجـتمع رأى الحمزات على المظفـر. وبعث المؤيد إليهم فى تمام الصلح فشرطوا شـروطاً لم تجريها عادة فلم يقبلها المؤيد ووالده.

وفيـها وصل الأمير أحـمد بن يحيى بنحو ألـفى نفر من نجران مادة للحـمزات فكان المؤيد يحاربهم تارة وقبائل حضور تارة حتى تعب الفريقان وعقدت هدنة ثلاثة أشهر، سارالمؤيد إلى أبيـه وسار على بن عبـد الله الحمزى إلى الشرف فـعمر مـصنعة تنعم بالشرف، ووصل إليه كافة أهل الشرف، ومال الناس إلى الإمام والحمزات فأمر المظفر بطلوع ولده الأشرف إلـى صنعاء فوصل إليـه أهل الشرف وأهل حـضور وتم الصلح بينه والحمزات وسكنت الفتنة.

تنازل المظفر عن الملك لابنه الأشرف

مولده ٦٢٠ هـ قيامه ٦٤٨ هـ موته ٦٩٤هـ

فى سنه ٦٩٤هـ تنازل المظفر لابنه الملك الأشرف عمر بن يوسف وقلده السلطنة وخصه بها دون إخوته وكتب مرسوما فى ذلك فغضب ولده المؤيد وسار إلى حضرموت والشحر وانتقل المظفر إلى ثعبات نزهة تعز فلم يزل بها حتى مات فى ١٣ رمضان سنة ٦٩٤هـ عن ٧٤ سنة من مولده وعن ٤٦ من سلطنته وقبره مشهور مزور بقرية المدرسة المعروفه جنوبى تعز على أكمة فى سفح جبل صبر ولما بلغ الإمام المطهر بن يحيى موته قال : مات تبع الأصغر مات معاوية الزمان مات من كانت أقلامه تكسر رماحنا .

وأولاده الذكور الذين مات عنهم : عمر الأشرف وداود المؤيد وإبراهيم الواثق وحسن المسعود وأيوب المنصور. وكان من مزايا المظفر المبادرة بعزل من شكاه الرعيه من عماله وإليه يُنسب جامع المظفر بتعز وفيه زيادات كبيره لمن بعده والحمامات بجنب الجامع حمام للرجال وهو الموجود الآن وكان بجنبه حمام للنساء، وجامع المهجم تحت وادى سرد بتهامة وكان من المآثر العجيبة يقال إنه كان فيه ثلاثمائة وستون سارية والقرآن مكتوب فيها وفي جدرانه وقد إنهدم مع مدينة المهجم ولم يبق منه سنة ١٣٥٠هـ إلاً بعض منارة بقرب مدينة الزيدية فسبحان الحى الذى لا يموت ولا تغيره الدهور ومرور العصور.

قيام الأشرف

بعد موت المظفر قام ولده الأشرف عمر فقبض الحصون والمخاليف أما أخوه المؤيد فخرج من الشحر إلى إبين فوصله كتاب من أخيه المنصور أيوب يحذره من الوصول وعرض عليه حصن سمدان وكان في يده وحذره الأشرف فى الشقاق وأقطعه حصن سمدان المهم ولكنه وصله كتاب من القاضى علي بن يحى اليحيوى فضاق صدره

فمــال إليه بعض جند أبين والبـعض ساروا إلى الأشـرف ثم سار بأهله إلى سـمدان وتوجه لمحاصرة عدن فخرج إليه العامل والأعيان رغبة ورهبة فدخلها وتقدم إلى لحج وأبين فاسـتولى عليهـا فجهز عليـه الأشرف ولده الناصر بن الأشـرف فى ثلاث مائة فارس فأقام فى الراحة ووصل الأمير على بن عبدالله الحمزى إلى الأشرف فجهزه فى خيل مدداً لولده الناصـر بعساكر من بلاد صنعاء وغيـرها فتقدموا إلى كثـيب الشقيب ووقع القتال فانتصر المؤيد أولاً ثم أُسِـر مع ولديه الظافر والمظفر وأُوثقوا بالحديد وكان الأشرف قد خرج من تعـز إلى الجُوَه ينتظر ما يكون بين ابنه وأخيه ولما بلغـه تقييدهم وأسرهم بكى ثم أمـربهم إلى السجن بقـاهرة تعز وأجرى لهم الكـفايات وثبت المُلك للأشرف إلى حضرموت والشحر.

وفيـها سار الأشـرف إلى حصن الدملوه ثم زبيـد فدخلهـا والفقهـاء أمامـه يحملون المصاحف ومعه ثلاث مـائة محمل فى كل محمل سُرِّيَّة وخادمتـها، وكانت فى أيامه بدعة السبوت الشنعاء بزبيد وسيـاتى الكلام عليها عند ذكر وفاة أخيه المؤيد سنة ٧٢١ هـ وفى سنة ٦٩٤هـ وثب مملوك من مماليك المظفر يُعرف بالفارس على بعض الحصون ببلاد ذمار فى جمـاعة من أصحابه فالتفت عليه قبـائل مذحج ودخلوا الحصن وقتلوه وسبعين رجلاً من أصحابه .

البَرَد العظيم مع المطر

فى جمادى الأولى سنة ٦٩٤ هـ وقع باليمن مطر عظيم فيه بَرَد كبار في بلدان متفرقة منها بردة فى راحة بنى شريف شمالى صعـدة كالجبل الصغير لها شناخب كل واحده أكبر من ذراع وغاب بعضهـا فى الأرض وبعضها ظاهر على وجه الأرض فكان يدور حولها عـشرون رجلا لا يرون من ورائها. ووقعت بـردة أخرى فى بلاد عنس حاول فيها أربعون رجلاً فلم يقدروا .

وفاة الأشرف

وفى سنة ٦٩٦ هـ توفى الملك الأشرف عمربن المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول وكان ولده الناصر فى الفحمة وولده العادل فى صنعاء فاجتمعت آراء المماليك والخاصة على إخراج المؤيد وولديه من السجن وتولية المؤيد ووقع الصلح بين الإمام والحمزات وبين المؤيد وأقطع المؤيد ولده المظفر صنعاء وولده الظافر القمرا بتهامة وفيها خالف المسعود بن المظفر على أخيه المؤيد وأوقع بأهل المحالب واستولى على حرض ووصل إليه أشراف المخلاف السليمانى وبعض الجبال فجهز عليه المؤيد أخاه المنصور وغيره فالتقوا بين حرض والمحالب وظهر للمسعود أنه مغلوب فأذعن للصلح فقبض عليه أخوه المنصور وعلى ابنه أسد الإسلام وسار بهما إلى المؤيد فاودعهما قاهرة تعز وبعد سنة أطلقهما وأمرهما بالسكون بمدينة حيس .

وفاة الإمام المطهر

وفى يوم الاثنين ثانى رمضان سنة ٦٩٧هـ مات فى حصن دروان حجة الإمام المطهر بن يحيى عن ٨٣ سنة من مولده وعن ٢٣ من دعوته وكان من الأئمه المحرزين لشروط الإمامه وأولاده خمسة : الإمام محمد بن المطهر والأمير إبراهيم والأمير أحمد والأمير الحسن والأمير القاسم أبناء المطهر.

وفيها نهض المؤيد الرسولى إلى صنعاء وجهز إلى بلاد حجة ثم الظاهر ثم إلى صعدة فدافعهم الحمزات وسار المؤيد فى سنة ٦٩٨هـ إلى جراف خمر ثمانية أيام ثم إلى ظفار فقاتله الأشراف ثم كان الصلح ورجع المؤيد إلى صنعاء ثم إلى تعز ومعه الشريف على بن عبدالله الحمزى وغيره من الأشراف فلبثوا مده ثم عادوا بلادهم، وسار السلطان المؤيد إلى عدن فدخله دخولا معظماً وامتدحه عبدالله بن جعفر بأبيات منها:

أعلمت من قاد الجياد خيولا وأفاض من لمع السيوف سيولا

وافى إلى عدن لمقدم جده		سيف بن ذى يزن الكريم أصولا

الأمير على بن عبدالله

وفى سنة ٦٩٩ هـ توفى بحصن الميفاع الأمير الكبير علي بن عبدالله بن الحسن بن حمزة بن سليمان عن نيف وسبعين سنة من مولده وكان من أعيان الحمزات فأجمع رأيهم على إقامة ولده الأمير العالم المؤرخ إدريس بن على مقامه على أعماله وفيها كان استيلاء المظفر بن المؤيد الرسولى على عراس وأرياب فى بلاد ريم قهرا بالسيف وأهلهما فرقة من الإسماعيلية الباطنية .

وفى سنة ٦٩٩ هـ كان ابتداء دولة السلاطين آل عثمان وجدهم عثمان اول سلاطينهم .

وفى سنة ٧٠٠ هـ تسلم أصحاب المؤيد حصون الأمير على بن عبدالله من ولده إدريس مؤلف كتاب "كنز الأخبار" فى التاريخ وأبقاه المؤيد على عادة أبيه فى الإمارة والركوب تحت الأعلام السلطانية وأعطاه العطاء الوافر وولاه الفحمه .

المهدى محمد بن المطهر

مولده ٦٦٠ هـ دعوته ٧٠١هـ وفاته ٧٢٩هـ

هو الإمام المهدى المجدد محمد بن الإمام المتوكل المطهر بن يحي .

أخذ عن أبيه كتب الحديث وكتب الزيدية وعن الوشاح الكلابى والقاضى محمد بن يحيى حنش والأمير المؤيد بن أحمد والأمير صلاح بن إبراهيم والفقيه محمد بن عبدالله الكوفى وحقق فنون العلوم وكان كثير التدريس فى الفنون ومن أجّل تلامذته ولده الواثق المطهر بن محمد والشيخ أحمد بن حميد الحارثى وجار الله بن أحمد الينبعى والفقيه حسن بن على الأنسى وإبراهيم بن على بن نزار والمطهر بن تريك

والمرتضى بن المفضل الحسنى ومحمد بن عبدالله الوقيمى وغيرهم .

وصنف "المنهاج الجلى شرح مجموع الامام زيد بن على" و"عقود العقبان فى الناسخ والمنسوخ من القرآن" و"الكواكب الدرية شرح الأبيات البدريه" و"المجموعات المهدية" وكتاب فى الفروع و"البغية فى الفرائض " و"الجواب المنير على مسائل أهل الظفير" و "السراج الوهاج فى مسائل المنهاج" و" فلق الإصباح فى جواز الإصلاح" و " العضب الجزاز فى تصحيح الجواز" و "النفحات المسكية فى جوابات مسائل ابن عطية " وغيرها. وكان عبادة صواماً قواماً مشغولاً بالعلم والعمل حليماً .

والإمام محمد بن المطهر آخر من قاتل بذى الفقار من الأئمه كما سبق فى أول ترجمه الهادى واستفتح صنعاء وعدن واستمر الدعاء له فى الحرم المكى مدة بعد صلاة المغرب وصلاة الفجر حتى أمر سلطان مصر إلى شريف مكه بإبطاله قال صاحب "اللألى المضيئة فى تاريخ مكه" : كان إمام الزيدية يصلى بهم بين الركن والحجر الأسود فإذا فرغ من صلاة الصبح دعا وجهر بقوله : اللهم صل على محمد وأهل بيته المصطفين الأطياب الذين أذهب الله عنهم الرجز وطهّرهم تطهيراً، اللهم أُنصر الحق والمحقين وأخذل الباطل والمبطلين ببقاء ظل الله أمير المؤمنين ترجمان البيان وكاشف علوم القرآن الإمام بن الإمام بن الإمام محمد بن المطهر بن يحيى بن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذى للدين أحيى اللهم أنُصره وشعشع أنواره وأقتل حساده وأكبت أضداده وكان يدعو به أيضاً بعد صلاة المغرب ومازال على هذا حتى دخل إلى مكه العسكر المصرى المجرد لليمن نُصرة للملك المجاهد الرسولى سنة ٧٢٥هـ .

دعوته وحوادث أعوامه

بعد وفاة والده قام محتسباً ثم ألّزمه العلماء بالقيام بالإمامة فدعا فى هجرة حوث سنة ٧٠١هـ ولما بلغت دعوته الملك المؤيد نهض إلى اليمن الأعلى ووصل إلى قرية القُبّه من بلاد خيار حاشد والظاهر وتردد في بلاد الظاهر وحاصر ظفار ثم حارب حصن

جربان فوقع بينه وبين من فيه قتال شديد ونصب عليه المنجنيق وعاد صنعاء، وفى سنة ٧٠٢هـ وقع قحط شديد وإشتّدت الأزمة على جند المؤيد المُحاصِر لظفار وملّ الناس القتال فجنحوا إلى الصلح، وفيها أقطع المؤيد الشريف إدريس بن على بن عبدالله الحمزى بلاد لحج فسار إليها ووقع بينه وبين أهل الجحافل والجحالم حروب وخطوب ذهب فيها عِدة من أعيانهم ، وفيها توفى موسى بن أحمد بن المنصور فى نواحى صعدة، وفيها استولى الأمير على بن موسى بن أحمد على تُلُمص ، ثم وصل إلى الجهات الصعدية الإمام محمد بن المطهر فتلقاه العلامة المؤيد بن أحمد والأشراف فخف لحربهم نائب المؤيد الرسولى وكانت معركة إنهزم فيها النائب واستولى الإمام على صعدة وبلادها فجهز المؤيد جيشاً قائده عباس بن محمد، وقبض المؤيد على الأمير بن محمد بن أحمد وشكر بن على القاسمى بتعز لما كان من الأشراف بصعدة .

وفى سنة ٧٠٥ هـ أغارت الأشراف الحمزات على مدينة حرض فانتهبوها ورجعوا فجهز المؤيد أستاذه ابن ميكائيل فى جيش كثيف ولما قرب من صعدة صالح الأشراف على أن يكون ثلث مخلاف تُلُمص ببلاد صعدة للسلطان المؤيد وبقية البلاد للأشراف وهدأت الأحوال .

وفيها إستقال المظفر بن المؤيد عن إمارة صنعاء وعاد إلى أبيه فولى صنعاء الأمير طغربل وأرجع الأمير إدريس بن على الحمزى لولاية آبين .

وفى سنة ٧٠٦ هـ وثب ابن صهيب على حصن النشابه بوصاب فاغتم له المؤيد وسار لمحاصرته فتسلمه ثم سار إلي بلاد حجة وأقام بالظهرين مده والحرب سجال بينه وبين الإمام .

وفى سنة ٧٠٧ هـ تسلم المؤيد حصن شمان بنى عكاب بعد أن حاصره ورماه بالمنجنيق ثم وقع الصلح بينه وبين الإمام والأشراف على تسليم حصن عزان وحصن براش للمؤيد ورجع إلى تعز وسار إليه الأمير تاج الدين فأكرمه وعظمه. وفيها نهض الأمير إدريس بن على الحمزى بعساكر السلطان المؤيد إلى بلاد حجة والشريفين

فاستولى على جبل سعد فى الجبر وعلى القاهرة فى الشرف الأعلى ثم نهض إلى الشرف الأسفل فى خمسة آلاف رجل فاستولى عليه ولم يبق فى الشرفين إلا حصون يسيره وقع عليها الصلح ، وفيها فتك الأكراد بالأمير طغربل بذمار فجهز عليهم المؤيد عسكراً فقاتلوهم ثلاثة أيام وفر بقيه الأكراد فى كل جهة .

وفيها نهض الإمام إلى بلاد بنى شهاب غربى صنعاء وحاصر قرن عنتر واستولى عليه وعلى حصن بيت ردم وبيت برام وقاهرة حضور وردمان بنى حوال وعطف على صنعاء وفيها عامل المؤيد الأمير عباس بن محمد ودخل بعض أصحاب الإمام إلى بستان السلطان والإمام بحده ووصل المظفر بن المؤيد إلى قاع الباهم واستولى على بيت حنبص فرجع الإمام إلى دروان حجة ثم سار الإمام والحمزات الي بلاد الشرف فمنعهم عنها الشريف إدريس بن على الحمزى فرجعوا إلى بلاد الظاهر وسار بعضهم إلى صعدة والبعض الى ظفار.

وفى سنه ٧٠٨ هـ أعاد الإمام الكرة إلى بنى شهاب واستولى على قرن عنتر وهبط إلى قاع صنعاء فحاصرها شهرين فوصل السلطان المؤيد بنفسه فانتقل الإمام إلى حضور.

قصر ثعبات بتعز

قال الديبع فى قرة العيون : « فى سنة ٧٠٨ هـ كَمُلت عمارة القصر المعقلى فى ثعبات بتعز وفيه مجلس طوله خمسة وعشرون ذراعاً فى عرض عشرين ذراعاً بسقفين مذهبين بغير أعمدة وله أربعة مناظر بأربعة رواشن ليس فيها إلا رخام وذهب وأمامه بركة ماء طولها مائة ذراع في عرض خمسين ذراعاً على حافتيها صور طيور ووحوش من صخر ترمى الماء من أفواهها وفى وسط البركة فواره ترمى الماء إلى الهواء فيبلغ أمدا بعيداً وقباله شاذروان يصب ماؤه إلى البركة كأنه لوح من بلور وفي المجلس شبابيك تفضى إلى بستان عجيب المنظر وكانت مدة عمل الصناع له سبع سنوات

وكان يطلع إليه كل يوم مدة عمارته نحو من سبعين بغلة عليها العمال الغرباء ما بين نجار ودهان ومصور ومزخرف ونحّاس ونحوهم خارجا عمن كان يركب الحمير ومن لا يركب من العمله ، ولما فرغ المؤيد من عمله صنع وليمة وضيافة كبيرة لخاصته وأعيان دولته .

الأميرتاج الدين

فى سنة ٧٠٩ هـ توفى الأمير تاج الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان صاحب كحلان الأميرتاج الدين وغيره من الحصون فى الطويلة وغيرها وهو من أكابرالحمزات، وفيها أخرج الحمزات نائب المؤيد من صعدة فسار إلى تهامة، وفى سنة ٧١٠ هـ تسلم أمير صنعاء عباس بن محمد حصن عمران وحاصر ظفار ورماه بالمنجنيق ثم كان الصلح واستخلف المؤيد على صنعاء محمد بن حسن بن نور، وفيها رجعت الأكراد إلى طاعة المؤيد فعفا عنهم وترك حصن هران بأيديهم ، وفيها جهز المؤيد ولده المظفر إلى بلاد الشرق فى ثلاثين ألف مقاتل فحاصر حصن المفتاح فلم يظفر به فمال إلى حصن تلحام فاقبلت ديمة مطر لبثت أحد عشر يوماً حتى هلك أكثر أصحابه فرجع إلى تعز مريضاً وفيها استولى الإمام على حصن الجاهلى وحصن القاهرة .

وفى سنة ٧١١ هـ مَلّ أهل الشرف ولاية السلطان المؤيد لسوء معاملة عماله ومالوا إلى الإمام رغبة فاستولى الإمام على جبل سعد والشجعة فأمر السلطان على الأمير إدريس بن على الحمزى بحرب الإمام ومابرح عسكره فى نقصان ولم يثبت غيره مع أربعة فرسان فأسره أصحاب الإمام وقتلوا ابن عمه ولبث فى الأسر نصف شهر ثم فَرّ مُتغررا على حين غفلة ، وتسلم الإمام حصن المفتاح بالشرف ، وكان السلطان قد جهز ولده المظفر ووزيره لإعانة الأمير إدريس فلما بلغهما انتصار الإمام عليه مالا إلى جبل تيس وأمر المظفر الأمير إدريس بالإقامة فى جبل الشاهل وضم إليه جماعة من أصحابه ورجع المظفر إلى تهامة .

محمد بن الحسن الديلمى

فى سنة ٧١١ هـ توفى بوادى مُـرْ من تهامة الفـقيه الحـافظ الزاهد محمـد بن الحسن الديلمى الزيدى خـرج من الديلم إلى الـيمن وصنف بـصنعاء سنـة ٧٠٧ هـ كتـاب «عقائد اهل البيت» وكتاب "الصراط المستقيم" وكتاب "المشكاه" وكتاب "التصفيه" ، وكتاب " عقـائد أهل البيت من أصول كتب الزيدية " اشتـمل على فضائل الآل وأن مذهبهم التـرضية على الصحابة وأن المعتـزله شملتهم عقائد الزيديه وأن كل مـجتهد مُصيب وترجمته فى " مطلع البدور" .

وفى سنة ٧١٢ هـ كتب الإمـام المهدى إلى الأمير إدريس بن على الحـمزى أن يسعى بتجديـد الصلح مع السلطان قبل انقضائه فـعقد لمدة عشـر سنين على أن للإمام بلاد الشرف الأعلى وبلاد الجـبر وما هو تحت يده من بلاد حجة وغـيرها وبيت ردم وبنى الوشاح وظفر بنى وهّاس وثلاثة آلاف دينار فى كل سنة .

المظفر بن المؤيد

وفيها مات الأمير المظفـر بن المؤيد ودُفن عند أخيه الظافر فى المدرسة المؤيدية ، وكان قد أوصى أن يُقبر فى مقـابر المسلمين وأن لا يُناح عليه ولا يُشق عليه ثوب ولا يُغطى نعشه إلا بثوب قطن ولا يُعـقر علي قبره شئ من خيله فنفذ والده وصـيته إلا موضع قبره .

وفى سنة ٧١٣ هـ أرسل الإمام أخـاه إبراهيم بن المطهر إلى جبل مسـور لمناصرة بنى صعـصعة على بنى قطـيل ، وفيهـا فتكت الأكراد بوالى السلطان المـؤيد على صنعاء حسن بن إلياس فأرسل المؤيد جنوده لتأديب الأكـراد وبعد مطاردتهم عفا عنهم بشرط عدم العودة إلى مثل ذلك وفـيها جهز المؤيد الأمير إدريـس ابن على الحمزى فى خيل ورحل إلى صهيب فى جهات لحج فشدد على الجحافل وأتلف زروعهم ، وفيها أُطلق من سجن تعز الأمير عبدالله بن وهاس بعد سجنه أربع سنوات وأُطلق للمؤيد حصن

الظفر وحصن اللجام ثم فى سنة ٧١٤ هـ بعد أن أطلق الحصنين لنائب المؤيد بصنعاء سار إليه إلى تعز وضربت البشائر بتعز لإطلاق الحصنين وأكرمه المؤيد وأقطعه الفحمه وأطلق رهائنه .

إدريس بن على الحمزى

فى سنة ٧١٤ هـ توفى الأمير الكبير المؤرخ إدريس بن على بن عبدالله بن الحسن بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن على بن الإمام حمزة بن الإمام أبى هاشم الحسن بن عبدالرحمن مؤلف كتاب " كنز الأخبار فى السير والأخبار" وهو أربعة أجزاء الأول فى سيرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء الراشدين ، الثانى فى بنى أمية وغيرهم إلى قريب المائه الثانيه ، الثالث فى أخبار بنى العباس وغيرهم من ملوك الشام والعبيديين والقرامطة وحروب الإفرنج بالشام وفى آخره نبذة مختصرة فى أخبار اليمن وملوكه خاصة إلى زمن مؤلفه ، الرابع فى ملوك حمير ثم ما جرى من فتنة الخوارج، هذا ما اشتمل عليه الكتاب وهو مأخوذ من تفسير ابن جرير الطبرى وتاريخ المسعودى وتاريخ ابن الاثير وغيرها وهو مفقود لا أعلم بنسخة منه ظاهرة وقد ترجم لصاحبه أبو الرجال فى مطلع البدور فقال: «الأميرالخطير الشهير العلامة المعتصم بالله إدريس بن على بن عبدالله الحمزى علامة جليل المقدار وحيد زمانه ترجم له جماعة وكتابه " الكنز " من أجّل كتب التاريخ فرغ من تأليفه فى رجب سنة ٧١٣ هـ وأظنه غريباً فى بابه وله كتاب "السبول فى فضائل البتول" ومن إفاداته أن أحاديث كتاب أصول الأحكام ثلاثة آلاف وثلاث مائة وإثنا عشر حديثاً وله رسائل رد بها على الجبرية غلطاتهم وكان يخالط سلاطين بنى رسول ويتصل بهم ومن شعره :

ونحن لمن يبغى الهدى ويريده ... سفينة نوح عصمةٌ للخلائق

ومن ضل عنا راكبا غير فلكنا ... هوى ثاوياً فى موجه المتدافق

نقض الصلح بين الإمام والسلطان

فى سنة ٧١٦ هـ نقض السلطان المؤيد الصلح بينه وبين الإمام المهدى فجهز الإمام جيشا إلى الشرف الأسفل وقدم أخاه الأمير أحمد بن المطهر إلى العروس فاستفتحه ثم نهض الإمام بنفسه لحرب صنعاء فصالحه عاملها وأرسل السلطان جيشه بقيادة الأمير نور بن حسن إلى حجة فحاربهم الأمير إبراهيم بن المطهر فى جبل عمر وماذن، فهزمهم وقتل جماعة منهم ، وأقطع الإمام الأشراف بنى القاسم حصون بلادهم وأخذ عليهم العهود فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فلم يلبثوا أن خالفوا عليه فانتزع البلاد والحصون من أيديهم ، وكتب المؤيد إلى الإمام :

رويدك لا تعجل فما أنت بعلها ... سيأتيك فتّاكٌ يُعلمُك الضربا

وإن كنت ذا عزم فلا تضح هارباً ... كعادة من قد صِرْتَ من خلفه عقبا

وسائل جبال اللوز عنا وعنكم ... فافضلكم ولى وخلاّكم نهبا

فأجابه الإمام:

رويدك إن الله قد شاء حربكم ... وصيرنا الرحمن فى ملكه حزبا

تأخَّرْ عن الدست الذى أنت صدره ... وعُدَّ عن الملك الذى نلته غصباً

سأجلبها شُعث النواحى شُزّبا ... ويأتيك فتّاك يُعلمُك الضربا

عليها رجال من لؤى بن غالب ... بهاليل سباقون قد مارسوا الحربا

وأدعو بَحىّ من نزار غطارفٍ ... وآتيك من قطحان بالعرب العربا

إذا أقبلت مثل الهضاب مُشيخةً ... تقل رجالا من بنى هاشم غُلبا

أريناكمُ كيف النزال بعلمنا ... وعلّمتكم بالسيف وِد ذوى القُربى

فنحن بضرب السيف أعرف فى الوغى ... وأربطهم جأشا وأثبتهم قلبا

وليس جبال اللوز عارٌ لسيدٍ غدت واكفات السحب من خلفه دربا

فتلك على رغم الحسود فضيلة بها الفخر فى الدنيا بها الفوز فى العقبى

محمد بن يحى حنش

فى خامس ذى القعدة سنة ٧١٧ هـ توفى بحصن ظفار الظاهر القاضى الحافظ المتكلم محمد بنى يحيى بن أحمد حنش الزيدى عن ٩٧ سنة من مولده ومن مؤلفاته الفياضة "شرح الخلاصة للرصاص والتمهيد" و"القاطعة فى الرد على الباطنية" وهو أحد الأعلام المجتهدين المحققين المذاكرين وهو شيخ الإمام محمد بن المطُهر والسيد المرتضى بن المفضل وله ولأبيه ذكر كثير في كتب الفقه ، وكان جده أحمد بن السلطان حنش الكندى الهشابى وصل من محلة الخَسَمة فى بنى شهاب إلى الإمام عبدالله بن حمزة للجهاد بآلة حربه على ما كانت عليه قبائل الزيدية فطلب العلم الشريف إلى أن بلغ الغايه ثم بعده أولاده وأحفاده الأعلام الكبار وفي وطنه الخَسَمه وادى حنش سُمى باسمه ، وقرأ محمد بن يحيى على والده وعلى العلامة عبدالله بن على بن أحمد الاكوع ، وله تعليق على اللمع وتعليق على اليواقيت رواها عنه العلامة محمد بن عبدالله الرقيمى ، وكان على عظيم هيبته وجلاله سهل الطريقة لين العريكة رحيماً عطوفاً رَضي الأخلاق ، رحيماً بالبليد يسأله هل فهمت ويُعيد عليه المسألة بلين وإيضاح ثانيا وثالثاً يُرضى جميع تلامذته وقد جمع بين الأصول والفروع والتحقيق والإيضاح والفرق بين المشتبهات قال فى وصفه الأمير شمس الدين أحمد بن على فى قصيدته :

لولا عجائب صنع الله مانبتت تلك الفضائل فى لحم ولاعصب

عبدالله حسن عطية الشافعى

وفى سنة ٧١٩ هـ توفى الشيخ العلامة عبدالله بن حسن بن عطية الشغدرى الشاورى الشافعى التهامى قاضى المخلاف السليمانى وهو من مشائخ الإمام محمد بن المطهر .

محمد بن الهادى

وفى سنة ٧٢٠ هـ توفى عن سبعين سنة فى بلاد جماعة الأمير الكبير محمد بن الهادى بن تاج الدين أحمد بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى مؤلف كتاب "الروضة " و"الغدير" و"مُتمم كتاب المقنع الشافى"

المؤيد الرسولى

وفى سنة ٧٢١ هـ توفى بتعز السلطان الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف بن على بن عمر بن رسول عن نحو ٢٦ سنة من سلطنته قال الربيع فى " قرة العيون " كان فارسا مقداما غاية فى الشجاعة والسخاء مطالعا في الكتب المبسوطة اختصر كتاب الجمهرة وجمع من أشعار الجاهليه والمولدين شيئاً كثيراً ، وقال السيد يحيي بن الحسين بن القاسم فى " أنباء الزمن " أن الملك المؤيد جمع من الكتب مالم يجمعه غيره يقال إنها كانت مائه الف كتاب وكان جباراً مدمناً ومما يعزى إليه هذه الأبيات:

خذ ماتراه ودع عنك الذى غابا — واقطع زمانك أفراحا وأطرابا

قالوا أتاك نذيرٌ بالمشيبِ فَتُب — أما قضيت من العصيان آرابا

فقلت كيف يبالى بالمشيب فتى — لم يدر من طول سكر أنه شابا

بدعة أيام السبوت

ومن أعظم وأشنع بدعة بأيامه بدعة أيام السبوت بزبيد وحقيقتها كما ذكره المؤرخون أنه كان يخرج بعسكره من زبيد إلى النخل فى يوم السبت من الأسبوع ويأمر أهل زبيد بالخروج معه بنسائهم فتقع هناك مفاسد عظيمة وإختلاط فاحش وسماع وطرب فاشتد إنكار الخاصة منهم عليه لهذا السبب ورحل عن زبيد قدر سبعمائة بيت من الفقهاء وأهل النجدة والحمية وآووا إلى الجبال كجبل برع وغيره وأنكروا على من تخلف عن الخروج من زبيد إلى الجبال حتى أن بعض الفقهاء كتب إلي بعض أقاربه بزبيد قوله:

تجنَّب عن زبيد ولا تطاها ولا تغرك يا ابن أخى زبيدُ

ففى يوم السبوت تُرى مساوٍ أتتها يوم سبتِهمُ اليهود

ويقال إنها لما طالت مهاجرة الفقهاء عن زبيد كتب إليهم المؤيد يستعطفهم ويعدهم ترك ماخرجوا لأجله فرجع بعضهم ويقال إنه ابتدأت هذه البدعة فى أيام أخيه الملك الأشرف بن المظفر وهوأصح كماسبق ، وكان قد جعل ولاية العهد لابنه المجاهد على بن المؤيد وأخذ العهود على الأمراء والجند بالوثيقه فى ذلك .

حصار صنعاء وفتن بنى رسول

فى سنة ٧٢٢ هـ نهض الإمام محمد والأشراف إلي جهات صنعاء فى عساكر كثيرة فوقفوا فى ضبر حدين جنوبى صنعاء ودام الحصار لها ثلاثة أشهر وفيها النائب الرسولى فطلب الصلح فأسعده الإمام وارتفع بجنده واستلم حصن غران قهرا وحارب الباطنية حروبا شديدة.

وفيها قبض الملك المجاهد على بن داود على ابن عمه محمد بن الأشرف فسجنه فى تعز ثم نقله إلى سجن عدن ، وأخّر أعطية الجند فتغيرت قلوبهم عليه وساروا إلى

عمه المنصور أيوب بن المظفر وهجموا على وزير المجاهد فقتلوه ثم قتلوا على بن الهمام ثم خرجوا من تعز فورا إلى ثعبات فقبضوا على الملك المجاهد وأتوا به إلى عمه فاعتقله بحصن تعز فى دار الإمارة وأخذ العهود على الجند وأطلق ابن أخيه محمد بن الأشرف من سجن عدن ولم يزل المنصور نحو ثلاثة أشهر ثم تمالى المماليك على إطلاق المجاهد من السجن وإرجاع الملك إليه وسار إلى الحصن فقتلوا صاحب مفاتيحه وقبضوها ودخلوا على المنصور وأوثقوه فخرج إليهم أمير الحصن فقاتلهم حتى قُتل ، ولما عرف من فى المدينة دخولهم الحصن سارعوا خيلاً ورجلاً إلى الحصن وأمر المجاهد من ينادى من أعلى الحصن أن البيوت المنصورية مُباحة وهى مساكن الأمراء وأشراف وأعيان الدولة فما كان بأسرع من عود الأمراء والأشراف ورجال الدولة لتحفظ بيوتهم ولم ينتصف النهار إلا وقد كتبت أم المجاهد إليه أن بنات عمك وأهلك وغيرهن قد هُتكن وهُن نساء الملوك ولم يبق لهن باقيه وصرنا كما قيل:

تركوا حريم أبيهمُ نفلاً — والمحصنات صوارخ هُتف
أبدت خلاخلهن فى دهش — أبكارهن ورَنت النصف
سلبت محاجرهن واجتليت — ذات النقاب ونوزع الشنف
فكأنهن خلال منتهب — در تكشف دونه الصدف

فأمر مناديا بأن من أخذ شيئاً فليرده وكتب أماناً للناصر محمد بن الأشرف فلم يتم قراءته حتى إنتفض وأتاه من قبض عليه وعلى أقاربه وأودعوهم السجن ورجع المُلْكَ للمجاهد وسجن أكثر العائلة الرسولية .

استيلاء الإمام على صنعاء وغيرها

وفى سنه ٧٢٣ هـ سار الإمام المهدى محمد بن المطهر إلى بلاد الباطنية بهمدان فأخربها غير بعض حصونها وفيها مات نائب صنعاء الرسولى ابن الأسد فنهض الإمام

إلى صنعاء واجتمع معه عالم كثير فدخلها فى ٢٥ شعبان ومن الأسباب أن الأمير المهدى بن محمد بن حاتم بن أحمد بن الإمام عبدالله بن حمزه قال للإمام أنا أكفيك أمر صنعاء وكان داهية لبيباً فحذَّر على بن الأنف الهمدانى من الإمام حتى ظنه مائلا عنه وركن إلى قوله وحذَّر قائد الجند الرسولى بصنعاء من ابن الأنف وحذره من الرسوليين وضرب بعضهم ببعض بدهاء فاختلفت كلمتهم فلم يلبث القائد الرسولى أن استدعى الإمام لدخول صنعاء وأدخله من جانب القصر وخرج ابن الأنف وهمدان من صنعاء ليلاً وملّك الإمام صنعاء وأحسن فيها صنعا، ولم يزل مالكها إلى أن مات وتسلم حصن ذى مرمر بمساعدة من فيه من عسكر السلطان الرسولي بعد أن فتكوا بأميرهم ابن عوسجة واستدعوا الإمام. وفيها مات بالسجن المنصور أيوب بن المظفر وبقى ابنه الظاهر متغلباً علي الدملوة واحتل الجند وغزا المجاهد إلي تعز وثعبات مرتين بالقائد حسن بن الأسد، وتغلبت المماليك بزبيد فغزاهم بنجم الدين أحمد فأسّروه وهزموا جنده كما خالفه حاكم عدن ابن الدويدار وانضم إلى الظاهر .

إلى هنا ينتهى الجزء الثانى (١)

وبعده الجزء الثانى (٢) ويبدأ بزوال الدولة الرسولية من اليمن الأعلى سنة ٧٢٤ هـ.

الفهرس

رقم الإيداع ١٧٠٢١/٩٨

الترقيم الدولى I.S.B.N.
977 - 19 - 7712 - 1

مطابع الأهرام بكورنيش النيل